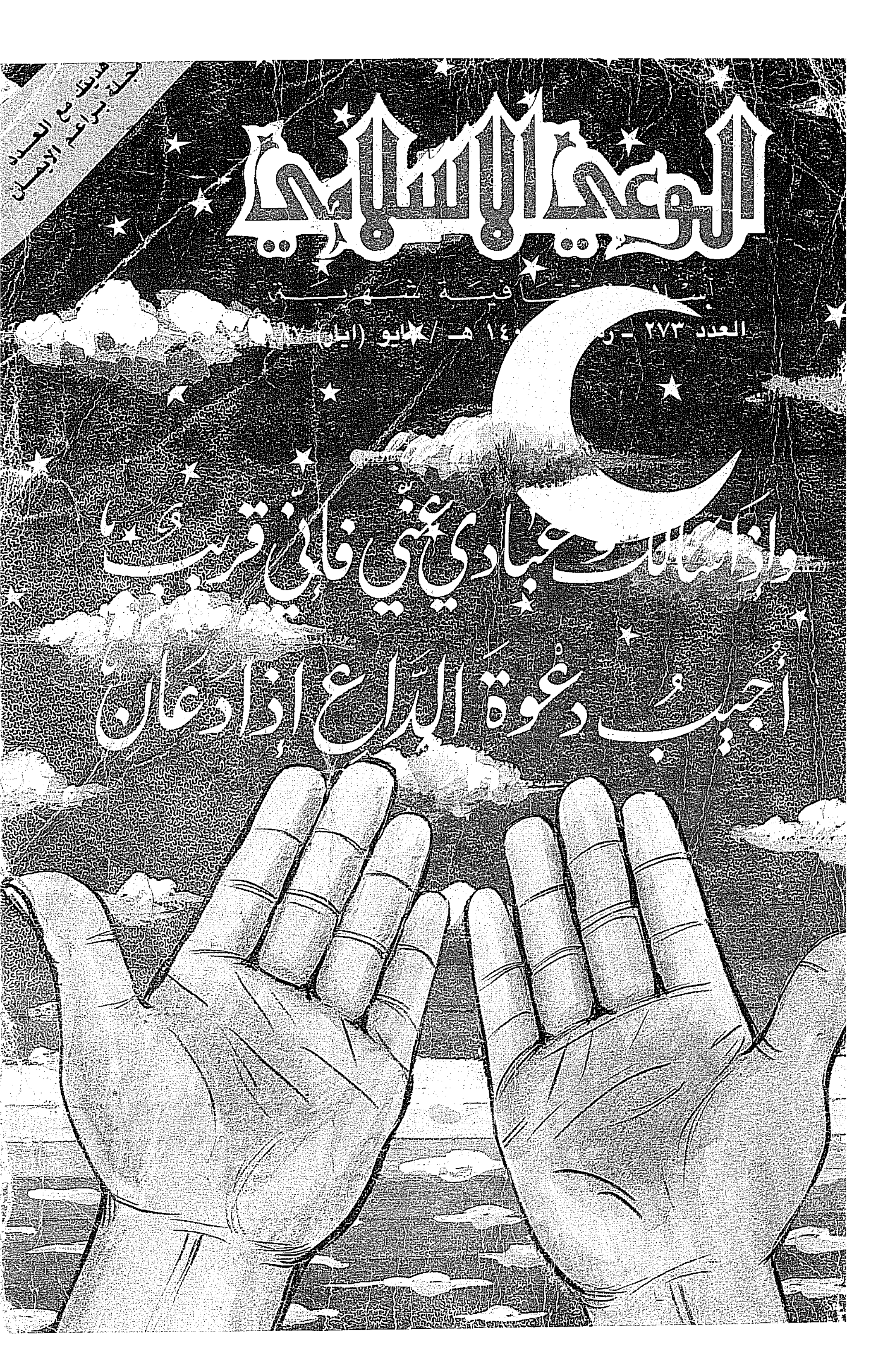
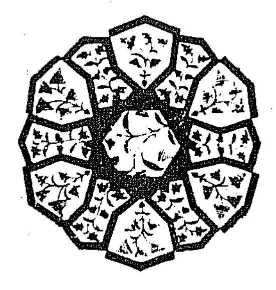


هديتك مع العدد
مجلة براعم الإيمان
الوعي الإسلامي
العدد ٢٧٣
وإذا سألك عبادي عني فإني قريب
أجيب دعوة الداع إذا دعان


محتويات العدد





AL-WAIE AL-ISLAMI

العدد ٢٧٣ ـ رمضان ١٤٠٧ هـ / مايو (ايار) ١٩٨٧ م

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها

المزيد من الوعي ،

وايقاظ الروح ،

بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسة .

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

ص.ب : (٢٣٦٦٧) الصفاة
دولة الكويت

الرمز البريدي 13097

هاتف ٢٤٢٨٩٣٤-٢٤٦٦٣٠٠

الثمن

الكويت	٢٠٠ فلسا
جمهورية مصر العربية	٣٥٠ مليما
السودان	١٥٠ مليما
السعودية	ريالان
دولة الامارات العربية	درهمان
البحرين	١٥٠ فلسا
العراق	١٥٠ فلسا
الاردن	١٥٠ فلسا
سوريا	ليرتان
لبنان	ليرتان
تونس	٢٥٠ مليم
الجزائر	ديناران
اليمن الشمالي	ريالان
قطر	٣ ريالات
سلطنة عمان	٢٠٠ بيسة
المغرب	٤ دراهم

بقية بلدان العالم
ما يعادل ٢٥٠ فلسا كويتيا

ذكرى
الإسراء والمعراج

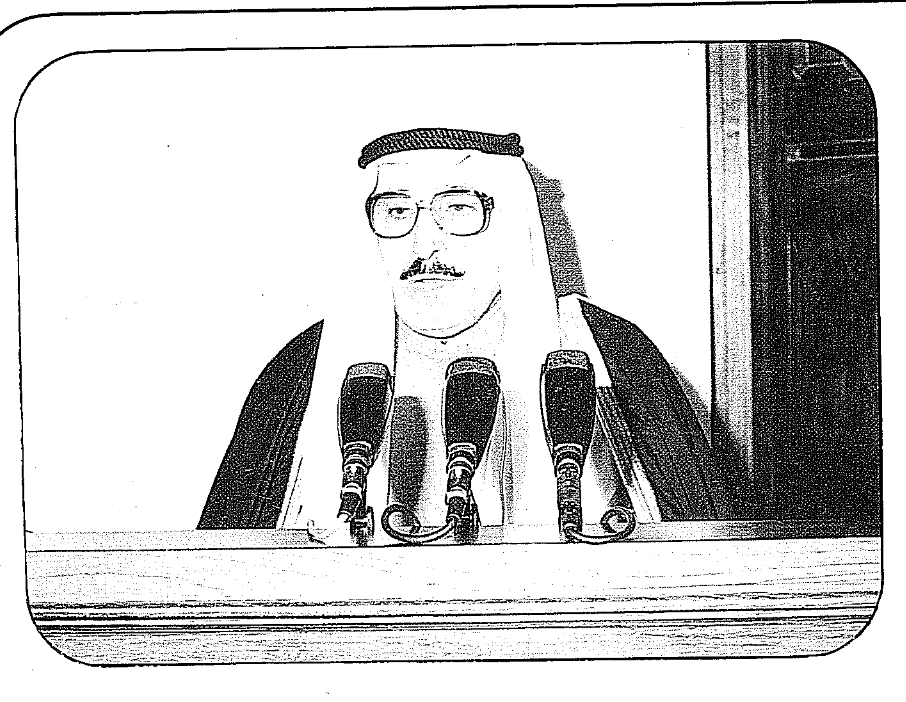
احتفالا بالذكرى العطرة أقامت وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية في المسجد الكبير بمنطقة الشرق حفلا حضره وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية والأستاذ عبدالرحمن الفارس وكيل الوزارة المساعد كما حضره عدد من العلماء وجمهور كبير من المواطنين . بدأ الحفل بتلاوة من القرآن الكريم ألقى بعدها وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية كلمة في هذه المناسبة قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه .

إن الذكرى التي تجمعنا اليوم هي وقفة متأملة مع جانب هام من جوانب السيرة النبوية العطرة ، واستلهام العبرة من احدى المعجزات العظيمة ، إنها حادثة الاسراء برسول الله (صلى الله عليه وسلم) من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم العروج به (عليه الصلاة والسلام) إلى السماوات العلا ، ليريه ربه من آياته الكبرى في ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين .

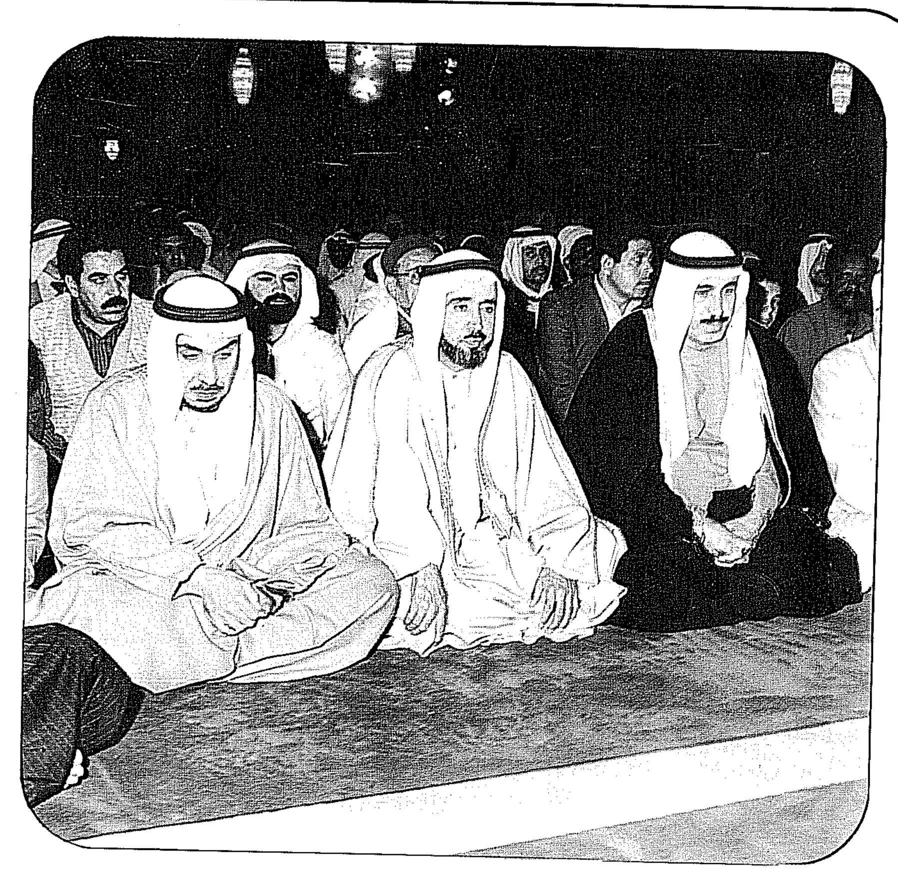
لقد كان في الاسراء تثبيت لفؤاد النبي (صلى الله عليه وسلم) وتعويض عما لقي من شدائد في سبيل الدعوة لا سيما بعد أن فقد نصيريه من أهله في عام واحد ، وهما عمه أبو طالب وزوجته خديجة فازداد تألب مشركي مكة عليه ، وتجهم له أيضا حلفاؤهم بالطائف ، فكان الانفراج لهذه الأزمات المشتدة رحلة مباركة صوب



الأرض المقدسة التي كانت مجمعا للأنبياء ثم جولة في أجواز الفضاء وعبر السماوات في معجزة خرقت فيها قوانين المادة ونواميس الكون بتدبير خالقه القادر على كل شيء ..

لقد كانت حادثة الاسراء والمعراج محكا لجوهر الذين تكون منهم ذلك المجتمع الاسلامي الأول ، وكشفا لمعدن الصديقين في اختبار عصيب نتج عنه ـ وعما سبقه من مواقف الفتنة والابتلاء ـ تصفية ذلك الرعيل الأول ممن لم تخالط قلبه بشاشة الايمان وصدق اليقين . ولا يخفي ما في ذلك من رص صفوف الجماعة الاسلامية الاولى وإعدادها لعظائم الأمور من الهجرة والجهاد والفتوحات .

وفي المعراج كان تشريع فريضة الصلاة التي هي عماد الدين ، والفيصل بين المؤمن والكافر ، وهذه المناجاة اليومية خمس مرات كانت حرية بشرف مكان تشريعها ليكون أداؤها عروجا



روحيا لنفس المؤمن ومشاعره ، كما عرضت على النبي (صلى الله عليه وسلم) كثير من المشاهد الاخروية المشخصة من أحوال اهل النار كالمتثاقلين عن الصلاة ، ومانعي الزكاة ، وخونة الامانة ، وأكلة الربا ومال اليتيم ، وخطباء الفتنة ، وقطاع الطرق والزناة وأهل الفحش والبذاءة ، وبعض أحوال أهل الدرجات العلى كالمجاهدين ، ومقامات الأنبياء وأممهم ، مما فيه حفز للباذلين النفس والنفيس في سبيل مرضاة الله ، وردع لأهل الجور والغي عما هم فيه ، ليكون في ذلك رسم للمنهج الذي تصلح به للانسان دنياه وأخراه ..

لقد كانت حادثة الاسراء تأكيدا لاسلامية فلسطين وعروبتها من

أول يوم ، وإعلاء لشأن المدينة المقدسة والتوأمة بين المسجد الاقصى والمسجد الحرام . وقد ظهر ذلك جليا على مدى العهود الاسلامية بعد ان خلد المسجد الاقصى في قرآن يتلى وسيرة تردد .

ولقد أدرك قادة المسلمين عمق هذا المعنى فكان على رأس اهتماماتهم في مؤتمر القمة الاسلامي الخامس الذي عقد في الكويت ، والذي رأسه سمو أمير البلاد حفظه الله : العمل على استعادة مسرى الرسول صلى الله عليه وسلم من أيدي من دنسوه ، وحراسة المقدسات الاسلامية والمسجد الاقصى خاصة من مكايد التدمير او التهويد ، وحين يقترن ذلك بالخطط العملية يفرح المؤمنون بنصر الله ..

ولا يفوتنا في هذه المناسبة ان نستشعر معاني الاخوة الاسلامية . وان نتخذ منها قدوة طيبة ، في تدعيم التضامن الاسلامي ونبذ الشقاق والاقتتال الذي ما زال يدمر طاقات الامة الاسلامية بشريا واقتصاديا ، ويضعف مكانتها سياسيا ويشغلها عن قضاياها الرئيسية .

ونأمل أن تنجح المساعي المخلصة والجهود الدائبة التي يبذلها حضرة صاحب السمو أمير البلاد بصفته رئيسا للمؤتمر الاسلامي ، لاصلاح ذات البين وتوجيه القوى الى البناء والذود عن حياض الأمة الاسلامية والحفاظ على مقدساتها ، تحقيقا لقوله تعالى (**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم**) .

وندعو الله عز وجل أن يكتب النجاح لهذه المساعي الصادقة التي يقوم بها رئيس مؤتمر القمة الاسلامي سمو أمير البلاد ، وأن يحفظه ويحفظ ولي عهده الأمين ، وأن يسبغ على هذه البلاد ـ وسائر بلاد المسلمين ـ نعمة الأمن والعافية والبركة ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



للاستاذ / محمد رجاء حنفي

إن الحياة بما اتصفت به من خلال تطوراتها وأحداثها ، وبما أحيطت به من تقلبات في ظروفها وأوضاعها ، إنما رسمت خطوطا عريضة يلمسها ويشعر بها كل منصف عاقل ، وهي في ذات الوقت تعد الرجال الإعداد السليم ، وتصهر الأبطال في بوتقة التضحيات ، وإنكار الذات .

وكلما قامت الحياة بأوضاعها ونظمها على قواعد متينة من الوعي والتنظيم ، كانت النتائج المؤدية الى الهدف قريبة في غايتها ، موثوقا بتحقيقها .

والتعاليم الاسلامية من خلال ما اتصفت به الشريعة من توجيهات وارشادات ، استطاعت أن ترسى قواعد الحياة المستقرة الهادفة على أسس وطيدة من البيان والتوضيح ، وتمكنت بعقائدها الراسخة أن تحول الأجيال المتعاقبة من رعيل المسلمين الأوائل الى قادة وهداة ومرشدين .

وكانت التربية الاسلامية هي النبراس الذي أضاء معالم الطريق ، أمام

عقـول أضناهـا الشقاق ، وفـرقها الخـلاف ، فتحولت بتلـك التربيـة الفريدة الى نماذج من البشرية ضليعة في وعيها ، عميقة في فهمها ، متبحرة في ثقافتها وعلمها .

ومن هنا أخذت نفوس المسلمين تتهيأ رويدا رويدا ، وقد استجابت للدعوة الجديدة ، تحرص عليها ، وتتمسك بها ، وتعمل جاهدة عـلى إقرارهـا ونشرها على اوسع نطاق ، وتمركزت روح التهيؤ في إعداد الجسد والنفس اعدادا يرقى بهما الى اقصى ماتهفو اليه النفوس العطشى من إشباع ظمأ طال أمده ، وتطلعت الى من يأخذ بيـدها الى طـريق الهـدى والنـور والعرفان .

وسـارت القافلـة الاسلاميـة تشق طريقها وسط ضباب الشرك ، وظلام الحقد على رسول الدعوة ومن آمنوا به ، الى أن أذن المولى تبارك وتعالى لدينه أن ينتشر ، وأن يعم نوره جميع الأرجاء ، فتضاءلت أمـامه جميـع المعـوقات ، وهي تعتـرف بعظمتـه ومكانته ، وجاء نصر الله عز وجل ، ودخل الناس في دين الله جل شأنه أفواجا ، يعلنون عقيدتهم الراسخة في القلـوب ، وإيمـانهم المتغلغـل في النفوس ، مترجمين ذلك قولا وعملا .

وفريضة الصيام من بين فرائض الاسلام تعد من أهم الركائز التي قامت عليها العقيدة المؤمنة ، بعد أن تهيأت النفوس ، وهي تتشبع بالروح الاسلامية المتسمة بالفهم والوعي ، إذ إن الصيام بطبيعته يقتضي الامتناع عن أهم رغبات الجسد ، وما تنطوى عليه من ميل ، امتثالا لأمر الله عز وجل ، وتقربا اليه .

★ الوظيفة الاجتماعية للصيام ★

لقد شرع المولى تبارك وتعالى العبادات لغايتين عظيمتين :

الأولى : تحسين العلاقة بين العبد وخالقه عـز وجل ، وربط المخلـوق بخالقه جـل شأنـه ، والإقرار لـه بالألوهية ، والاستعانة به في جميع احـواله : « **إيـاك نعبد وإيـاك نستعين** »

الثانية : تحسين علاقـة الانسان باخيه الانسان ، وتوثيق الروابط بين افـراد المجتمع ، ليستطيعـوا أداء الأمانة العظمي ، والنهوض بالتبعة الكبرى في عمارة الكون بالخـير ، وتحقيق الخلافة في الأرض .

ان العبادات تقوى الايمان ، وتزكي النفس ، وتطهـر الـروح ، وتقـوم الخلق ، وتنظم السلوك ، وذلك إذا أديت على وجهها الصحيح من الدقة ، والاخـلاص ، والخشوع ، والفهم الواعى لما يجرى به اللسان ، وتتحرك به الجوارح ، فاذا لم تظهر هذه الآثار على المؤمن كانت عبادته كـالجسد الخالى من الروح ، والشجرة العقيم التي لا تثمر ، فهى لا تعدو أن تكون مظهـرا يسحر النـاظـر ، ويخـدع المعاشر ، ويغطى على مساوىء داخلية تتحرك في الخفاء ،

ولقد اتفقت الأديان السماوية جميعها في نظرتها الى الصيام ، فمهما اختلفت طقوس الصيام ومظاهره ، فان هناك حقيقة تشترك فيها كل الـديانـات السماوية ، وهي أن الصيام تدريب للنفس الانسانية على الصبر ، وتعويد لها على تحمل المشاق والصعاب .

لقد جعل المولى تبارك وتعالى للصيام وظيفة اجتماعية ، الى جانب وظائفه الروحية فالفرد الذي يروض نفسه على الخضوع لأحكام العقل يجد في ذلك سعادة لاتدانيها سعادة ، فهو لا يشبع نزعاته الفطرية الى التدين ، والاتصال الروحي بالله عز وجل ، والوصول الى مغفرته ورحمته ورضوانه فحسب ، بل تتكامل سعادته في أن الله جل شأنه قد منحه العقل الذي يرشده الى الطريق القويم ، ، ذلك العقل الذي تميز به الانسان عن سائر المخلوقات الأخرى .

والمولى تبارك وتعالى لم يمنح الانسان هذه الميزة الا ليستخدمها فيما يعود بالنفع عليه والسعادة ، وعن طريق الصيام الذي يضفى عليه صبغة روحية يجد الأفراد طريقهم الى ما يعود عليهم بالخير في الدنيا والآخرة .

ان الصيام في أبسط مراميه الدنيوية ما هو الا التدبير ، والروية والتعقل ، والتدبير يستلزم وجود القياس بكل مظاهره وصوره ، وقياس الحاجات وترتيبها ، وقياس الموارد وتصنيفها ، بقصد تلبية الحاجات ، وإشباعها في احسن صورها ، فالحاجة التي يتمناها الانسان ، ويرغب في أن يصل إليها هي الرحمة والمغفرة ، اللتان يمنحهما المولى تبارك وتعالى لعباده المؤمنين المخلصين .

والامكانات الانسانية وحدها قاصرة عن توصيل الانسان الى مايتمناه ويرغب فيه ، ومن هنا كان صفاء النفس وتطهرها من النزوات والهوى ، أفضل وسيلة للوصول الى رضا الله سبحانه وتعالى .

والصيام يساعد الفرد على قياس امكاناته في مقاومة شهواته ونزواته ، وفي تحقيق الانسجام الكامل مع الجماعة ، لأنه تدريب للفرد وللجماعة على القياس السليم ، والتحكم الارادي في تيار الشهوات ، بحيث يتصف الانسان بمقومات الفضيلة ، والارادة ، والعقل ، الذي يفضل به سائر المخلوقات .

والصيام بمعناه الواسع هو : البعد عن الرزايا ، والتحرر من الخطايا ، وهو بهذا يمثل أسمى درجات السعادة ، التي تتحقق في الشعور بالمسؤولية الاجتماعية والأخلاقية ، تلك السعادة المنبثقة من فضائل العمل ، والانتاج ، والإحساس بالواجب ، فيعمل الأفراد والجماعات على توجيه قدراتهم نحو التعاون بدلا من الصراع .

والصيام هو الذي يشيع في النفس الاحساس بالانسانية ، ويدربها على التحلى بالإيثار ، والتحرر من الأنانية ، ويربى فيها المقدرة على تحمل المشاق .

ومن نعم المولي تبارك وتعالى على الأفراد أن منحهم القدرة على الإدراك والتمييز ، والصيام من أكثر ما يمر به الفرد من اختبارات لإدراكه وتمييزه ، ففي فترة الصيام يسعى الصائم الى تجنب بعض العادات المرذولة ، ومن المعروف أن التكرار من أهم دواعي التثبيت وبالعكس ، لأن غياب الفعل ، وعدم انتظام حدوثه ، يعد من أهم دواعي التحرر من سلطانه وسيطرته . ولهذا فإن الصيام يساعد على

التخلص من كثير من الشوائب التي يستحيل على الفرد أن يقف في مواجهتها دون أن يشعر بقسوة الحرمان، فالجوانب الروحية هي التي تخفف من حدة الحرمان، وتجعل منه متعة للنفس والروح، وهي من أهم مقوماته الاجتماعية.

ان الصيام مدرسة للتربية النفسية، والخلقية والاجتماعية، تتردد في جنباتها دروس عالية غالية في الفضائل الانسانية، التي تكفل للحياة أن تسير سيرا آمنا، وبقرار مطمئن.

والنظام من اعظم الفضائل الاجتماعية التي تنبثق عن الصيام، فجميع شعائره ومعالمه تتسم بالنظام الدقيق، والعمل المنسق، الذي يدرب الصائم على أن يسلك في حياته مسلك الدقة والنظام، ويعتاد السلوك المنضبط في جميع شؤونه، وعلاقاته مع الناس، والمسلمون جميعا يجمعهم نظام واحد في الصيام، وفي هذا اعلان لحقوق الانسان من: **العدالة، والمساواة**.

والمسلمون حين يصومون، انما يعتبرون أنفسهم في ضيافة المولى تبارك وتعالى، وهذا يدعوهم لأن يعيشوا في الحياة كأسرة واحدة، متعاونين لا متعادين، ومتراحمين لا متزاحمين.

ان الصيام في مظهره الاجتماعي، يعطينا صورة أسرة عظيمة، مكونة من مئات الملايين، تنتشر في جوانب الأرض، وتقترن شعائرها الدينية كل يوم بأمس ما يحس به الانسان في معيشته اليومية، وهو أمر الطعام والشراب، ومتع الأجساد، والملايين من المسلمين في جوانب الأرض، يطعمون على نظام واحد، ويستقبلون صيامهم على نظام واحد، وقلما انتظمت أسرة بين جدران بيت على مثل هذا النظام.

★ الصيام أمانة ★

ان الأمانة صفة تدعو صاحبها الى حفظ ما يؤتمن عليه، من شيء مادي أو معنوى، في السر والعلن، وقد تطلق كلمة «الأمانة» على الشيء المحفوظ المصان عند الأمين.

وقد تعرض المفسرون لقول المولى تبارك وتعالى: «**إنا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا**» ـ الأحزاب: ٧٢ ـ فقال بعضهم: إن الأمانة هى كلمة التوحيد، وقال آخرون: إنها العدالة، وقال غيرهم: إنها العقل، بيد أن الأقرب الى الفهم هو أنها: جميع التكاليف التي كلف بها المولى تبارك وتعالى عباده، من أوامر وواجبات، ومن زواجر ومنهيات، وحملها هو: طاعة الله عز وجل في جميع التكاليف بإيمان صادق، وإخلاص راسخ.

واذا كانت تعاليم الاسلام وعباداته تهدف أول ما تهدف الى ايجاد خلق الأمانة في نفس المؤمن، فإن الصيام من أقوى هذه العبادات في تربية خلق الأمانة، اذا أقبل عليه المؤمن وأداه بصدق واخلاص ومراقبة، لأن العبادات الأخرى كالصلاة،

والزكاة ، والحج ، قد توجد فيها معان للتظاهر ، أو للتباهي ، أو للمراءاة ، وأما الصيام اذا تحقق واستقام ، فإننا لانتصور - على وجه الاطلاق - معه وجود شيء من النفاق أو الرياء ،

لان الصيام في حقيقته سر بين المؤمن وخالقه عز وجل . لا يطلع عليه أحد حتى يلقى الله عز وجل فيجزيه الجزاء الأوفى ، ولعل هذا هو بعض ما يفهم من قول الله جل شأنه في الحديث القدسي : « **كل عمل ابن آدم له ، الا الصوم ، فانه لي ، وأنا أجزى به** » (رواه مسلم واحمد)

ولقد علق الامام الغزالي على هذا الحديث القدسي الشريف ، فقال « **هو جدير بأن يكون كذلك** لأن الصوم انما كان له ، ومشرفا بالنسبة اليه - وإن كانت العبادات كلها له ، كما شرف البيت - يعني الكعبة : بالنسبة الى نفسه ، والأرض كلها له - لمعنيين : **احدهما** : أن الصوم كف وترك ، وهو في نفس الوقت سر ليس فيه عمل يشاهد ، وجميع أعمال الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى ، والصوم لايراه الا الله عز وجل ، فإنه عمل في الباطن بالصبر المجرد .

ثانيهما : أنه قهر لعدو الله عز وجل ، فإن وسيلة الشيطان - لعنه الله - الشهوات ، وانما تقوى الشهوات بالأكل والشرب ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « **إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم** » (متفق عليه .

ومتى توفر للانسان إخلاصه في العمل السرى المستور ، وقهره للشهوات ، فقد صار أمينا حقّ أمين .

ومن شأن الصائم الصادق المخلص أن يحفظ الأمانة في كل شيء :
يحفظها في معدته ، فلا يتناول مفطرا وهو صائم ولا يدخل اليها سحتا او حراما حين يفطر .

ويحفظها في بصره ، فلا ينظر الى محرم ، بل يستخدم بصره في كل ما هو نافع .

ويحفظها في سمعه ، فلا يلقى به الى أحاديث اللهو والفجور .
ويحفظها في جوارحه ، فلا يستخدمها الا فيما هو مفيد .
ويحفظها في عقله ، فيقويه ، وينميه .

ويحفظها في روحه ، فيتسامى بها ويرتفع حتى تزداد طهرا ونورا .
ويحفظها في مشاعره وأفكاره ، فيحيى في قلبه مشاعر الخير ، وعواطف البر ، وأفكار الاصلاح .

ويحفظها في نفسه كلها ، فيرتفع من عالم الحس الى عوالم الإشراق والصفاء والى سبحات الخير والروحانية .

ولقد قرأ المصطفى صلوات الله وسلامه عليه قول المولى تبارك وتعالى « **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها** » النساء : ٥٨ - ثم وضع يده الشريفه على سمعه وبصره ، وقال : « والسمع أمانة ، والبصر أمانة » .

ان الصيام يعلم المؤمن الوقاية الاختيارية والحصانة الذاتية ، والأمانة المنبعثة من الأعماق ، والتي تجعل صاحبها يحاسب نفسه قبل أن يحاسبها غيره ، وأن يحكمها من الداخل قبل أن يأتيها الحكم من الخارج ، ولقد جعل القرآن الكريم ثمرة الصيام الكبرى هي التقوى ،

التي تؤدي الى الوقاية من جهة ، والى القوة القويمة من جهة أخرى ، فقال تبارك وتعالى : « **يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** » البقرة ١٨٣ .

فلنحفظ هذه الأمانة ، ولنؤدها الى صاحبها دون نقصان أو خيانة ، حتى نوفى أجرنا بغير حساب .

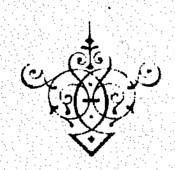
ولنستقبل شهر رمضان داعين بأن يكون زيادة للمؤمنين في ايمانهم ، وللمستقيمين في استقامتهم ، وتنبيها للغافلين عن غفلتهم ، وعودة للشاردين في الغي والضلال والعصيان الى رحاب المولى تبارك وتعالى ، وحاديا للمقصرين في جنب الله عز وجل ليلحقوا بالركب ، وينضموا الى موكب الايمان .

ولنستقبل شهر رمضان ونحن نتذكر تقصيرنا واخلالنا في الواجبات الملقاة على عاتقنا ، ونتذكر المهمة العظيمة التي كلفنا القيام بها ، ونتذكر كم اغتررنا بالدنيا ونحن زائلون ، ونتذكر فضل المولى تبارك وتعالى ونحن المحتاجون اليه ، ونتذكر كم فرطنا ونرجع الى طبيعتنا وفطرتنا التي جبلنا عليها ؟

ولنستقبل شهر رمضان بعقد العزم على أن نتناسى ما بيننا من أحقاد ، ونكون في الله عز وجل اخوة متحابين ، نتصف بالصفح والعفو ، والتوبة الخالصة ، والقلب المنيب ، والنفس المتواضعة .

ان شهر رمضان هو شهر التصفية الربانية ، يسترد بها الانسان الذي أسلم وجهه للمولى تبارك وتعالى ما فقده في صراع الدنيا من خصائصه العليا ، ليعود بعدها الى مسيرته مزودا بكل الطاقات التي تجعل لوجوده في الأرض معنى أكبر وأعظم .

وفقنا الله عز وجل الى طاعته ، والعمل بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ونسأله جل شأنه أن يتقبل منا صيامنا وصلاتنا ، وأن يجعل هذا الشهر الكريم شهر يمن وخير وعزة للمسلمين ، ينعمون فيه بالأمن والطمأنينة ، والله عز وجل هو الهادي الى سواء السبيل .





موسم البر والطاعات

للاستاذ/ محمد نعيم عكاشة

خص الله الأمة الاسلامية بصوم رمضان باعتباره الشهر الذي أمر فيه رسوله بالبلاغ ، وأنزل فيه القرآن الكريم هدى للناس ونورا للعاملين ... يقول الحق تبارك وتعالى :

« **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * يهدي به الله من اتبع رضوانه سُبُلَ السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم** » - المائدة/ ١٥و ١٦

ومع قدوم الشهر المبارك ينتظم ملايين المسلمين في مشارق الارض ومغاربها في مدرسة قدسية تتربى فيها الضمائر ، وتتقوى العزائم ، وتتجرد النفس من الهوى ، وتتزود بالآداب والفضائل .

يقول عز وجل : « **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدي والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه** » - البقرة/ ١٨٥

فالصيام كغيره من سائر العبادات يبعث على الاستقامة ويهيىء للمجتمع جو الفضيلة والطهر ، فتختفي من جوانبه مظاهر الانحراف والاستهتار ..

وهو يتيح للصائم رقابة ذاتية نابعة من نفسه تبعده عن مواطن الزلل والخطأ ، وتقوده الى الخلق الحسن والسلوك الحميد استجابة للعاطفة الدينية .

فلا معنى أن يمسك الصائم عن الطعام ولا يمسك عن الذنوب والآثام ... أو أن يجوع نفسه ثم يملأ بطنه من الحرام ... أو يمتنع عن الأكل والشراب ثم يطلق لسانه في أعراض الناس والتشهير بهم .. أو أن يجود بشيء ثم يتبعه بالمن والأذى ... او ان يكذب ويقول زورا في مواقف الشهادة والرأي ..

وفي هذا يقول صلى الله عليه وسلم : « **من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه** » ـ البخاري من حديث ابي هريرة رضي الله عنه .

ويقول صلى الله عليه : « **الصائم في عبادة حين يصبح الى أن يمسى مالم يغتب مسلما أو يؤذه ، فاذا اغتاب خرق صومه** » .

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجل : « **كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لي وأنا أجزي به ، والصيام جنة ، واذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم ، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك ، وللصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح بفطره ، واذ لقى ربه فرح بصومه** » ـ البخاري

الصوم : عبادة وعمل

وقد ذكر شهر رمضان صراحة في القرآن دون بقية الشهور ويعتبر صيامه من أحب العبادات إلى الله تعالى وهو ما عبر عنه رسول الله عن ربه : « **الصيام لي وأنا اجزي به** » وذلك باعتباره سرا بين العبد وربه يقع في القلب ولا يكون إلا بالنية التي تخفي عن الناس ولا يطلع عليها أحد غير الله فأضافه سبحانه إلى نفسه حيث إن الصائم يفعله خالصا له ، ويعامله به طالبا لرضاه ...

ولهذا روي في المباهاة بالصائم أن الله تعالى يقول « **انظروا يا ملائكتي إن عبدي ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلي** » .. وقيل في قوله تعالى : « **فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون** » (السجدة آية : ١٧) كان عملهم الصيام لأنه قال : « **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** » (الزمر/ ١٠) والصائمون صابرون في أكثر الأوقات .

واذا كان المسلمون قاطبة يبدأون الصيام مع الفجر وينهونه عند الغروب ، فهم بذلك يصومون صوما جماعيا مشتركا في البداية والنهاية ، وفي لحظات محدودة ومعلومة من الدين بالضرورة ... وهو عمل وان بدا متوحدا في مظهره إلا أنه في جوهره دعوة لدفع الامة الاسلامية الى طريق الوحدة ... وصدق عزّ من قائل : « **وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون** » (المؤمنون/ ٥٢)

الرسول والصيام

وورد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخص شهر رمضان من العبادة

بما لا يخص به غيره من الشهور، فكان يكثر فيه من الصدقة والإحسان، وتلاوة القرآن، والصلاة والذكر والاعتكاف .. كان جبريل عليه السلام يدارسه القرآن في رمضان، وكان اذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة، وكان أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان ..

وأفضل الصوم إيمانا واحتسابا

وفضل الصوم عظيم متى كان إيمانا واحتسابا ... عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ عن النبي صلوات الله وسلامه عليه قال: «**من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه**» (متفق عليه)

وفي معنى «إيمانا واحتسابا» ـ قال الخطابي: «ايمانا واحتسابا» أي نية وعزيمة، وهو ان يصومه على التصديق، والرغبة في ثوابه، طيبة به نفسه، غير كاره له، ولا مستثقل لصيامه، ولا مستطيل لأيامه، لكن يغتنم طول أيامه لعظم الثواب ..

وقال البغوي: قوله «احتسابا» أي طلبا لوجه الله تعالى وثوابه، يقال: فلان يحتسب الأخبار، ويتحسبها: أي يتطلبها.

ومن أعظم فضائل الصوم: أنه يتميز عن بقية العبادات بخاصية لا توجد في سواه وهي: أنه ينسب إلى الله تعالى، وأنه يعطى عليه من الثواب بغير حساب ولا تقدير،

ويشهد لهذا قول النبي صلى الله عليه وسلم:

«**الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف ـ قال الله تعالى ـ الا الصوم فانه لي، وأنا أجزي به**» .. «رواه البخاري»

الصحة والطب والصوم

واذا نظرنا إلى ما توصل إليه الطب من اكتشافات علمية نجد: أنه يعدد فوائد الصوم في علاج كثير من الأمراض مثل: اضطرابات المعدة والأمعاء وحالات البول السكري المصحوبة بزيادة الوزن، وزيادة ضغط الدم، والتهاب الكلى الحاد والمزمن، وأمراض القلب، كما يستخدم وقائيا في حالات أخرى كثيرة ..

كما تأكد لعلماء الطب في العالم فوائد الصوم إلى حد إنشاء مصحات يقوم فيها العلاج على الصوم أساسا.

ومن هنا تظهر لنا حكمة التكاليف الدينية وما أشملها! وتتجلى بأوسع مدلول عظمة الشارع الاسلامي فيما فرض وشرع.

وهدى الرسول في رمضان

وقد علّمنا رسول الله ... أن الجود يتضاعف في شهر رمضان عن غيره من الشهور، وكان من هديه صلى الله عليه وسلم الإكثار من قراءة القرآن في

رمضان ، ففي الصحيحين عن ابن عباس : « **كان صلى الله عليه وسلم إذا أتاه جبريل استمع ، فإذا نطق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما قرأ** » .

فدل حديث ابن عباس على استحباب مدارسة القرآن في رمضان ، والاجتماع عليه ، وعرض القرآن على من هو أحفظ منه ..

وفي حديث آخر عن ابن عباس ان المدارسة بينه صلى الله عليه وسلم

وبين جبريل كانت ليلا ، وهو يدل على استحباب الإكثار من تلاوة القرآن في رمضان ليلا ، حيث تنقطع فيه الشواغل ، ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر ..

وكان من هديه (أنه صلى الله عليه وسلم يطيل القراءة في قيام رمضان بالليل أكثر من غيره ، وقد صلى معه حذيفة ليلة في رمضان فقرأ ، البقرة ثم النساء ثم آل عمران ، لا يمر بآية تخويف الا وقف وسأل ؛ فما صلى الركعتين حتى جاءه بلال فأذنه بالصلاة) ـ أخرجه الامام أحمد والنسائي ..

وكان من هديه صلوات الله وسلامه عليه تعجيل الإفطار وتأخير السحور ، روى البخاري عن أنس بن

مالك رضي الله عنه .. (أن نبي الله صلى الله عليه وسلم وزيد بن ثابت رضي الله عنه تسحرا ، فلما فرغا من

سحورهما قام نبي الله الى الصلاة فصلى ، قلنا لأنس : كم كان بين فراغهما من سحورهما ودخولهما في الصلاة ؟ قال : كقدر ما يقرأ الرجل خمسين آية) : ـ

وروى البخاري عن سهل بن سعد ... ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور) .

وعن عبدالرزاق بإسناد صحيح عن عمرو بن ميمون بن الأودي قال :

(كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أسرع الناس إفطارا ، وأبطأهم سحورا) .

وكان صلى الله عليه وسلم (يفطر قبل أن يصلي المغرب على رطبات ، فإن لم يجد رطبات ، فتمرات ، فإن لم يجد تمرات ، حسا حسوات من ماء) ـ

رواه ابو داود والترمذي وحسنه والنسائي وصححه الحاكم .

وكان صلوات الله وسلامه عليه يخص العشر الأواخر من رضمان بأعمال لا يعملها في بقية الشهر ، منها الاعتكاف . ففي الصحيحين عن

عائشة رضي الله عنها قالت : (كان رسول الله صلى عليه وسلم اذا دخل العشر الأواخر من رمضان ، شد مئزره وأحيا ليله ، وأيقظ أهله) ..

وأخرج البخاري : أن السيدة عائشة قالت : (إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى ثم

اعتكف أزواجه من بعد) ..

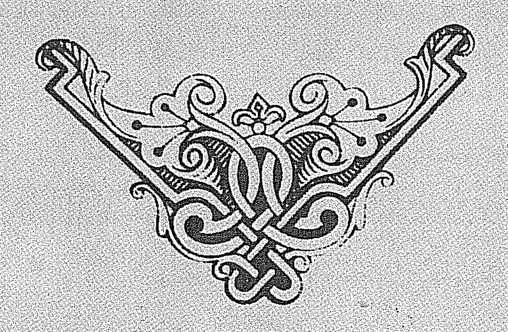
قال ابن القيم : وذلك لأنه لما كان صلاح القلب واستقامته على طريق سيره إلى الله تعالى متوقفا على جمعه على الله ولم شعثه ، بإقباله بالكلية على الله تعالى فإن شعث القلب لا يلمه إلا الإقبال على الله تعالى ، وكان فضول الطعام والشراب ، وفضول مخالطة الأنام ، وفضول الكلام ، وفضول المنام ، مما يزيده شعثا ، ويشتته في كل واد ، ويقطعه عن سيره او يضعفه او يعوقه - اقتضت رحمة العزيز الرحيم بعباده أن شرع لهم من الصوم ما يذهب فضول الطعام والشراب ، ويستفرغ من القلب أخلاط الشهوات المعوقة عن سيره الى الله تعالى ، وشرعه بقدر المصلحة بحيث ينتفع به العبد في دنياه وأخراه ، ولا يضره ولا يقطعه عن مصالحه العاجلة والآجلة .

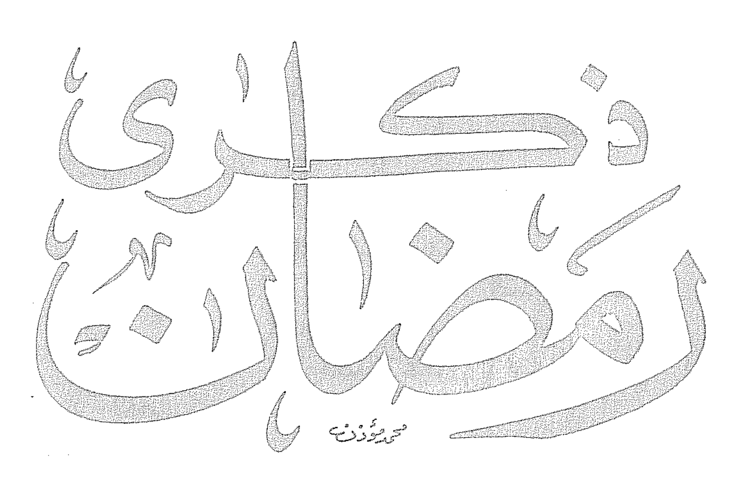
ولما كان مقصود الاعتكاف وروحه عكوف القلب على الله تعالى ، والإقبال عليه في كل هموم القلب وخطراته ، وان هذا المقصود يتم مع الصوم - فقد شرع الاعتكاف في أفضل أيام الصوم ، وهو العشر الأواخر من شهر رمضان ، ولم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه اعتكف مفطرا قط ، بل قد قالت عائشة : « لا اعتكاف إلا بصوم » .

كلمة أخيرة

وتبقى مع ذلك كلمة أخيرة تتعلق بظاهرة المجاهرين بالفطر في رمضان ، والتي تشيع في بعض المجتمعات الاسلامية . وهي بلاشك ظاهرة مؤسفة ومعيبة ، وتستوجب بالضرورة محاسبة هؤلاء المجاهرين بالفطر في نهار رمضان بما يردعهم ، اذ لا يجوز ان تتجاوز الحريات الشخصية حرمة الدين ، وتتحدى مشاعر الصائمين ، وتتصادم مع الجو الاسلامي العام ..

فإذا كان الفطر لعذر شرعي او لاختلاف في الدين : فيجب على أصحاب تلك الأعذار ان يستتروا ... أما الملاحدة الذين يتعمدون الإساءة إلى الاسلام وأهله فلا بد أن يكون عقابهم أشد ، فليس بعد الكفر ذنب .





للاستاذ / محمد امين الجندي

رمضان يا زين الشهور، وخيرها
وأميرها في دولة الأزمان

أيامك الغُرُّ الوضاء قصيدة
نظمت معاني الحسن في الأكوان

ضُمنت أشرف ليلة ميمونة
يهفو لسحر جلالها الثقلان

هي ليلة القدر السني بهاؤها
بالروح، والأملاك، والرضوان

وعلى الرسول تنزلت آي الهدى
فيه، ورف الوحي بالفرقان

وليوم «بدر» فيك آيات بدت
في نصرة الإسلام للأعيان

زحف البغاة المشركون بقضهم
وقضيضهم في جحفل العدوان
يبغون غزو محمد في « يثرب »
غضبا لسيدهم « أبي سفيان »
والمسلمون وهم قليل يومها
نفروا نفار القسور الغضبان
يتسابقون إلى الشهادة في الوغى
في لهفة الظمآن للغدران
وكتائب الأملاك قاد لواءها
« جبريل » قد هبطت إلى الميدان
فإذا بجيش المشركين مفزعا
ومصرعا ، قد خر للأذقان
وفلوله نكصت على أعقابها
مذهولة كالبهائم الحيران
وإذا « بمكة » كل بيت مأتم
ومناحة مشبوبة الأحزان
الله أكبر قد أعز محمدا
وأذل أهل الشرك والطغيان
وتتابع النصر المبين وصلصلت
أجراسه كالشدو في الآذان
واستسلمت للفتح « مكة » وانجلى
عنها ظلام الشرك والأوثان
وأبيدت الأصنام آلهة الألى
ضلوا ضلال الصم والعميان
وتطهر البيت العتيق من الخنا
والرجس ، والأنجاس ، والمجان
ثم انبرى العرب الكماة « لرودس »
فاستسلمت للقادة الفرسان
ولفتح « اندلس » على يد « طارق »
نصر ، به نلنا أعز مكان
وعلى « التتار » وجنده مجد لنا
في « عين جالوت » عظيم الشان
لا بالجيوش ينال نصر حاسم
لكنه بالصبر والإيمان

يـأيهـا الشهـر الـذي بلـغ المـدى
في البـر والحسنـات والإحسـان

أهـلا بمقـدمـك الكـريم ، ومـرحبـا
بـك يـا طبيـب الـروح والأبـدان

يـا خـير سـوق للمكـارم والنـدى
والبـذل للمحـروم ، والضيفـان

فتقـربـوا للـه فيـه ، بكـل مـا
يـرضـاه مـن خـير ، ومـن قـربـان

وامضوا على سنن الهداية ، وارشفوا
شـهـد الحـديث ، وسلسـل القـرآن

وابنـوا على الأخـلاق جيـلا صـالحـا
قِمنـاً بحمـل رسـالـة الأوطـان

وذروا المطـامـع في التملـك ، إنـهـا
سبـب البـلاء ، ومبـعـث الخـذلان

فبهـا غـدونـا أعْبُـداً لـعبيـدنـا
ورهـائننـا في قبضـة الحـدثـان

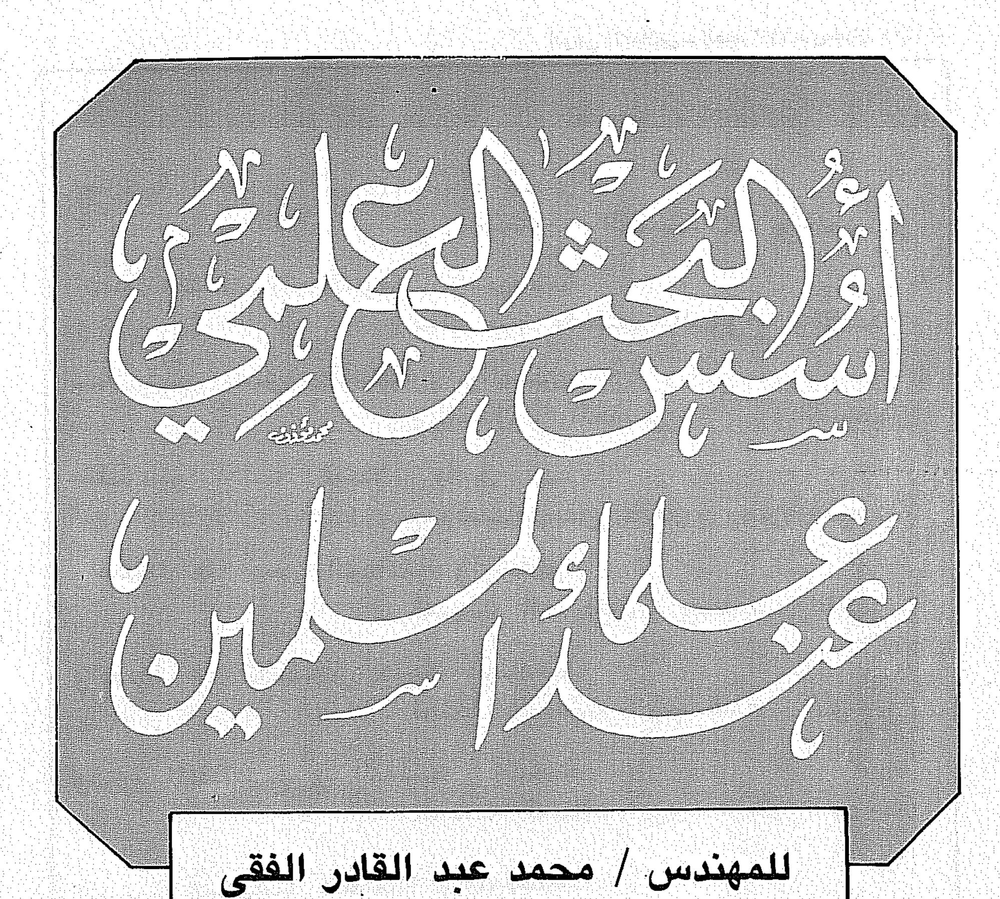
فمتـى تـعـودوا مثلمـا كنتـم إلى
عـرش القضـاء ، وعـزّة السلطـان ؟

فلطـالمـا سعـد الأنـام بـعـهـدكـم
في ظـل عـدل وارفٍ ، وأمـان

واللـه أسـأل أن يـوفـق قـومنـا
للصـالحـات قصيّهـم والـدّانـى

ويـعيـد لـلاسـلام سـالـف مجـده
في وحـدة مشـدودة الأركـان

وعـلى الطـريـق المستقيم يسـوسنـا
عـدل ، يبـارك عدلـه الـعمـران



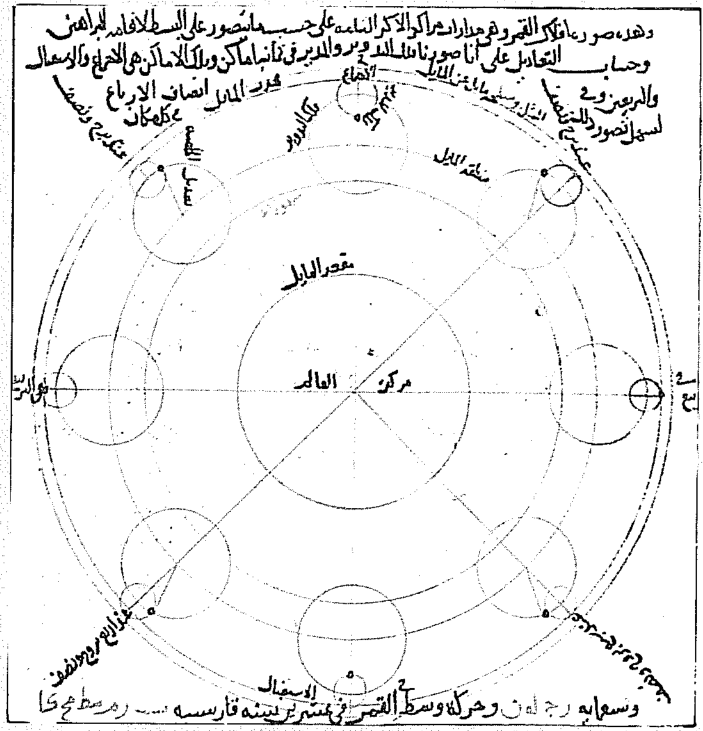
للمهندس / محمد عبد القادر الفقى

من أكثر الاتهامات التي يوجهها بعض المستشرقين والمهتمين بدراسة التراث الاسلامي العربي إلينا هو أن حضارتنا الاسلامية الزاهرة لم تعرف البحث العلمي ، ولم تعرف أسسه وقواعده ، خاصة في مجال العلوم المختلفة من طب وكيمياء وفلك وفيزياء ، بل إن بعضهم ذهب إلى أبعد من ذلك ، فالمستشرق هـ . ريتر . H RITTER على سبيل المثال زعم أن جهود علماء الاسلام قد اقتصرت على نقل ما تعلموا من أساتذتهم إلى الأجيال التالية بوفاء واحتذاء ، وزعم أن هؤلاء العلماء كانت تنقصهم الثقة بالنفس ! وانهم لم يحاولوا أن يبدعوا شيئا جديدا بعد أساتذتهم » !

ولا يخفى على القارىء الأريب أن مثل هذه الاتهامات افتراءات باطلة لا أساس لها من الصحة ، ولا أساس لها من العلم ، كما أنها تتنافى تماما مع الواقع ، والزعم بأن جهود علماء المسلمين كانت مقصورة على نقل وترجمة تراث الاغريق والفرس والهنود والسريان ينقصه من أساسه ملاحظة الفارق الكبير بينما وصل إليه تلامذة الاسلام في العصر العباسي وما كان عليه أساتذتهم من القرون الأولى قبلهم سواء من الاغريق أم غيرهم ،

ويكفي أن نرد على ذلك بكلمة للبيروني ـ أعظم عقلية في العصور الوسطى والـذي استطـاع أن يقيس قطـر الأرض ـ وهي كلمـة نلمس فيهـا الأسس الاسلامية الأخلاقية للنقد يقول البيروني : إنما فعلت ما هو واجب على كل إنسان أن يعمله في صناعته من تقبل اجتهاد من تقدمه بالمهنة ، وتصحيح خلل إن عثر عليه بلا حشمة .. وتخليد ما يلوح له فيها تذكرة لمن تأخر عنه بالزمان وأتى بعده وهي كلمة تعكس بحق موقف علمائنا المسلمين الأفاضل من قضية النقل عمن سبقوهم ، فهم لا يقبلون الا الصحيح ويصححون ما فيه الخلل ، ولا يتم التصحيح الا عن احاطة تامة بـالموضـوع المطلوب تصحيحـه ، وامتلاك أدوات البحث والنقد التي تعـين على معـرفة مكـان الخطأ ، وتكشف الستار عن الصحيح وتعرف به .

ومـن المـؤسـف أن افتـراءات المستشرقين واتهاماتهم لاقت أذنا صاغية من بعض أدعياء الثقافـة العرب ، الدائرين في فلك الثقافة الغربية دون إعمال للعقل أو تدبر في الرأي أو التزام للموضوعية في الحكم ، وهم يتعاملون مع قضية البحث العلمي عند علماء المسلمين من منطلق سوء الظن ، وينصبون أنفسهم قضاة ليطلقوا أحكامهم بناء على تلك الظنون ، ومن المخزي أنهم يرددون كلمات المستشرقين كالببغاء دون أن يكلفوا أنفسهم حتى مجرد البحث عن مدى



ـ صفحة من مخطوطة لابن الشاطر تتضمن رسما يبين اطوار القمر في دورانه حول الأرض

صحة هذه الافتراءات أو كذبها ، (مع أن المتهم برىء حتى تثبت ادانته ، بمنطقهم) و(بعض الظن إثم) كما يقرر قرآننا الكريم .
ومن أسوأ ما قيل في حق علماء المسلمين ، وحق الاسلام أيضا ما قاله المستشرق (د . ب . ما كدونالد) حيث يتهم ديننا الحنيف بأنه هو السبب في تخلف البحث العلمي عند أجدادنا الأقدمين ، الذين لولاهم لتأخرت مسيرة العلم المعاصر قرونا وقرونا يقول هذا المستشرق : « ما لا شك فيه (هكذا) أننا نجد هنا سرا من أسرار ذلك النقص الفاضح في الفكر الاسلامي ، نعم هنالك شواذ لهذه القاعدة ، واعية أو غير واعية ، ولكن الاتجاه العام في استغلال القوة والتأثير قد تجاوز كل حد ، فأفسد حرية الفكر ، فإن الغاية يجب أن تكون عند المسلم محددة واضحة المعالم قبل الشروع باي بحث ويجب أن تكون واحدة من أنواع معينة ، أما البحث الذي لا يعلم صاحبه الى اين سيؤدي به ، ولا النتائج التي قد يسفر عنها ولا يأبه سلفا بها ، فمحرم في الاسلام » ولا أدري من أين استقى هذا المستشرق معلوماته المضللة تلك وإن كان أغلب الظن انها من وحي شيطانه ، أو من جهله بالتراث الاسلامي ، أو من تعصبه الأحمق ، أو من جماع ذلك كله !

القرآن يحث على البحث العلمي

لست في حاجة أن أذكر كيف دعا القرآن الكريم الى العلم وإلى البحث عن حقائق الوجود ، فآيات القرآن الكريم تتحدث عن ذلك في مواضع كثيرة :

« **اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم** » ـ العلق ١:٤ .

« **وقل رب زدني علما** » طه / ١١٤

« **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** » الاسراء / ٨٥

« **وفي الأرض آيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون** » الذاريات / ٢٠ و٢١

« **قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب** » الزمر / ٩ .

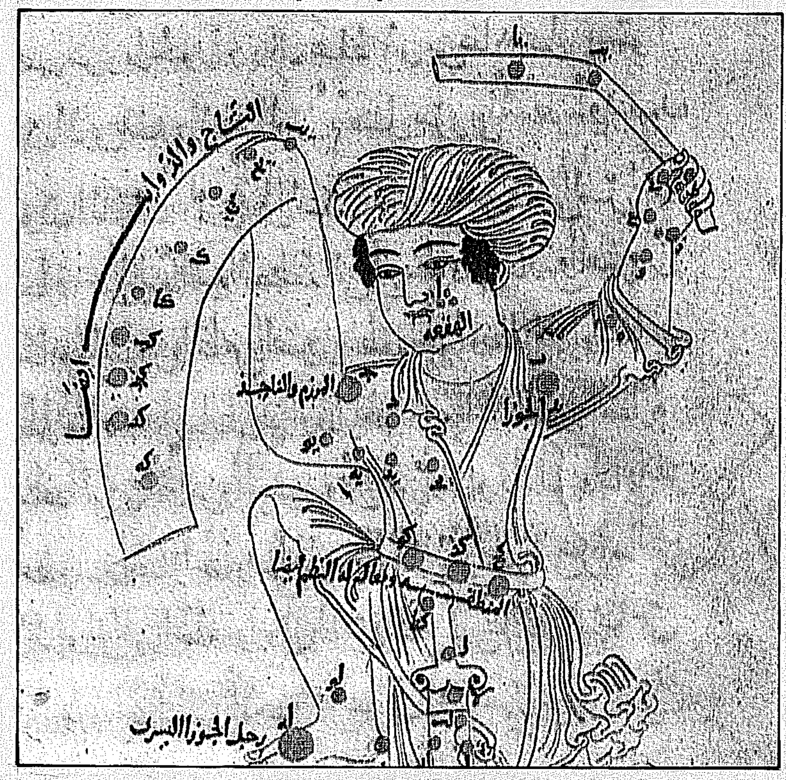
« **إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب** » آل عمران / ١٩٠ .

« **قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق** » العنكبوت / ٢٠ .

« **أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت** » الغاشية / ١٧ـ٢٠

« **قل انظروا ماذا في السماوات والأرض** » يونس / ١٠١

« **إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء**

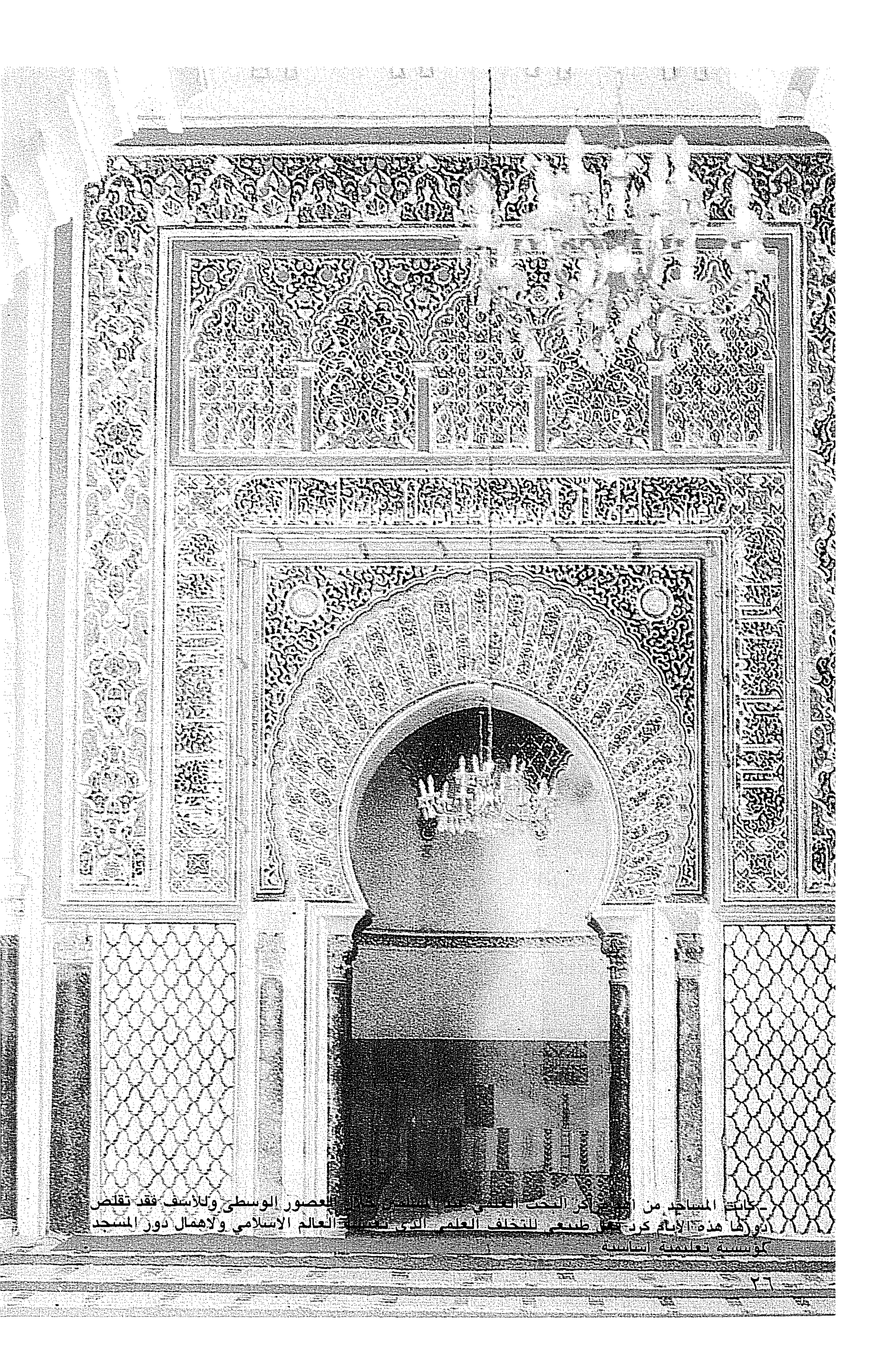


ـ رسم يبين القبة السماوية في دورانها حول الأرض كما ارتآها علماء الفلك المسلمون لشرح حركة الشمس والنجوم

والأرض لآيات لقوم يعقلون » البقرة/١٦٤ .
إلى غير ذلك من الآيات التي تدعو إلى العلم ، وترغب فيه ، وتعظم قدره ، وتنوه بأهله ، وتحث على طلبه وتعلمه وتعليمه ، وتبين آدابه ، وتوضح آثاره ، وترهب من القعود عنه أو الازورار عن اصحابه .
ويكفي القرآن الكريم إجلالا ، أنه دعا الى العلم في كثير من آياته ، على النقيض من الاسفار المقدسة في العهد القديم أو الجديد ، فلا تكاد تقع عيناك على هذه الكلمات التي حفل بها القرآن : « **العلم** » « **الحكمة** » ، « **العقل** » ، « **الفكر** » ، « **النظر** » ، « **الألباب** » ، « **البرهان** » ، **أو** اشتق منها أو تفرع عنها اوكان له قرابة بها سواء في التوراة أم الانجيل .

والسنة النبوية تحث على البحث العلمي أيضا

تكاثرت أحاديث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتتابعت بعد آيات القرآن الكريم في الحث على العلم وعلى البحث العلمي وفي توقير العلماء .
يقول المصطفى الأمين ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من في



- كانت المساجد من أهم مراكز البحث العلمي عند المسلمين خلال العصور الوسطى وللأسف فقد تقلص دورها هذه الأيام كرد فعل طبيعي للتخلف العلمي الذي يعيشه العالم الاسلامي ولاهمال دور المسجد كمؤسسة تعليمية اساسية

السماوات ومن في الأرض ، حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، إنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » ـ رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة .

ويقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه عنه أبو أمامة رضي الله عنه : « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم » رواه الترمذي .

ويقول أيضا فيما رواه عنه أبوهريرة ـ رضي الله عنه ـ : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » ـ رواه مسلم وغيره .

ومن المعروف أن العلم الذي حث عليه القرآن والسنة : هو كل معرفة مستندة إلى استدلال ، ولهذا لا يعد علماء المسلمين التقليد علما ، لأنه اتباع لقول الغير بلا حجة .

وعلى هذا ، فالعلم في الاسلام يشمل مجالات عدة تقصر عن الدلالة عليها كلمة العلم Science بمفهومها الغربي الحديث ، فهو يشمل علوم الدين ، وما وراء الطبيعة مما جاء به الوحي ، ويشمل مجال الانسان وما يتعلق به من دراسات ، ومجال الماديات المبثوثة في الكون ، والماديات تتضمن علوم الكيمياء والفيزياء والجيولوجيا ، والأحياء ، والفلك ، والهندسة ، وغيرها ، مما يقوم على الملاحظة والتجربة ، ويمكن إدخاله المعمل أو المختبر .

المسلمون وأسس البحث العلمي :

من خلال فهم علماء المسلمين لروح الاسلام ، وفهمهم لنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية التي تحث على العلم والتدبر في ملكوت السماوات والأرض انطلقوا يقيمون قواعد حضارتهم الخالدة على أسس من العلم في وقت كان فيه كل العالم القديم يعيش في ظلمات الجهالة إبان العصور الوسطى ، وإذا كان علماء المسلمين لم يقننوا أسس البحث العلمي في مؤلفاتهم العلمية المبكرة ، فإن هذا لا ينفي إلمامهم بها ، واستعدادهم الفطري لها كان بلا شك موجودا ، ويتضح ذلك من المجهودات الفائقة التي قاموا بها في تصنيف كتب الحديث والصحابة ومعاجم اللغة والألفاظ الغريبة ، وما كتبوه من موسوعات تتناول الحيوانات والنباتات والأحجار والمعادن والأمراض وغيرها .

ومن أهم قواعد وأسس البحث العلمي عند علماء المسلمين ما يلي :

١ ـ الاستناد إلى التجربة العلمية في الحسيات :

اهتم علماء المسلمين بالتجربة العلمية اهتماما كبيرا ، فكانوا لا يقبلون أية نتائج لا تخضع للحجة والبرهان ، ولا يقبلون دعوى علمية بغير إثبات عملي . وكما كان البرهان النظري في العقليات هو أساسهم في اعتماد صحة أية قضية: (**قل هاتوا**



ـ مخطوطة عربية قديمة من مخطوطات التراث العلمي تتضمن شروحات حول تشريح العين وتبرهن على ان علماءنا الأقدمين اهتموا بالجانب التطبيقي بجانب اهتمامهم بالعلوم النظرية

برهانكم إن كنتم صادقين) « النمل ـ ٦٤ » . فلقد كانت المشاهدة أو التجربة في الحسيات هي الأساس في البحث العلمي المتعلق بالماديات ، وهو ما يتساوق مع قول الحق سبحانه وتعالى : **(وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم)** « الزخرف/ ١٩ » ، حيث لا تصح الدعوى بإثبات أن أي أمر غيبي يكون ماديا ، كأن تكون الملائكة إناثا كما زعم الجاهليون .

والمتأمل للتراث العلمي الاسلامي يجد مئات المواقف التي لجأ فيها المسلمون إلى التجربة العلمية القائمة على إجراء التدبير والمشاهدة والاستنتاج ، فالرازي على سبيل المثال ، يذكر لنا في كتابه (الحاوي) أنه استخدم القردة مرة لكي يدرس تأثير الزئبق عليها إذا شربته ، وبذلك يمكن معرفة تأثير هذه المادةعلى الانسان ، وقد أشارت إلى ذلك « زيغريد هونكة » في كتابها (شمس الله تسطع على الغرب) قائلة : « كان الرازي يجرب كل العقاقير الجديدة قبل أن يصفها للناس ، فيدرس تأثيرها على الحيوان ، ويخلص إلى النتائج التي يستصوبها » ، وكان الكندي أيضا يجري الكثير من التجارب حتى يتأكد في الميدان التجريبي أن آراءه ونظرياته تقوم على أسس سليمة ، وكذلك فعل ابن سينا ، والزهراوي ، والجاحظ ، وغيرهم .

٢ـ الاعتماد على المصادر وذكر أصحابها وأسمائها :

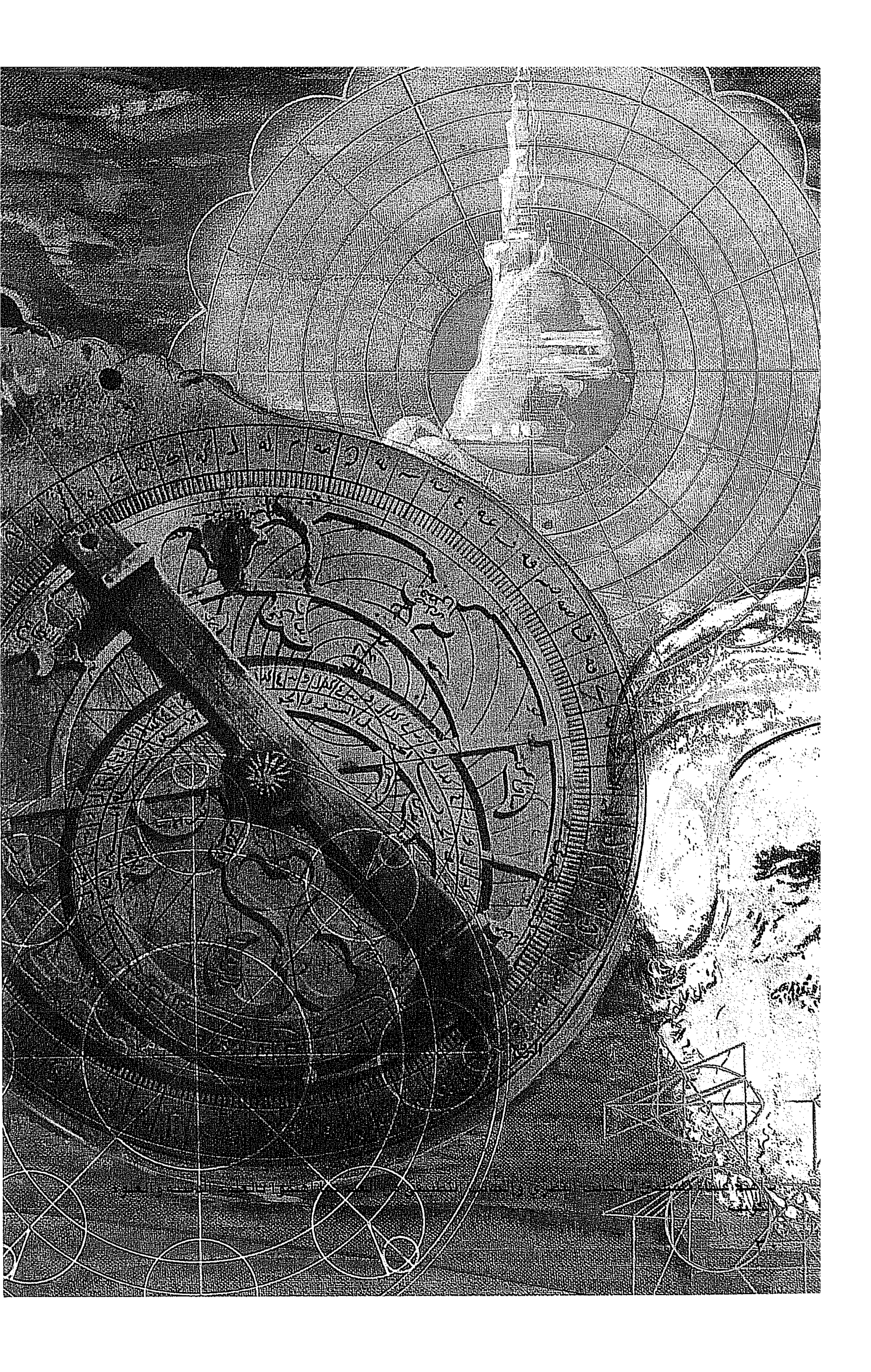
من أهم قوعد البحث العلمي عند علماء المسلمين ذكر المصادر التي يستندون إليها في كتاباتهم ومؤلفاتهم ، وذكر أصحابها ، وذلك للاعتراف بجهود من تعلموا منهم أو نقلوا عنهم ، وهي أمانة علمية لم تعرفها أوروبا إلا في مرحلة متأخرة ، بل إن المسلمين تشددوا في تطبيق هذه القاعدة ، خاصة فيما يتعلق برواية كتب الحديث والسيرة والفقه والتاريخ . ويذكر الدكتور « فرانتز روزنتال » في كتابه (مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي) أنه كلما كان الكتاب علميا رفيعا كلما كانت عناية العلم المسلم بذكر مصادره ومراجعه أدق وأشمل مما لو كان كتابا لعامة الناس ، ويذكر أن علمي الحديث والفقه كانا يستندان في الدرجة الأولى على الدقة والأمانة في ذكر المصدر المأخوذ عنه لأن الأسانيد جزء من مادة البحث ، وكل علم آخر له علاقة مباشرة بهذين العلمين : الحديث والفقه تأثر إلى حد بعيد بالأسلوب المتبع في درسهما ومعالجتهما ، مثل كتب التراجم التي نشأت بدافع تدعيم هذين العلمين ، حيث كان أصحاب كتب التراجم يعنون عناية فائقة بذكر المصادر التي يأخذون عنها ، وكذلك فإن أصحاب الكتب التاريخية كانوا شديدي الحرص على ذكر المصادر أيضا ، فعلى سبيل المثال ، يشير المؤرخ المقريزي إلى المصادر الثلاثة التي رجع إليها عند تأليفه (خطط مصر) وهي :

أولا : المصنفات الأدبية .
ثانيا : المعلومات التي استطاع جمعها من أساتذته ومعاصريه من العلماء .
ثالثا : المعلومات المبنية على اختياره الشخصي وعلى مشاهداته .

٣ـ الأمانة والدقة في النقل :

كان علماء المسلمين يشددون على ضرورة الأمانة والدقة في النقل ، ففي مقدمة كتاب (معجم البلدان) يقول لنا ياقوت الحموي : إنه كان ينقل عن المصادر بكل دقة وأمانة ، وسواء أكان المنقول حقا أم باطلا ، فإن الصدق في إيراده ـ كما يقول ياقوت ـ له أهمية في البحث العلمي عند العلماء ، لأنه ييسر للطالب اطلاعه على آراء أهل الخبرة في ذلك العلم ، وكان يجوز للمؤلف أن يختصر نص خبر ينقله ، أو أن يضيف إليه بعض ملاحظاته حسبما يريد .

وقد نقل العلماء المسلمون تراث الأغريق والفرس والهنود إلى العربية ، وكان بوسعهم أن يتجاهلوا الاشارة إلى مؤلفي هذا التراث ، وأن ينسبوها إلى أنفسهم ـ كما فعل الأوروبيون حين ترجموا كتب علماء المسلمين ، ولكنهم نسبوا الكتب إلى أصحابها ، ولم يكتفوا بنقلها بل أضافوا إليها ثمرات أفكارهم ، وما توصلوا إليه في أبحاثهم .



٤ـ تصحيح النظريات الخاطئة ورفض المعلومات غير الحقيقية :

اهتم علماء المسلمين بتصحيح النظريات والآراء العلمية الخاطئة لمن سبقهم من علماء الأغريق وفارس وغيرهم ممن اطلعوا على تراثهم العلمي ، فابن النفيس مثلا يرفض قبول نظرية جالينوس الخاطئة في الدور الذي تلعبه الرئتان بالنسبة لانتقال الدم ، وكذلك لم تقنع نظرية بطليموس في تكوين الأرض جميع العلماء المسلمين كما أن الكندي يخالف أرسطوطاليس في تعليل نشأة المطر ، حيث يذهب الأخير إلى أن علة حدوث المطر هي التقاء البخار الرطب بالبرودة ، وهذا الايضاح لحدوث المطر ـ وإن كان صحيحا مبدئيا ـ إلا أنه لا يعلل لنا أثر البرودة عند التقاء البخار الرطب بها ، أما الكندي فيصل إلى العلة النهائية في حدوث المطر ، وهي انقباض حجم البخار الذي يحصل بتأثير اختلاف الحرارة ، وبذلك يصل تعليله إلى تعليل العصر الحديث تماما .

وكذلك نجد أن ابراهيم بن سنان ابن ثابت بن قرة ينتقد كتاب أرسطو طاليس (في الآثار العلوية) ، ولنذكر أولا ما يوجهه هذا العالم لاتباع أرسطو طاليس من نقد شديد ، حيث يقول :

« والبلية من هؤلاء القوم تأتي من إفراطهم في نصرة آراء أرسطو ـ طاليس حبها واعتقادهم امتناع زلة فيها ، على الرغم من علمهم أنه كان من المجتهدين دون المؤيدين المعصومين . والاجتهاد وإن بولغ فيه على شفا الخطر من الزلل » .

وقد بقيت لنا من نقدات هذا العلامة المسلم إلى كتاب أرسطو طاليس ثلاثة فقط ، حيث ضاع كتابه الذي تناول هذا النقد فيما ضاع من كتب التراث العلمي الاسلامي ، ونقداته هي :

١ـ الأولى: هي التي يصفها بالخطأ الفاحش وهي رأي أرسطو طاليس في انقطاع العمارة تحت مدار المنقلب الصيفي ، وامتناعها فيما وراءه نحو الجنوب ، حيث يزعم أنه لا يوجد الظل نحو الشمال والغرب !

٢ـ الثانية : رأي أرسطو طاليس في جدود وجود البخار في جو الجبال ، وفي هذا يقول : « زعم أرسطو طاليس أن البخار لا يصعد جبل (قاتوس) والرياح لا تبلغه ، واستدل عليه ببقاء الخطوط والأرقام المعمولة على رماد القرابين والذبائح فيها على حالها من غير أن تدرسها ريح أو يمحوها مطر » .

٣ـ الثالثة : نقض المبدأ الذي تمسك به العلماء اليونانيون ، والذي كان يسمى لديهم (Antiperistasis) ، وهو حسب تعبير الكندي : « اقتسام الكيفيات الفواعل المتضادة كالباطن والظاهر » ، ويقصد به أن الحرارة تحبس نفسها ضد البرودة التي تحيط بها فلا تنقص تحت تأثير البرودة وبالعكس . ويعلل أرسطو طاليس كثيرا من الحوادث الجوية بناء على هذا المبدأ ، ومثال ذلك أن أرسطو طاليس يرى أن المطر في الصيف



ـ صحن زخرفي اسلامي لا يبين كيف اهتم علماء المسلمين بتطوير صناعة السيراميك فقط بل يعكس دورهم في اثراء الفن العالمي بالزخرفة الاسلامية المتميزة .

يتكون بالتقاء البخار الحار بالبرودة المحبوسة في هواء حار ، أما الكندي وبعض علماء المسلمين ـ كابن العميد ـ فإنهم كانوا يعللون الحادثة الجوية ذاتها بالتقاء البخار الحار بالهواء البارد في الجو ، ونتيجة هذا يحصل انقباض حجم البخار الحار ، وكانوا يعللون بهذا التعليل قلة المطر في مصر وفي شبه جزيرة العرب وكثرته في الهند صيفا

وهناك أسس أخرى للبحث العلمي عند علماء المسلمين تتعلق بكيفية إجراء البحث ، وتحديد دوافعه ، وأهدافه ووسائله ، والغاية منه ، وهي نقاط متشعبة ، والحديث فيها طويل ، ولذلك سوف نكتفي هنا بما ذكرناه كمثال على معرفة هؤلاء العلماء الأفاضل لقواعد البحث العلمي وامتلاكهم لأدواته ، وبقي أن نشير إلى اهتمام خلفاءالمسلمين بتوفير مراكز البحث العلمي في معظم المدن الكبرى ، وعنايتهم الفائقة بالعلماء وحثهم المستمر لهم على الابداع والانتاج وإثراء الفكر الاسلامي ، وذلك انطلاقا من اقتناعهم بأهمية البحث العلمي في رفع شأن الدولة الاسلامية وفي إعلاء راية التوحيد خفاقة بين شعوب العالم قاطبة .



تعريف الفتوى :

الفتوى من أفتى يفتى إفتاء ، وأفتى في المسألة أبان الحكم فيها ، والافتاء مصدر ، وهو بيان حكم المسألة ، والفُتْيا الفُتوى جمعها فتاوى وفتاو ، وهي الجواب عما يشكل من المسائل الشرعية ، أو هي الإخبار بالحكم الشرعي على غير وجه الإلزام ، بخلاف القضاء فهو الإخبار بالحكم الشرعي على وجه الإلزام ، والمفتي من يتصدى للفتوى بين الناس ، ويبين لهم حكم الله تعالى ، ويكشف لهم رأي الدين والشرع ، وعند علماء أصول الفقه : المفتي هو المجتهد .

ومن هنا يظهر محل الفتوى والإفتاء وعمل المفتي ، وأن الموضوع يتعلق بالأحكام الشرعية ، والعلم بها مسبقا ، وبيانها للناس عند السؤال ووقوع الحوادث والمسائل.

أهمية الفتوى :

الفتوى من المناصب الاسلامية الجليلة ، والأعمال الدينية الرفيعة ، والمهام الشرعية الجسيمة ، ينوب فيها الشخص بالتبليغ عن رب العالمين ، ويؤتمن على شرعه ودينه ، وهذا يقتضي حفظ الأمانة ، والصدق في التبليغ ، وإذا كان الكذب والافتراء

على الناس كبيرة وفاحشة، فكيف بالكذب والافتراء على الله تعالى ؟ وإذا كانت الخيانة وسوء الائتمان في أموال الناس وحقوقهم جريمة يعاقب عليها صاحبها ، ويستحق اللوم والازدراء ، وهي من أرذل الأخلاق وأسوأ الصفات ، فكيف بالخيانة وسوء الائتمان في قضايا الشرع وأحكام الدين ؟

وإذا كان الانسان يفتخر بأنه ممثل شخصي لرئيس دولة ، ويعتز أنه رسول وسفير له ، وأنه يتولى حفظ أسراره ، وتبليغ آرائه ، فكيف به وهو ينوب عن رب العالمين في الإخبار عن أحكامه ونشر دينه ؟ وإن عمل المفتي يشبه عمل الانبياء والمرسلين ، لأن العلماء ورثة الانبياء .

قال الامام النووي : « اعلم ان هذا الباب مهم جدا ... لعموم الحاجة إليه » ثم قال : « اعلم ان الافتاء عظيم الخطر ، كبير الموقع ، كثير الفضل ، لأن المفتي وارث الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، وقائم بفرض الكفاية ، لكنه معرض للخطأ ، ولهذا قالوا : المفتي موقع عن الله تعالى » .

وقال ابن المنكدر : « العَالِمُ بين الله تعالى وخلقه ، فلينظر كيف يدخل بينهم » .

وقال ابن القيم مبينا مكانة المفتي ومسؤوليته : « وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا ينكر فضله ، ولا يجهل قدره ، وهو من أعلى المراتب السنيات ، فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسموات ، فحقيق بمن أقيم في هذا المنصب ان يعد له عدته ، وأن يتأهب له أهبته ، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه ، ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصدع به ، فإن الله ناصره وهاديه ، وكيف ؟ وهو المنصب الذي تولاه رب الأرباب ، فقال تعالى : « **ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب** » النساء/ ١٢٧ ، وكفى بما تولاه الله بنفسه شرفا وجلالة ، إذ يقول في كتابه : « **يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة** » النساء/ ١٧٦ ، وليعلم المفتي عمن ينوب في فتواه ، وليوقن أنه مسؤول غدا ، وموقوف بين يدي الله » .

الأعراض المرضية للفتوى :

ومع هذه الأهمية للفتوى فإننا نلاحظ بعض الأعراض المرضية التي تنتابها ، كما نلاحظ بعض الأوبئة المحيطة بها ، وبعض المشاكل التي تعترضها ، وبعض الشوائب التي تعكر صفوها ، وتزيل هيبتها ، وتضيع مكانتها ، وتفقدها عظمتها ، كأن يتصدى للإفتاء غير المختصين بالشريعة الغراء ، أو يقوم بالفتوى من يفقد الأهلية لها ، أو ينبري لها من يعرف جانبا بسيطا من الدين والشرع ، ويغيب عنه أشياء وأشياء ، وقد يتطاول عليها من يبتعد عن الالتزام بأبسط قواعد الفقه ، ويفرط بأركان الدين ، وقد يتعرض لها المختص ولكن بالتساهل وعدم المبالاة ، وقد يستغلها بعض الناس لأهواء شخصية ، وأغراض مادية ، وأهداف وضيعة ، ومتاجرة بها ، وقد

يخوض فيها آخرون بالرأي والفكر كما يجول في قضايا الأعراف والعادات، ويتقول فيها فريق بحسن نية، وفريق بسوء قصد، وبعضهم بخبث طوية ودوافع دنية، وقد يقرأ احدهم كتابا في الفقه، أو يسمع حديثا، فيظن نفسه انه صار عالما يفتي الناس، ويرد على اسئلتهم، وإذا طرحت مسألة دينية سمعت من يقول: رأيي كذا، ويصح كذا، ويحرم كذا، ويحل كذا، ويقبل هذا، ويبعد ذلك، وكأن الناس تريد ان تسمع قوله، أو تطلب رأيه، ولا يخرج منه الا التشويش والتغبيش الى غير ذلك مما دعانا لبيان اهمية الفتوى، وحكمها الشرعي، وجمع طرف من أخبارها.

نظرة تاريخية:

أول من قام بوظيفة الإفتاء الأنبياء بعامة، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخاصة، وهو إمام المتقين، وقدوة المفتين، وخاتم النبيين، وأمين الله على وحيه، والمبلغ عنه دينه، فكان عليه الصلاة والسلام يبلغ احكام الله تعالى للناس، ويجاوب على اسئلة الصحابة فيما يتعلق بأمور الشرع، وكان المسلمون يقصدون بيت النبوة لسؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل ما ينزل بهم، ويستفتونه في أمورهم الخاصة والعامة، تنفيذا لقول الله تعالى: « **فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا** » النساء/ ٥٩، وكانت فتاويه ربانية إلهية، معتمدة على الوحي، وتبليغا عن رب العالمين، وتوجيها لأصحابه، وتشريعا للمسلمين، فأرسى بها قواعد الدين، وأوضح منهج الاسلام، وكان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتزمون بهذه الفتاوى والأحكام، ولا يحيدون عنها، ويتمثلونها بأفئدتهم وجوارحهم، وينقلونها إلى غيرهم.

ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، وانقطع الوحي، وترك للأمة كتاب الله وسنة رسوله، وتعلم الصحابة أحكام الشرع، وأصول الاستنباط، وقواعد الاجتهاد، وتربوا على الصراط القويم ـ صاروا خلفاء الرسول في كل أعماله إلا الوحي، وقام كبار الصحابة وعلماؤهم بالفتوى، وتولوا هذا العمل الشريف، وقصدهم بقية الناس من الصحابة والتابعين للتعلم منهم، والاستفادة من علمهم، وكان الصحابة بين مكثر من الفتوى، ومقل ومتوسط.

ثم قام بالفتوى بعد الصحابة الائمة والمجتهدون والقضاة، ولم يكن منصب الإفتاء معروفا في الدولة الاسلامية، ولم يكن مستقلا عن القضاء، وكان الناس يتجهون إلى العلماء والفقهاء يستفتونهم في أمور حياتهم، ويسألونهم عما يقع بينهم، ويطلبون حكم الله فيما أشكل عليهم، وكثيرا ما يتجه المتخاصمون إلى القاضي يستفتونه عن حكم الله فيما اختلفوا به، ومتى أخبرهم بذلك

اكتفوا به ، والتزموه وطبقـوه على انفسهم ، ثم صار علماء كل مذهب يفتون به متى سئلوا ، ومع توسع أعمال الدولـة الاسلاميـة ، وتطور إداراتها ومؤسساتها ، ظهر منصب الإفتاء بأمر السلطان سليم الأول في القرن العاشر الهجري سنة ٩٢٢هـ ، فنظم أمور الفتوى ، وبـدأ اختيار المفتين من العلماء المعروفين بسعة العلم ، والتزام الورع ، وقد يكون منتخبا من قبل العلماء أنفسهم ، ويعاونه عدد من المفتين الموزعين على العواصم والمدن الكبرى والمناطق ، وصار منصب الإفتاء منصبا رسميا ودينيا ، له مكانته في الحياة السياسية والاجتماعية والدينية ، ولم يبق علم المفتين محصورا بالاسئلة الموجهة من عامة الناس ، بل صار مرجعا أساسيا للدولة لمعرفة حكم الله تعالى في الوقائع الجـديدة ، والحـوادث الطـارئـة ، والتشريعات المقننة ، والاجتهادات المتنوعة ، وبدأ القضاة والمحامون يـرجعون الى المفتـين في القضايـا والدعاوى .

التحرز من الفتوى :

كان العلماء والفقهاء منذ زمن الصحابة ومن بعدهم يتحرزون من الفتوى ، ويقدرون عِظَمَ المسؤولية فيها ، ويحتاطون كثيرا عند إصدار الفتوى ، ويحاولون التهرب منها خوفا من الخطأ فيها ، ولا يقدمون عليها الا إذا تعينت عليهم ، فـلا يسعهـم السكوت في هذه الحالة خشية من كتم العلم ، وان الفتوى فرض كفاية ، وتنقلب إلى فـرض عين اذا تعـين المسؤول ، كما كان العلماء يتحلون بآداب الفتوى ، فلا يتسارعون فيها ، ولا يتساهلون في بيانها ، ولا يلجؤون الى التحايل فيها ، ولا يمارون في بيان الصواب ، ولا تأخذهم في الله لومة لائم ، ولا يحيدون عن الحق طمعا في مغنم او هربا من مغرم ، وقد وردت عنهم الـروايات الكثيـرة في هـذا الخصوص ، نقتبس جانبا منها .

قال البراء : لقد رأيت ثلاثمائة من أصحاب بدر ما فيهم من أحد ، إلا وهو يحب ان يكفيه صاحبه الفتيا ، وقال ابن ابي ليلى : أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا ، وهذا إلى هذا ، حتى ترجع إلى الأول ، وفي رواية : ما منهم من أحـد يحدّث بحديث إلا ودّ أن أخاه كفاه إياه ، ولا يستفتى عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا .

وقال سفيان بن عيينة : أعلم النـاس بـالفتيـا أسكتهم عنهـا ، وأجهلهم بها أنطقهم فيها ، وقـال ايضا : أدركت الفقهاء ، وهم يكرهون أن يجيبوا في المسائل والفتيا حتى لا يجدوا بدا عن أن يفتوا ، وقال : أدركت العلمـاء والفقهاء يتـرادون المسائل ، يكرهون أن يجيبوا فيها ، فإذا أعفوا منها كان أحب إليهم ، وقال عطاء بن السـائب التابعي : « أدركت أقواما يسأل أحدهم عن الشيء فيتكلم وهو يرعد » .

وقال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما : « من أفتى الناس في كل ما يسألونه عنه فهو مجنون » ، وقال ابو حصين الأسدي : « إن أحدهم ليفتي في المسألة لو وردت على عمر بن الخطاب لجمع لها أهل بدر » ، وكان شعار كثير من العلماء : لا أدري ، خشية الوقوع في الحظر والإثم ، وقال محمد بن عجلان : إذا أغفل العالم « لا أدري » أصيبت مقاتله .

وسئل القاسم بن محمد بن أبي بكر عن شيء ، فقال : لا أحسنه ، فقال السائل : إني جئت إليك ، لا أعرف غيرك ، فقال القاسم : لا تنظر إلى طول لحيتي ، وكثرة الناس حولي ، والله ما أحسنه ، فقال شيخ من قريش جالس إلى جنبه : يا ابن اخي ، الزمها ، فوالله ما رأيتك في مجلس أنبل منك اليوم ، فقال القاسم : والله ، لأن يقطع لساني أحب إليّ من أن أتكلم بما لا عِلْمَ لي .

وكان الإمام مالك يقول : « من أجاب في مسألة فينبغي ـ من قبل ان يجيب فيها ـ أن يعرض نفسه على الجنة والنار ، وكيف خلاصه في الآخرة ، وكيف يجيب فيها » وسئل الامام مالك عن مسألة ، فقال : لا أدري ، فقيل له : إنها مسألة خفيفة سهلة ، فغضب ، وقال : ليس في العلم خفيف ، اما سمعت قول الله تعالى :

« **إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا** » المزمل/ ٥ ، فالعلم كله ثقيل ، وخاصة ما يسأل عنه يوم القيامة .

وسئل الشعبي عن شيء ، فقال : لا أدري ، فقيل : ألا تستحيي من قولك لا أدري ، وأنت فقيه أهل العراق ؟ فقال : لكن الملائكة لم تستحي حيث قالت : « **لا علم لنا إلا ما علمتنا** » البقرة/ ٣٢ .

وقال الامام مالك : « إذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تصعب عليهم المسائل ولا يجيب احدهم في مسألة حتى يأخذ رأي صاحبه مع مارزقوا من السداد والتوفيق مع الطهارة ، فكيف بنا الذين غطت الخطايا والذنوب قلوبنا » .

حكم الفتوى :

الفتوى تعتريها الأحكام الشرعية **الخمسة** ، فتكون واجبة ومندوبة ومباحة ومكروهة وحراما بحسب الأحوال ، وأهم هذه الأحكام الوجوب والحرمة لما يترتب عليهما من عمل جليل وثواب عظيم أو إثم كبير وخطر جسيم .

فالفتيا فرض وواجب ، لأنها مجال لتبليغ شرع الله ودينه ، وتعليم لأحكامه ، وبيان لمنهجه وسنته ، وفي هذه الحالة يثاب فاعلها إن قام بها حق القيام ، وأداها أداء صحيحا ، لما روى الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نضر الله امرأ أسمع منا شيئا فبلغه كما سمعه ، فرب مبلغ أوعى من سامع » ، ويحرم على العَالِم في هذه الحال ترك الجواب ،

ويعاقب امام الله تعالى على الإعراض والكتمان لما روى أبو داود والترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من سئل عن حكم فكتمه ألجم بلجام من نار » ، وإذا كان في البلد مُفْتٍ واحد كانت الفتيا عليه فرضَ عين ، لأنه تعين لهذا العمل ، وإذا كان في البلد مفتيان فأكثر فالفتيا فرض كفاية على كل منهم ، إذا قام بها أحدهم تحقق الغرض والهدف منها ، وإذا تركها الجميع أثموا ، وترك الفتيا لأحدهم عند كثرة العلماء والمفتين أفضل للورع والخطر والخوف من التقصير ، والقصور ، أما إذا كان الشخص لا يعلم المسألة ، أو كان جاهلا بالأحكام الشرعية ، فالفتوى حرام ، ويأثم فاعلها ، لقوله تعالى :

« ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفترو على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون » النحل/ ١١٦ .

ويجب على المفتي ان يتثبت في الافتاء ، فيتمعن بالمسألة ، ويعرف مغزاها ، ويقلبها من مختلف جوانبها ، ثم يبحث عن الحكم الشرعي الوارد فيها ، ويبينه للناس بدون زيادة ولا نقص ، وبدون تحريف او تبديل ، وبدون لَفٍ أو دوران ،

ويخبر عن الحكم الشرعي بدون توقف او مواربة او مجاملة ، لان المستفتي انما يطلب حكم الله تعالي ، ويريد معرفة الشرع ، وإلا لما قصد المفتي والعالم والفقيه ، ولو كان الجواب غير موافق لمصلحة السائل وهواه ومطامعه .

ويحرم على المفتي ان يتساهل في الفتوى ؛ كأن يسرع في الجواب قبل الفهم الدقيق الشامل للسؤال ، والموضوع ، وقبل التدبر لما يقول ، وقبل استيفاء الفكر والنظر ، وهو ما حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال - فيما رواه الدارمى : - « أجرؤكم على الفتوى أجرؤكم على النار » ، كما يحرم استفتاء من عرف بالتساهل بالفتوى .

ويحرم على المفتي ان يفتي الناس والحكام بحسب اهوائهم وأغراضهم ومصالحهم بما يخالف أحكام الشرع ، فيحل الحرام ، ويحرم الحلال ، ويعطى الحقوق لغير اصحابها ، وهو في هذا المجال كالقاضي تماما ينطق بالحق ، ويحكم بالعدل ، ويقيم شرع الله ، ويجتنب الميل للمستفتي على خصمه وقد استحق بنو اسرائيل اللعنة لهذا التحايل على أمور الدين ، فقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم : « لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها وباعوها واكلوا ثمنها » ومعنى جملوها : أذابوها ، والإثم الأكبر في هذه الحالة يقع على المفتي إذا كان السائل حسن النية ، ولا يعرف وجه الحق والثواب ، وإلا اشتركا في الإثم ، قال ابن السمعاني

« المفتي من استكمل **ثلاثة شروط** : الاجتهـاد والعـدالـة والكف عن الترخيص والتساهل » .

وهذا ما حذر منه الامام سحنون ، فقال : « أشقى الناس من باع آخرته بدنياه ، وأشقى منه من باع آخرته بدنيا غيره » وهذا ينطبق على المفتي الذي يبيع آخرته بدنيا غيره ، كأن يأتيه رجل حنث في يمينه أو طلق امرأته ، فيقول المفتي : لا شيء عليك ، فيذهب الحانث فيتمتع بماله وامرأته ،

ويبقى الإثم على المفتى ، وسأل رجل الامام سحنون مسألة ، فتردد إليه فيها ثلاثة أيام ، فقال : وما أصنع لك يا خليلي ، ومسألتك هذه معضلة ،

وفيها أقاويل ، وأنا متردد في ذلك ؟ فقال له : وانت ، أصلحك الله ، لكل معضلة ، فقال له سحنون : « هيهات يا ابن اخي ، ليس بقولك هذا ابذل لك لحمي ودمي إلى النـار » ، وقيـل لسحنون : أنك تسأل عن مسألة ، لو سئل عنها بعض أصحابك أجاب ، فتتوقف فيها ، فقال : فتنة الجواب بالصواب أشد من فتنة المال .

وإن التسرع بالفتوى سبيل للخطأ والوقوع في الزلل ، لذلك قال الخليل ابن أحمد : إن الرجل ليسأل عن المسـألـة ، ويعجـل في الجـواب ، فيصيب ، فأذمه ، ويسأل عن مسألة فيثبـت في الجـواب ، فيخطـيء ، فـأحمده ، وقـال ابوبكـر الخطيب البغدادي : قل من حرص على الفتوى وسابق اليها ، وثابر عليها ، إلا قل توفيقه ، واضطرب في أمره ، وإذا كان كارها لذلك ، غير مختار له ، ما وجد مندوحة عنه ، وقدر أن يحيل بالأمر فيه على غيره ، كانت المعونة له من الله أكثر ، والصلاح في جوابه وفتيـاه أغلب .

كما يحرم على المفتي ان يتتبع الحيل المحرمـة او المكروهـة ، او يتمسك بالشبهة لأغراض فاسدة ،

ليفتي بالترخيص والتسهيل لمن يطمع في نفعه او التقرب إليه ، أو أن يصنع عنده يدا ومعروفا ، او يفتي بالتغليظ والشدة على من يقصد ضره وإيذاءه ، فتكون الفتوى بحسب الأشخـاص والأهواء والأغراض ، والعياذ بالله ، وإن فعل المفتي ذلك سقطت عدالته ، وصار في عداد الفاسقين ..

أما إن قصد المفتي اللجوء الى حيلة لا شبهة فيها ، ولا يترتب عليها مفسـدة ، ليخلص السـائـل من معضلة ، فيجوز له ذلك ، لقوله تعالى لأيوب عليه السلام : « **وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث** »

سورة ص/ ٤٤ ، لما حلف ليضربن امرأته مائة جلدة ، وهي لا تحتمل ذلك ، ومن هنا قال سفيان الثوري : « إنما العلم عندنا الرخصة من ثقة ، اما التشديد فيحسنه كل أحد » .

وتصبح الفتوى محرمة ايضا إذا أحـاطت بهـا المغـريـات المـاديـة والمعنوية ، كأن يقصد المـرء منها السمعة والرياء ، وان يتظاهر بمماثلة

الأفاضل والنبلاء ، وأن يتطلع إلى مكانة العلماء المشهورين ، والفقهاء المتبحرين ، والأئمة السابقين الراسخين .

وقد يغتر بعضهم بالتفاف الناس حولهم ، وتوجه الأنظار اليهم ، وانعكاف الجهال عليهم ، وإطراء العوام لهم ، وسخاء المرتزقة بالألقاب والنعوت ، وأشد هؤلاء المفتين إثما من يتولى هذا المنصب الرسمي أمام الأمة والجماهير ، فيفتي الحكام بما يطلبون ، فيحلل الحرام ، ويحرم الحلال ، او يسكت على الباطل ، وهو مكلف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وتحرم الفتوى على الجاهل الذي لا يعرف احكام الله معرفة صحيحة ، ويكون آثما في فتواه لعدم توفر شروط المفتي وصفاته وأهليته فيه ، ولا يعرف الصواب من الخطأ ، ولا الصحيح من السقيم ، ويفتري على الله الكذب ، ويشرع بحسب الهوى ،

وهو ما حذر منه القرآن الكريم ، فقال تعالى : » **فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين** » القصص/ ٥٠ .

ويؤيد ذلك ماروواه الامام احمد وابن ماجه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «**من أفتى بفتيا غير ثبت ، فإنما إثمه على الذي أفتاه**» وفي لفظ لأحمد وأبي داود « من أفتى بفتيا بغير علم كان إثم ذلك على الذي أفتاه » وروى ابن الجوزي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماء ، وملائكة الارض» وهذه الأحاديث الثلاثة ضعيفة ، ولكن ذكرناها للاستئناس ومزيد البيان تأكيدا للمعنى الثابت في الآية والأحاديث الصحيحة .

وحذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من العلماء الجهال ، وبين خطرهم على أنفسهم وعلى الأمة ،

فقال - فيما رواه البخاري ومسلم والترمذي - : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الرجال ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ،

فإن لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا ، فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا » .

كما يحرم على غير العالم أن يفتي نفسه وغيره ، ويجب عليه سؤال أهل العلم ، وقرر الفقهاء عقوبة المفتي الجاهل ، وطلبوا من ولي الامر منعه ،

كما فعل بنو أمية ، وقرن الفقهاء عقوبته مع الطبيب الجاهل ، والمكري المفلس بطلب الحجر عليهم ، لأن الطبيب يصف الدواء لمرض الأجساد ، والمفتي يداوي أدواء النفس والروح ، والجسم والمجتمع ،

والفرد والأمة ، ويصف لهم الدواء الرباني الإلهي ، وخطأ الطبيب قد يلحق الأذى بالمريض نفسه في

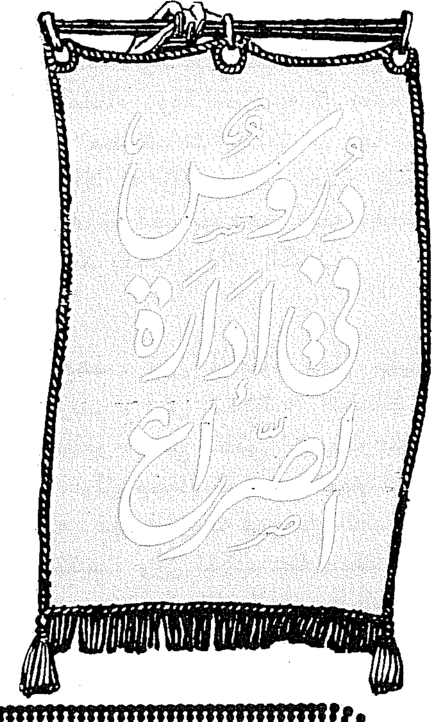
جسمه ، لكن خطأ المفتي يلحق الضرر الأكيد بالناس جميعا ، لذلك كتب سليمان الى أبي الدرداءَ قائلا : « بلغني أنك قعدت طبيبا فاحذر أن تقتل مسلما » ، وقال ابن بدران : « ويمنع عندنا وعند الأكثر من الإفتاء من لم يعرف بعلم ، أو كان حاله مجهولا ، ويلزم ولي الأمر منعه » وقال ربيعة : « بعض من يفتي أحق بالسجن من السراق » .

وأخيرا لا يجوز للمفتي والعامي أن يختار من كل مذهب ماهو الأهون والأخف عليه ، وان يتتبع الرخص ، وقد ورد النكير من العلماء على من فعل ذلك ، فقال ابو اسحاق المروزي الشافعي : يفسّق ، وروى البيهقي عن الاوزاعي أنه قال : من أخذ بنوادر العلماء خرج عن الاسلام ، وحكى البيهقي عن اسماعيل القاضي قال : دخلت على المعتضد فرفع إليّ كتابا لأنظر فيه ، وقد جمع فيه الرخص من زلل العلماء ، وما احتج به كل منهم ، فقلت : مصنف هذا زنديق ،.. وما من عالم إلا له زلة ، ومن جمع زلل العلماء، ثم أخذ بها ذهب دينه ، فأمر المعتضد بإحراق ذلك الكتاب .

وبعد : فإن الإفتاء عمل جليل وشريف ، لكن تحوطه المخاطر والمحاذير ، وعلى المفتي ان ينظر بنور الله ، وأن يجعل شرعه القويم أمام عينيه ، فإن التزم به فهو على الصراط المستقيم ، وإن تنكب عنه سقط الى الجحيم ، نسأل الله العفو والعافية ، وان يرزقنا السداد والتوفيق ، والالتزام بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .



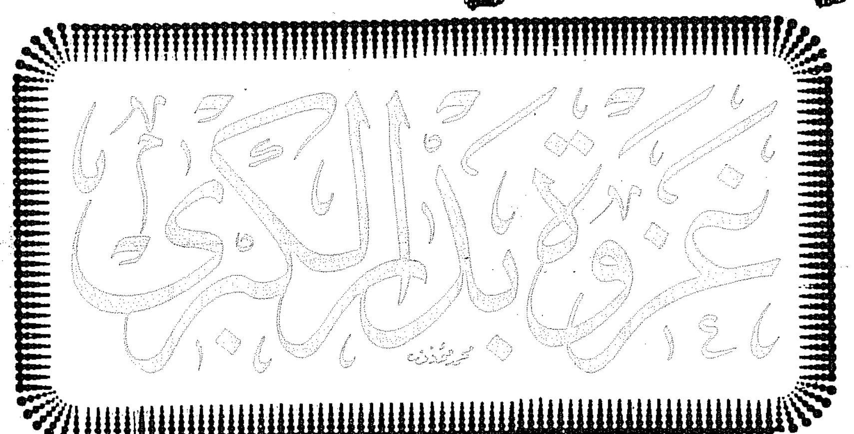
قال تعالى : (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) آل عمران/١٣٣ ـ ١٣٦ .



اللواء أ. ح/

محمد جمال الدين محفوظ

عضو المجلس الأعلى للشئون الاسلامية



المسلمون اليوم في حاجة إلى تدبر دروس التاريخ، ففيه العبرة التي يسترشد بها والتجارب التي ينتفع بها، والله عز وجل يقول: (**فاعتبروا يا أولي الأبصار**) «الحشر/ ٢» ولقد حرص المسلمون الأوائل على دراسة التاريخ وتعليمه لأبنائهم، قال زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم: «كنا نعلَّم مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نعلَّم السور من القرآن»، وقال إسماعيل ابن محمد بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «كان أبي يعلمنا المغازي والسرايا ويقول: «يابني إنها شرف

آبائكم فلا تضيعوا ذكرها »

ولقد حفلت غزوة بدر الكبرى - أولى صفحات التاريخ العسكري الاسلامي - بدروس نافعة في مجال إدارة الصراعات ، تستحق أن نتأملها ونتدبرها نذكر منها ما يلي :

الدرس الأول :
الاعلام بحقائق الموقف:

لقد كان تفوق المشركين على المسلمين عددا تفوقا كبيرا بلغت نسبته ثلاثة إلى واحد ، فماذا فعل الرسول صلى الله عليه وسلم في مواجهة هذا الموقف من زاوية الإعلام ؟ مع هذه المستجدات . فهذه أول مواجهة عسكرية حاسمة بين المسلمين والمشركين .

وفي خروج المشركين وقتالهم للمسلمين تهديد خطير للدين في موطنه الجديد بعد فشلهم في القضاء عليه بمكة هذا فضلا عن تفوقهم الظاهر .

والنتائج التي سوف تسفر عنها المعركة ، سوف يكون لها آثار بعيدة المدى على الدعوة ومستقبلها وعلى هيبة المسلمين ، فذلك ما عبر الرسول صلى الله عليه وسلم عنه حين دعا ربه قبل المعركة : « اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لا تعبد في الأرض » .

هنا يعلمنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن القيادة الرشيدة هي التي تبصر شعبها بالحقائق عن حجم التحدي الذي يواجهه ، وشدة الخطر الذي يتهدده ، ثم تتخذ - في الوقت نفسه - من التدابير ما يمكنها من مواجهة الخطر بثبات واقتدار ومن التغلب على تفوق العدو أو تجريده من فاعليته :

١- فحين علم عليه الصلاة والسلام بخروج قريش عن بكرة أبيها للقتال قال :
« هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ أكبادها » .

٢- وحين استطاع من استجواب (استنطاق) الرجلين اللذين اسرهما رجال الاستطلاع أن يستنبط القوة العددية لقريش ، قال : « القوم بين التسعمائة والألف » ، وقد قال ذلك وهو يعلم بأن قوة المسلمين ثلث هذا العدد .

٣- وحين عرف من وسائل الاستطلاع أن العدو أصبح قريبا جدا من بدر أعلن أنه : « وراء الكثيب بالعدوة القصوى » .

والرسول بهذا الدرس يكشف لنا الخطأ الفاحش الذي يقع فيه الذين يخفون الحقائق في مثل هذا الموقف عن رجالهم فلا يعلنون شيئا عن تفوق العدو عليهم بحجة أنهم يخشون من أن تهبط روحهم المعنوية ، دون أن يدركوا أن تلك السياسة الإعلامية القاصرة ، سرعان ما تكون وبالا عليهم عندما يدخل الرجال المعركة ، فينكشف المستور ، ويفاجأون بتفوق عدوهم ، فيكون وقع المفاجأة أشد تدميرا لمعنوياتهم من « موضوع » التفوق ذاته .. ثم يدركون - ولكن بعد فوات الأوان - ان إعلان الحقائق مع الاعداد والاستعداد واتخاذ التدابير المناسبة ، يجعل الرجال يعرفون

مواقع أقدامهم ، ولا يضربون في المجهول : **(أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم)** « الملك/ ٢٢ » .

الدرس الثاني : حشد الموارد المتاحة وحسن استغلالها :

واتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم ـ في الوقت نفسه ـ كل التدابير التي تمكنه من القضاء على مزية التفوق لدى عدوه ، وكان على رأس هذه التدابير حشد موارده المتاحة من الرجال والسلاح واستثمارها بأعلى درجات التنظيم والادارة والاقتصاد في القوى ، وهذه من أهم المبادىء التي يقوم عليها علم الادارة الحديثة لتحقيق الأهداف بكفاءة وقد ظهر ذلك فيما يلي :

إحكام السيطرة على الموارد :

إن السيطرة المحكمة على الموارد المحدودة هي أول ما يؤدي ويساعد على استغلالها على النحو الذي لا يدع شيئا منها يضيع هباء ، ولقد كانت سيطرة الرسول صلى الله عليه وسلم على موارده في بدر في غاية الإحكام : فقد اتخذ لنفسه مركز قيادة (العريش) يشرف منه على المعركة بصفته القائد العام
ونظم الجيش في كتيبتين ، الأولى كتيبة المهاجرين بقيادة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، والثانية كتيبة الأنصار بقيادة سعد بن معاذ ـ رضي الله عنه ـ وهذا التقسيم يزيد من إحكام السيطرة ، ونظم الجيش في صفوف منتظمة حرص على تسويتها بنفسه ، وواضح أن تشكيل الصف أفضل ـ من حيث سيطرة القائد ـ من تشكيل الكر والفر الذي جرت عليه عادة العرب في القتال ، ثم أكمل عليه الصلاة والسلام سيطرته على الجيش بأن أصدر تعليمات للقتال تضمن له أن تكون مراحل المعركة وأعمال المقاتلين تحت إشرافه المباشر ووفق أمره وإذنه .

حشد الموارد مع الاقتصاد في القوى :

بعد أن نظم الرسول صلى الله عليه وسلم الصفوف أصدر الأمر التالي : « إذا أكثبوكم (أي اقتربوا منكم) فارموهم ، واستبقوا نبلكم » (البخاري ج ٥/ ٩٩) وفي رواية أخرى : « لا تقاتلوا حتى أوذنكم ، وإن اكتنفوكم فارموهم ، ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم » (الواقدي : مغازي رسول الله ص ٤٨)

وبمقتضى هده التعليمات يبدأ المسلمون اولا بقذف السهام (فارموهم) والسهام هي السلاح بعيد المدى ، فإذا ما أصبح العدو قريبا إلى حد الالتحام ، يتحولون إلى « السيف » وهو سلاح الالتحام (ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم) .
إنه تنظيم دقيق يكفل استغلال طاقات السلاح بعيد المدى بأكبر حشد

أولا ، ثم ينتقل إلى السلاح قصير المدى بأكبر حشد أيضا ، وفي الوقت المناسب تماما ، وبذلك تتحقق أكبر النتائج ، ولا يحدث الخلط الذي تذهب معه طاقات كل من السلاحين سدى .

أما عن تطبيق مبدأ الاقتصاد في القوى ، فلقد كانت ذخيرة المسلمين في بدر (السهام) محدودة للغاية بالنسبة إلى قوة عدوهم المتفوقة ، فكان لابد من ترشيد استهلاكها بطريقة اقتصادية ، وذلك ما ينطوي عليه قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « واستبقوا نبلكم » فهو يعني أمرين :

الأمر الأول : تأخير قذف السهام من القسيّ حتى يقترب الأعداء ، فلا يرميها المسلمون على العدو وهو بعيد ، وفي هذا التوجيه ضمان لدقة التصويب فلا يطيش من سهام المسلمين سهم ، بل يكون « كل سهم برجل » من الأعداء .

والأمر الثاني : استخدام الذخيرة بأكبر حشد في أقصر وقت ممكن وذلك عند اقتراب العدو ، الأمر الذي يكبده أكبر قدر من الخسائر بسبب دقة التصويب وبذلك تتحقق « أعظم النتائج بأقل التكاليف » .

الدرس الثالث : ثقل وحدة الصف في ميزان القوى :

لقد كان هناك خلل واضح في ميزان القوى بين الطرفين في بدر لصالح المسلمين من حيث وحدة الصف والهدف من قبل أن تبدأ المعركة . فالمتأمل في أحوال قريش قبل القتال يكتشف أنها خرجت لقتال المسلمين تحمل عاملا من أهم عوامل الهزيمة وهو « تضارب الأراء وتفرق الصفوف » رغم تفوقها الظاهر عليهم في العدد والسلاح .

فقد أرسلت قريش قبل المعركة من يستطلع لها قوة المسلمين ، فرجع ليخبرهم أنهم ثلاثمائة رجل يزيدون قليلا أو ينقصون ، ولا كمين لهم ولا مددا ، ولكنهم قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم ، فلا يموت منهم رجل قبل أن يقتل رجلا مثله ، وتضاربت آراء قريش :

فمنهم من أراد الرجوع ومن هؤلاء بنو زهرة الذين رجعوا فعلا .

ومنهم من أراد البقاء لقتال المسلمين ، وكان على رأس هؤلاء أبوجهل فقال : « والله لا نرجع حتى نرد بدرا ، فنقيم عليه ثلاثة ، ننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها » .

ومنهم من أصابه التردد مثل عتبه بن ربيعة ، إذ أنه مال إلى الأخذ بما نصحه به قومه أن يرجع بالناس ، فرماه أبو جهل بالجبن فأخذته الحمية ، وقرر البقاء للقتال من قبيل التحدي .

ثم إن قريشا ذكرت ما كان بينها وبين بني كنانة من الحرب والحزازات ، فخشوا أن تضربهم كنانة من الخلف ، وكاد هذا المحذور يقعدهم عن الخروج لولا ان جاء مالك بن

جعشم المدلجي وكان من أشراف بني كنانة ، فقال : « أنا جار لكم من أن تـأتيكم كنانـة من خلفكم بشيء تكرهونه » .

كان هذا حال قريش ، بينما كان حال المسلمين يختلف عن ذلك تماما : فقد اتحدت كلمة المسلمين مهاجرين وأنصارا على الخروج وعلى مواجهة قريش ، فحينما شاور الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه ، قال المقداد ابن عمرو عن المهاجرين : « يا رسول الله أمض لما أمرك الله فنحن معك ، والله لا نقول كما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون » .

وقال سعد بن معاذ عن الأنصار :

.. امض لما أردت فنحن معك فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، إنا لصبر في الحرب ، صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقربه عينك ، فسر بنا على بركة الله » .

ولابد أن نذكر هنا ان اتحاد كلمة المهـاجـرين والأنصـار في الصف والهدف في مواجهة الخطر لم يكن وليد ساعته ، ولكنه كان ثمرة للمؤاخاة التي حققها بينهما الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة إلى المدينة ، ومن قبل ذلك كان اتحاد كلمة الأنصار من أوس وخـزرج ثمرة لتـوحيـد صفوفهما في ظل الاسلام بعد صراع طويل بينهما في الجاهلية .

واذا كانت قريش قبل خروجها تخشى أن تأتيها ضربة من خلف ، فإن المسلمين خرجوا وابتعدوا عن المدينة حوالي ١٦٠ كيلو مترا دون أن يخشوا أن تأتيهم ضربة من خلف ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم بسياسته الـرشيـدة وعبقـريتـه السيـاسيـة والادارية والعسكرية جعل من المدينة بعد الهجرة قاعدة وطيدة صلبة ، وجبهة موحدة ،ونظم لأهلها جميعا أمور حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية بمقتضى ميثاق المدينة .

الدرس الرابع :
المجـاهـدون الصـادقـون لا يقهرون :

وصف المشير مونتجمري - وهو يؤرخ للحـروب عبـر التـاريـخ - المسلمين ، بأنهم « قوم لا يقهرون » ونوه بشجاعتهم وإقدامهم وحشدهم لقواتهم ، ولم يفته - وهو الباحث الخبير - أن يكشف عن السر وراء ذلك كله فقال :

« كان العرب يندفعون نحو القتال ، تحركهم أقوى دوافع الحرب ألا وهي العقيـدة والايمـان ، ومثـل هـذه النبضات المتلاحقة لم يكن من السهل أن تخبو سريعا ، فالكثيرون منهم وخاصة في المراحل الاولى للفتوحات الاسلامية كانوا يؤمنون إيمانا راسخا بالدعوة الاسلامية ويتحمسون لها ويغـارون عليهـا ، وأدى هـذا إلى اعتناقهم مبدأ صلبا هو الجهاد في سبيل الله ، وقد تغلغل هذا المبدأ في قلوب أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم »

ولقد حفلت غزوة بدر بصور رائعة

لقوة الايمان ورسوخ العقيدة التي ملأت قلوب المسلمين ثباتا واستبسالا في لقاء عدوهم المتفوق عليهم ، حسبنا أن نذكر أن أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قتل أباه في المعركة ، وأن عبدالرحمن بن أبي بكر كان من المشركين فقال لأبيه أبي بكر الصديق بعد إسلامه : « لقد صدفت لي يوم بدر فلم أقتلك » ، فقال أبوبكر رضي الله عنه : « والله لو صدفت لي لقتلتك » فما الذي يدعو إلى أن يقتل الابن أباه ، والأب ابنه غير قوة الايمان والعقيدة الراسخة ؟

إن قوة الايمان والعقيدة تملأ قلب المسلم بأقوى الدوافع النفسية نحو الاستبسال في قتال العدو الذي ليس له من تلك الدوافع دافع واحد يستند إليه ويقاتل من أجله .. ولاشك في أن هذا مما ترجح به موازين المجاهدين في مواجهة الاعداء ، فإن الدوافع النفسية الصادقة تحارب إلى جانب أصحابها كما يحارب الجندي إلى جانب صاحبه ، ولهذا كان الاسلام حريصا على أن يزود المسلمين بتلك الدوافع التي تملأ نفوسهم حمية واستبسالا .

ولهذا كان تقييم المسلم في الحرب مقدرا بما في نفسه من مبادىء يحارب عنها ، وأسباب تدعوه إلى خوض هذه الحرب ، وهذا ما نجده في قول الله تعالى : **(يأيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون)** « الأنفال/ ٦٥ »

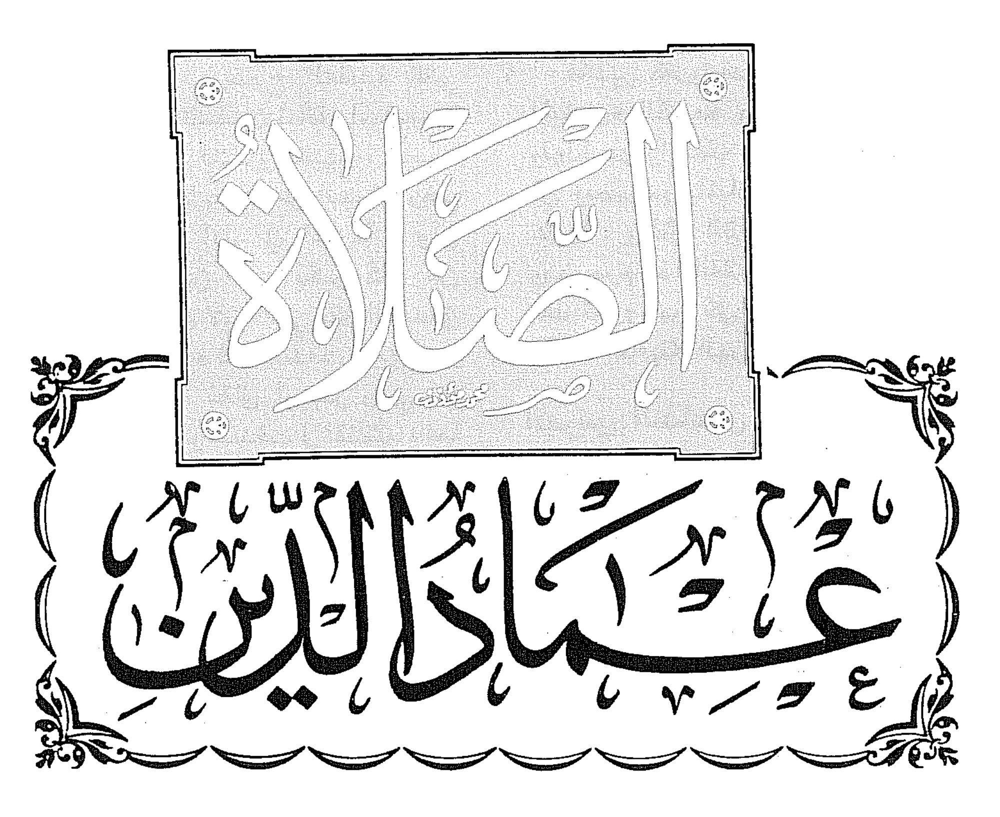
فالذين كفروا قد خلت نفوسهم من المبادىء الكريمة والدوافع الصادقة ولهذا حرموا الفقه الذي كان من شأنه أن يبصرهم بالمبادىء التي يقاتلون عليها ، والمثل التي يدافعون عنها ، ومن حرم هذا الفقه في مجال الحرب ، فقد تعرى من كل سلاح يدافع به ، وكانت عاقبته الهزيمة والبوار .

الدرس الخامس :
شجاعة القيادة في مواجهة الخطر :

ولقد قدَّم الرسول القائد صلى الله عليه وسلم المثل الرفيع على شجاعة القيادة والقائد في مواجهة الخطر وقهره :

١ـ فقد واجه في بدر معركة يطلق عليها رجال الحرب « معركة غير متكافئة » وقد يتخلى كثيرون من القادة عن فكرة القتال فيها ، لكنه عليه الصلاة والسلام يعلم المسلمين ان المجاهد الصادق الذي يعد العدة الكافية لا يمكن أن يقهر لأن الله تعالى يكون معه ولأنه وعده بالنصر **(وكان حقا علينا نصر المؤمنين)** « الروم/ ٤٧ » .

٢ـ وفي المعركة كان مثالا لشجاعة القائد ، فوصفه علي رضي الله عنه بقوله : كنا إذا اشتد الخطب واحمرت الحدق ، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ، ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو (رواه أحمد والنسائي) ».



للدكتور/ محمد محمد الشرقاوي

الدين في استعمالات اللغة يطلق على **عدة معان** : منها الطاعة والعبادة والجزاء ، والحساب ،فهو من قبيل المشترك اللفظي الذي يتوحد لفظه وتتعدد معانيه على الحقيقة .. وفي اصطلاح علماء التوحيد : أصول وفروع وضعها الله تعالى متضمنة ثوابا وعقابا يسوقان ذوي الألباب إلى إيثار ما هو خير على وجه الاختيار المحمود .. وسمي من هذا الوجه دينا لأننا ندين له بالطاعة والانقياد ، كما يسمى **ملة** من حيث إنه يملى على الرسول صلى الله عليه وسلم من الروح الأمين إملاء .. كما ان الرسول صلى الله عليه وسلم يمليه علينا بكل دقة وعناية ..

كما يسمى : **شرعا** .. **وشريعة** .. من حيث إن الله تعالى بينه لنا تبيينا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم .. فالشارع في الحقيقة هو الله تعالى .. والشارع في المجاز هو رسوله صلى الله عليه وسلم .. وهو يختلف عن القوانين التي وضعها البشر في شتى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية .. وان كان الله تعالى خالقا لكل شيء . إلا أن للبشر

في هذه الأخيرة كسبا يضاف إليهم .. أما الدين فليس للبشر أي كسب في وضعه ولا إنشائه .. وإن كان للمجتهدين من الفقهاء كسب في استنباط بعض أحكامه التي لم يرد فيها بعينها نص صريح في كتاب أو سنة .. عن طريق كشف حكم الله في القضية بالقياس على نظرائها وأمثالها مما ورد فيه نص من كتاب أو سنة .. بواسطة الاشتراك في العلة التي هي ليست من وضعهم ولا من انشائهم وابتكارهم .. وإنما هي نتيجة البحث عنها والتنقيب عليها والاشراك فيها .. **وأمور الدين أربعة** - كما قال النووي (الجوهرة/٢٣) .. أي علامات وجود الدين في المتدين ، وصدقه في دعواه التدين : **أولها** : النية الخالصة المخلصة ، **وثانيها** الاتيان الفعلي الظاهري بالفرائض والواجبات المقررة ، **وثالثها** : اجتناب كل المحرمات المحظورة ، **ورابعها** : الاعتقاد الجازم الذي لا يتطرق إليه الشك عن قناعة ورضا واستدلال ولو إجماليا بعقائد الاسلام ، وأولها **التوحيد** : وهو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتصديق بها من صميم القلب ذاتا وصفات وأفعالا ..

فليس هناك ذات تشبه ذاته تعالى ، ولا تقبل ذاته الانقسام لا فعلا ولا وهما ولا فرضا مطابقا للواقع ، ولا تشبه صفاته الصفات ، ولا تتعدد فيها من جنس واحد .. بأن يكون له تعالى قدرتان مثلا ، ولا يدخل أفعاله الاشتراك . إذ لا فعل لغيره سبحانه خلقا ، وإن نسب إلى غيره كسبا أو اكتسابا ، والتوحيد أشرف العبادات على الاطلاق وهو أصل أصول الدين وفروعه وباعتباره يقال : دين الحق .. أو الدين .. ويراد به ما يشمل الايمان والاسلام جميعا .. باعتبار أن الاضافة في دين الحق تحتمل **أمرين** : إما على معنى اللام فيكون معنى الحق هو الله ، وإما للبيان .. فيكون الدين هو الشيء الثابت المطابق للواقع ، وقد يفرد الدين ويكتفى (بأل) .. وتكون بمعنى استكمال كل خصائص الأديان السماوية ما سبق منها وما لحق .. أي الدين الكامل المستجمع لكل صفات الإحاطة والشمول لمصالح الدنيا والآخرة .. ويلي التوحيد في الفضل الصلاة .. كما في حديث أبي سعيد الخدري (الجوهرة/٢٠) : « **إن الله تعالى لم يفرض شيئا أفضل من التوحيد والصلاة ، ولو كان شيء أفضل منه لافترضه على ملائكته منهم راكع ومنهم ساجد** » **وقد فرضت الصلوات الخمس في ليلة الإسراء والمعراج قبل الهجرة بسنة واحدة على الصحيح .. والأرجح أنه لم يفرض عليه صلى الله عليه وسلم قبلها صلاة .. وانه كان يصلي قبل فرضيتها ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي على دين أبيه إبراهيم عليه السلام على سبيل التعبد الطوعي ، والصلاة ، هي معلومة من الدين بالضرورة بحيث يكفر جاحدها ، ويفسق تاركها ، دل عليها الكتاب العزيز** : **(وأقيموا الصلاة)** : أي حافظوا على أدائها بكل واجباتها وسننها وكمالاتها

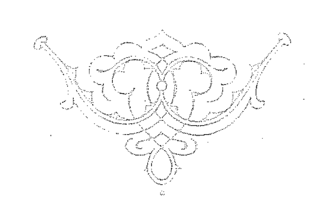
وخشوعها وخضوعها في أوقاتها ، وفي آية أخرى : (**إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا**) النساء/١٠٣ أي محتمة مؤقتة بأوقات ذات أوائل وأواخر ، وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فرض الله على أمتي ليلة الإسراء خمسين صلاة فلم أزل أراجعه ، وأسأله التخفيف حتى جعلها خمسا في كل يوم وليلة » ،

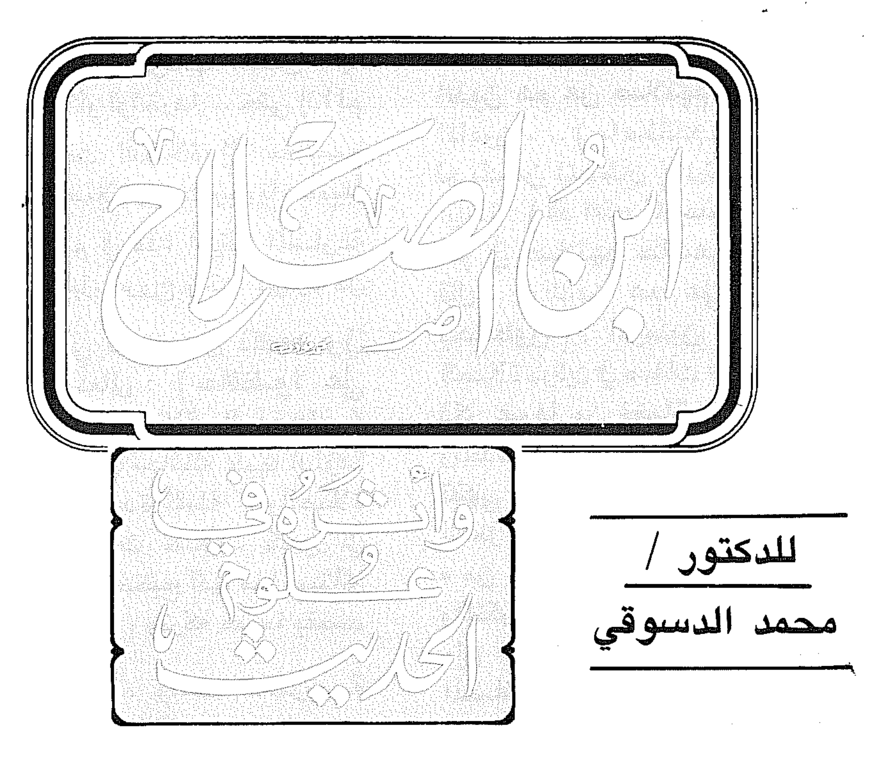
وقال صلى الله عليه وسلم لأعرابي سأله : (هل علي غيرها) قال : « لا .. إلا أن تطوع » وقال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن معلما : « أخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة » .. الاقناع جـ١ : ١٦١ - وهي واجب عيني لاكفائي على الرجال والنساء البالغين العقلاء .. وترفع عن الحائض والنفساء أيام عذرهما ولا إعادة عليهما .. وإن كانا يعيدان الصوم لأنه عبادة سنوية ، والصلاة عبادة يومية متكررة فترفع عنهما في حال العذر ، رفقا بهما ، ورفعا للحرج والمشقة عنهما .. ولم تذكر الجمعة في ضمن الفرائض الخمس لأنها عبادة مستقلة بنفسها وليست بدلا عن الظهر على القول الراجح .. وفي شرح المسند للرافعي : أن الصبح كانت صلاة آدم عليه السلام ، والظهر كانت صلاة داود ، والعصر كانت صلاة سليمان ، والمغرب كانت صلاة يعقوب ، والعشاء كانت صلاة يونس ،

وأورد في ذلك خبرا يدعم قوله : فجمع الله تعالى جميع ذلك لنبينا صلى الله عليه وسلم ولأمته .. تعظيما له .. وتكثيرا لأجر أمته .. وكان أولها ظهورا وأداء : صلاة الظهر .. ولذا سميت ظهرا .. فهي أول صلاة ظهرت في الاسلام .. وكان المفروض أن تكون الصبح أسبق فيها ظهورا ، لأن الصلوات فرضت ليلة الإسراء ، وقد أجاب صاحب الاقناع ج١/١٦٢ .. **بجوابين** : الأول أنه وقع التصريح بأنها أول الصلوات الخمس وجوبا - ذكره في المجموع - والثاني : أن الإتيان بالصلاة يتوقف على بيانها ، ولم تتبين إلا عند الظهر ، ولم يذكر القرآن الكريم أوقاتها تفصيلا ، ولكنه أشار إليها بقوله تعالى : (**فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون * وله الحمد في السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون**) ١٧ و١٨ الروم .. قال ابن عباس : (أراد بحين تمسون صلاة المغرب والعشاء ،

وبحين تصبحون صلاة الصبح ، وبعشيا صلاة العصر ، وبحين تظهرون صلاة الظهر) ، وقد حدد له جبريل عليه السلام أوقات الصلوات الخمس بدءا ونهاية .. وقال في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما رواه أبوداود وغيره - : « أمّني جبريل عند البيت مرتين » .. أي مرة في أول وقت كل صلاة ، ومرة في آخر وقت كل صلاة .. ثم قال له : (هذا وقت الأنبياء من قبلك ، والوقت ما بين هذين الوقتين) ولذافإنها تجب على كل مكلف ومكلفة **وجوبين** : موسعا ، ومضيقا فتجب في أوائل الأوقات وجوبا موسعا بحيث يجوز تأخيرها إلى منتصفه أو أواخره .. وإن كانت

الصلاة في أوائل أوقاتها أفضل منها في منتصفها أو أواخرها .. حتى إذا لم يبق من وقت الصلاة إلا ما يسع الطهارة والصلاة وجبت وجوبا مضيقا بحيث يتحتم في هذا الوقت المسارعة إلى أدائها قبل خروج وقتها ، وترك كل الأعمال التي تشغل عن ذلك .. وفي ذلك يقول تعالى : (**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى**) / البقرة ٢٣٨ والمحافظة عليها أداؤها في أوقاتها المحددة كاملة . والصلاة الوسطى حدث خلاف كبير في تحديدها ، والصحيح أنها مما استأثر الله تعالى بعلمه ، وتركه مبهما بقصد شحذ الهمة ، وبعث العزيمة للمحافظة على الكل حرصا على المحافظة على البعض الأفضل وقد تنوعت أساليب الاهتمام والأمر بالصلاة فتارة بالأمر الصريح ، أو بالثناء على فاعلها ، أو التنديد بتاركها حتى صار يفهم من تتبع هذه الصور البيانية في حتمية الصلوات والالتزام بها أنها عماد الدين حقا ، والركن الثاني من أركان الاسلام صدقا ، وأن من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين ، وأن من سها عنها لغفلة أو لهو أو تكاسل .. فقد عرض نفسه للويل والثبور وعظائم الأمور وفي القرآن الكريم : (**فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون**) / الماعون ، .. (**ما سلككم في سقر.قالوا لم نك من المصلين**) المدثر ٤٢،٤٣ وفيه ايضا : (**قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون**) .. ثم قال .. (**والذين هم على صلواتهم يحافظون**) / المؤمنون .. فقد ذكرت الصلاة مرتين في صفات المؤمنين بينما ذكر غيرها من فضائل الأعمال مرة واحدة .. وفيه أيضا : (**إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**) النحل / ٩٠ وفي الحديث الصحيح : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا » .. «إن الصلاة محل المناجاة ، ومعدن المصافاة تتسع فيها ميادين الأسرار ، وتشرق فيها مشارق الأنوار ، علم الله تعالى وجود الضعف منك فقلل أعدادها ، وعلم احتياجك إلى فضله فكثر أمدادها .. الصلاة طهرة للقلوب من أدناس الذنوب ، واستفتاح لباب الغيوب» .. والصلاة من الله تعالى تعني زيادة الرحمة وتكثير المثوبة ، ومن الملائكة الدعاء بالمغفرة ، ومن الناس التضرع والدعاء بالعفو والمثوبة .. وفي ضوء هذا يفسر قوله تعالى : (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) .





للدكتور /
محمد الدسوقي

يعد ابن الصلاح من أئمة علماء الحديث والفقه والأصول الذين تركوا تراثا علميا يشهد على عبقريتهم وجهادهم في سبيل خدمة دينهم وأمتهم .
ومن أهم مؤلفات ابن الصلاح مقدمته الشهيرة في علوم الحديث ، فهى تدل على ثقافة واسعة في هذا الفن ، إذ عرض فيها لخمسة وستين نوعا من هذه العلوم ، وفق منهج علمي يقوم على أمانة النقل ، وموضوعية النقد ، والاحاطة الدقيقة بالقضايا الكلية والفرعية ، والعقلية المستقلة التي تنتفع بما قدم الذين خلوا ، ولكنها لا تعيش عالة عليهم ، ومن ثم جاءت هذه المقدمة تتويجا لكل الجهود العلمية التي سبقتها في علوم الحديث ، كما كانت نبراسا اهتدى بنوره كل من كتب من العلماء بعد عصر ابن الصلاح ـ في السنة رواية ودراية .

وإذا كانت مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث قد اشتملت على أصول المنهج العلمي في توثيق النصوص ، وفحص الأسانيد ، ونقد المصادر ، فإنها وبعبارة اخرى اشتملت على اصول المنهج النقلي ، أو المنهج التاريخي ، وهو منهج الذي كان علماء الحديث الرواد في تأصيل قواعده ، ولم يأت المحدثون من الغربيين وسواهم فيما كتبوا عن هذا المنهج بجديد بالنسبة لما كتبه أولئك العلماء في مجال طرق تحمل الرواية ، وتوثيق المرويات ، وعلم الجرح والتعديل .

وفي هذه الكلمة أقصر الحديث على الترجمة لابن الصلاح وبيان اثره في علوم الحديث ، ثم أتناول في كلمة اخرى ان شاء الله دور هذا الامام في التأصيل لقواعد المنهج النقلي أو التاريخي ..

حياة ابن الصلاح :

هو الامام الحافظ تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان ابن موسى بن أبي نصر الكردي الشهرزورى المعروف بابن الصلاح نسبة إلى أبيه الملقب بصلاح الدين .

ولد ابن الصلاح سنة ٥٧٧ هـ بقرية شرخان من أعمال اربيل قريبة من شهر زور في شمال العراق ، ومن ثم ينسب الى هذه القرية فيقال له : الشرخاني ، كما يقال له : الشهر زورى .

كان والده عالما جليلا ومفتيا متبحرا في الفقة على المذهب الشافعي وقد تلقى عليه ولده دروس الفقه بعد أن حفظ القرآن الكريم وجوده ، ثم رحل ابن الصلاح الى شتى الحواضر الاسلامية يطلب العلم أنى تيسر له ، فذهب أولا إلى الموصل ، فسمع الحديث من ابن السمين : أبى جعفر عبيد الله بن احمد فكان أول شيوخه بعد أبيه الصلاح ، وقرأ عليه كتاب « المهذب » ـ وهو مختصر في الفقة الشافعي ألفه أبو اسحاق ابراهيم بن على الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦ هـ وقد شرحه الإمام النووي المتوفى سنة ٦٧٦ في كتابه المجموع ، لكنه لم يتمه ، وقد أكمل شرحه بعد النووى عالمان هما : على بن عبد الكافي السبكى المتوفى سنة ٧٥٦ هـ ، والشيخ نجيب المطيعي من العلماء المعاصرين ـ قرأ هذا الكتاب ابن الصلاح على أستاذه ابن السمين ، وكرره ، وهو غض الصبا « لم يطر شاربه » على حد تعبير ابن خلكان الذي تتلمذ على ابن الصلاح ، وانتفع بعلمه .

وفي الموصل سمع أيضا من نصر الله بن سلامة ، ومحمود بن على الموصلى ، ثم لزم الشيخ العلامة عماد الدين أبا حامد بن يونس الذي اصطفاه له معيدا ، فأقام لديه يشتغل بالاعادة زمنا لم يطل .

ولم يقنع ابن الصلاح بما تلقاه من علم في الموصل فآثر الرحلة إلى بغداد ، وفي هذه المدينة سمع من أبي احمد بن سكينة ، وعمر بن طبرزد ، وبعد ذلك سافر الى خراسان ، وأقام بها زمانا ، وحصل علم الحديث هناك ، فقد سمع من شيوخها في همذان ونيسابور ومرو ، ومن هؤلاء الشيوخ أبو الفضل بن المعزم ، والمؤيد الطوسى ، وأبو المظفر السمعاني ومحمد بن عمر المسعودي .

كذلك سمع بدمشق من القاضي جمال الدين عبد الصمد بن الحرستاني ، والشيخ موفق الدين المقدسي ، والشيخ فخر الدين بن عساكر ، كما سمع بحلب من أبي محمد بن علوان ، وبحرّان من الحافظ عبد القادر (انظر تذكرة الحفاظ للذهبي ، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ووفيات الاعيان لابن خلكان) .

وهكذا تعددت رحلات ابن الصلاح في سبيل طلب العلم وكثر شيوخه ، وتنوعت ثقافاتهم ، فمنهم المحدث والمفسر والفقيه والمؤرخ واللغوى ، ولهذا كان كما أطبقت كلمة الذين أرخوا له أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال ، ونقل اللغة وكانت له مشاركة في فنون كثيرة ، فهو موسوعي الثقافة غزير المعرفة ، وإن اشتهر بإمامته في الحديث وعلومه ، قال عنه أبو حفص ابن الحاجب : إمام ورع وافر العقل حسن السمت ، متبحر في الأصول والفروع ، بارع في الطلب حتى صار يضرب به المثل وأجهد نفسه في الطاعة والعبادة .

واستقر ابن الصلاح ببلاد الشام بعد أن استحصد علمه ، وبدأت المرحلة الخصبة من حياته في التدريس والتأليف والفتيا ، وكان أول مقامه في هذه البلاد في مدينة القدس مدرسا بالمدرسة الناصرية ، المنسوبة إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وأقبل عليه الناس ، لما رأوه من علمه وتقواه .

وانتقل بعد مدة . لم يحددها المؤرخون ـ أقامها في القدس الى دمشق ، فتولى التدريس بالمدرسة الرواحية التي أنشأها أبو القاسم هبة الله بن عبد الواحد ابن رواحة الحموي .

وقد عرف القرن السادس الهجري تشييد المدارس الخاصة بالحديث النبوي لأول مرة في تاريخ الحياة العلمية الاسلامية ، فقد كانت المدارس التي أسست قبل هذا القرن في بعض الحواضر تهتم بدراسة الفقه ومذاهبه وآراء المجتهدين فيه ، لتزود جهاز الدولة بالقضاة والمتشرعين .

وأنشئت أول دار للحديث في دمشق ، تحقيقا لرغبة نور الدين محمود بن أبي سعيد زنكي (ت : ٥٦٩ هـ) وحملت اسم المدرسة النورية .
وقامت في القاهرة دار للحديث بأمر الملك الأيوبي الكامل ناصر الدين وقد تم تأسيسها سنة ٦٢٢ هـ .

وبعد أربع سنوات من تأسيس مدرسة القاهرة نشأت في دمشق المدرسة الاشرفية التي بناها الملك الأشرف ابن الملك العادل نور الدين ، وكان أول شيوخها الامام ابن الصلاح .
وعهد الملك الأشرف الى ابن الصلاح كذلك بالتدريس في مدرسة ست الشام زمرد خاتون بنت أيوب ، وهي شقيقة شمس الدولة توران شاه بن أيوب ، وزوجة اسد الدين شيركوه صاحب حمص .
وقام ابن الصلاح بالتدريس في هذه المدارس الثلاث بدمشق :الرواحية والأشرفية وست الشام من غير إخلال بشيء منها الا لعذر ضروري منه ، كما قال ابن خلكان في وفيات الاعيان .

ابن الصلاح والفلسفة :

قال الذهبي عن ابن الصلاح : كان سلفيا حسن الاعتقاد كافا عن تأويل المتكلمين ، مؤمنا بما ثبت من النصوص غير خائض ولا معمق ، وكان وافر الجلالة حسن البزة ، كثير الهيبة موقرا عند السلطان والأمراء .
فابن الصلاح كان سلفيا كما تشير كلمة الذهبي عنه ، فهو يأخذ بما ثبت من النصوص ، ولا يهش لتأويلات المتكلمين ، ويؤيد ما أشار إليه الذهبي ما جاء في فتاوى ابن الصلاح عن الفلسفة والمنطق .

قال :الفلسفة اسّ السفه والانحلال ، ومادة الحيرة والضلال ، ومثار الزيغ والزندقة ، ومن تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المطهرة المؤيدة بالحجج الظاهرة والبراهين الباهرة ، ومن تلبس بها تعليما وتعلما قارنه الخذلان والحرمان ، واستحوذ عليه الشيطان .

وأما المنطق فهو مدخل الفلسفة ، ومدخل الشر شر ، وليس الاشتغال بتعليمه وتعلمه مما أباحه الشارع ولا استباحه أحد من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين والسلف الصالحين وسائر من يقتدي به من أعلام الأمة وسادتها (فتاوي ابن الصلاح ص ٣٥ ضمن الرسائل المنبرية ، المجلد الرابع) .

فلماذا حكم ابن الصلاح على الفلسفة بأنها أس السفه ؛ وبأن المنطق مدخل إليها فهو شر ولأن مدخل الشر شر هل يرجع ذلك الى عجز ابن الصلاح عن استيعاب الفكر الفلسفي ، فانقلب عليه مناوئا له ، أو أن هذا الموقف يرجع إلى ظروف النشأة ، وطبيعة العصر ، ومزاج الشخصية ؟

إن هناك من ذهب إلى أن ابن الصلاح لم يستطع أن يدرس العلوم العقلية كالفلسفة والمنطق ، وأن هذا هو الذى حمله على أن يتهم الفلسفة بما اتهمها به ولكن هذا الرأي غير مسلم ، لأن آثار ابن الصلاح العلمية تدل على أنه كان ذا عقلية لا تعجز عن دراسة الفلسفة ونحوها ، ثم إن حكمه على الفلسفة لا يمكن إلا أن يكون بعد تجربة فكرية معها ، وليس مقبولا ـ والرجل مشهود له بالورع والتقوى والأمانة العلمية ـ أن يحكم في قضية ما دون أن يكون قد ألم بها ، وتصور أبعادها ، بصرف النظر عن صحة الحكم أو عدم صحته .
إن ابن الصلاح لم يهاجم الفلسفة ، لأنه لم يقدر على فهمها أو دراستها وإنما يرجع هجومه عليها ـ فيما أرى ـ إلى ظروف النشأة ، وطبيعة العصر ، ومزاج الشخصية .

لقد نشأ ابن الصلاح في بيت علم ، ووالده الفقيه كان أول أستاذ له ، وليس بعيدا أن يوعز الوالد إلى ولده بأن يسلك في طلبه للعلم مسلك الفقهاء ، والمحدثين ، فعلمهم هو العلم النافع في الدنيا والآخرة ، وليس بعيدا كذلك ان

يوعز إليه بألا يخوض فيما خاض فيه علماء الفلسفة ، وبخاصة فيما يتصل بالقضايا الغيبية ؛ لأن دراسات الفلاسفة تورث الحيرة أكثر مما تورث اليقين ، فضلا عن تعارضها مع بعض المسلمات الدينية .

وآل إلى عصر ابن الصلاح تراث الصراع بين علماء الشريعة ورجال الفلسفة ذلك الصراع الذى بدأ منذ القرن الثاني مع ترجمة علوم الأوائل ، وكان سجالا بين الفريقين ، فطبع هذا العصر بطابع المناهضة للفكر الفلسفي وليس الفكر العقلي بوجه عام ، أعنى ان التيار العلمي في عصر ابن الصلاح كان مزاجا من النص والعقل ، ولكنه كان يضيق بالفكر الفلسفي ؛ نتيجة لأصداء ذلك الصراع ، ولأن الأمة كانت في مرحلة تاريخية عصيبة ، فالأخطار تتربص بها في الداخل والخارج ، ولذلك كانت تلوذ بالتراث السلفي . لتحمي نفسها وتدرأ الأخطار عنها ، ولعل ذلك كان من وراء ما صدر من فتاوى ومؤلفات ، في مشرق العالم الاسلامي ومغربه تحرم الاشتغال بالفلسفة والمنطق . فابن الصلاح للعوامل التى ألمحت اليها كان يضيق ذرعا بآراء الفلاسفة ، وتأويلات المتكلمين ، ويجنح إلى السلفية في الاعتقاد والتعليل ، ومن هنا كان عداؤه للمنطق والفلسفة

أثر ابن صلاح في علوم الحديث

ترك الامام ابن الصلاح عدة مؤلفات في الحديث والفقه والرجال ، كما ذكر صاحب شذرات الذهب أن لهذا الامام كتابا في أجزاء اسمه فوائد الرحلة ، وتذكره بعض المصادر الأخرى باسم الرحلة المشرقية ومع هذا يعد كتابه الذي اشتهر باسم مقدمة ابن الصلاح أهم كتبه ، فهو دراسة علمية ، عرضت لخمسة وستين نوعا من علوم الحديث ؛ طوعا لمنهج علمي دقيق ، وتوافر لها من الخصائص والسمات مالم يتوافر لسواها من المؤلفات التى سبقتها أو التي كتبت بعدها ، ومن ثم غلبت إمامة ابن الصلاح في علوم الحديث على إمامته في سائر العلوم التي نبغ فيها .. يتحدث الحافظ أبو الفضل ابن حجر عن نشأة علوم الحديث وتطورها وأثر ابن الصلاح فيها فيقول : « أول من صنف في الاصطلاح القاضي أبو محمد الرامهرمزى فعمل كتابه «المحدث الفاصل » لكنه لم يستوعب ، والحاكم أبو عبد الله النيسابوري لكنه لم يهذب ولم يرتب ، وتلاه أبو نُعيم الاصبهاني فعمل كتابه مستخرجا ، وأبقى أشيا-للمتعقب ثم جاء بعده الخطيب البغدادي فعمل على قوانين الرواية كتابا سماه « الكفاية » وفي آدابها كتابا سماه « الجامع لآداب الشيخ والسامع » وقل فنّ من الفنون إلا وقد صنف فيه كتابا مفردا فكان كما قال الحافظ أبو بكر بن نقطة : كل من أنصف علم أن المحدِّثين بعده عيال على كتبه ، ثم جمع ممن تأخر عنه القاضي عياض كتابه « الالماع ، وأبو حفص الميانجي جزءا اسماه « مالا يسع المحدث جهله » والحافظ أبو بكر

ابن أحمد القسطلاني في « المنهج المبهج عند الاستماع لمن رغب في علوم الحديث على الاطلاع » إلى أن جاء الحافظ الامام تقي الدين أبو عمر وعثمان ابن الصلاح الشهرزورى نزيل دمشق ، فجمع لما ولي التدريس بالمدرسة الأشرفية المعروفة بدار الحديث كتابه المشهور فهذب فنونه ، وأملاه شيئا فشيئا ، واعتنى بتصانيف الخطيب المفرقة فجمع شتات مقاصدها ، وضم اليها من غيرها نُخَبَ فوائدها ، فاجتمع في كتابه ما تفرق في غيره ، فلهذا عكف الناس عليه وساروا بسيره ، فمنهم المختصر له كالنووي في تقريبه ، والناظم له كالعراقي ، والمستدرك والمعارض فجزاهم الله خيرا .. (قواعد التحديث للقاسمى ص ٤١)

فهذا النص على ايجازه عبر في دقة عن طرف من خصائص كل مؤلف في علوم الحديث منذ بدأت الكتابة في هذه العلوم إلى عصر ابن الصلاح ، ثم بين أن ابن الصلاح امتاز عن سواه ممن سبقوه بأنه أملى كتابه شيئا فشيئا ،

فهو قد تأنى في وضع فصوله ، وتنسيق موضوعاته ، وكان في إملائه ينتخب من تصانيف الذين خلوامن قبله ولم يكن هذا الامام مجرد منتخب وجامع لما تفرق في الكتب السابقة عليه ، وإن كان هذا من شواهد العقلية العلمية ، فاختيار المرء قطعة من عقله ، ولكن ابن الصلاح لخبرته الطويلة بالحديث وعلومه ، ولانه لم يبدأ في تأليف كتابه إلا بعد أن جاوز الخمسين من عمره كانت له اجتهاداته الخاصة التى تمثلت في تحقيق التعريفات ، ووضع مصطلحات جديدة لأنواع من الحديث لم يلتفت إليها من قبل ، ومناقشة العلماء في آرائهم ، وبذلك بلغ ابن الصلاح بمقدمته في علوم الحديث دور الكمال والاستيفاء ، وقد ألمح إلى هذا في تصديره لكتابه ، قال بعد إشارته إلى ما آل إليه علم الحديث وأهله ، وأن الله منّ عليه بتأليف هذا الكتاب في معرفة أنواع علوم الحديث : « هذا الذى أباح بأسراره الخفية ، وكشف عن مشكلاته الأبية ، وأحكم معاقده ، وقعّد قواعده ، وأنار معالمه ، وبين أحكامه ، وفصل أقسامه ، وأوضح أصوله ، وشرح فروعه وفصوله ، وجمع شتات علومه ، وفوائده ، وقنص شوارد نكته وفرائده » .

ومما قاله ابن الصلاح في مقدمة كتابه لا يعرف الاسراف ، أو مجاوزة الحقيقة ، لأن ذلك الكتاب : « جاء إحياء لتراث السلف الصالح في علوم الحديث ، كما جاء تجديدا لحيوية هذه العلوم ونضارتها ، ولا غرو أن أقبل عليه العلماء منذ القرن السابع والقرون التى تلته بالدرس والاختصار والشرح والنظم والمعارضة والانتصار ، وكانوا يذكرونه بغاية التقدير والاكبار ، وعدوه من أحسن ما صنف أهل الحديث في معرفة الاصطلاح » .

ومن العلماء الذين نظموا كتاب ابن الصلاح الزين العراقي في ألفيته « نظم الدرر في علم الأثر » ومما قاله تنويها بهذا الكتاب وإمامة مؤلفه في الحديث :

وأحسن المؤلفات جمعا فيها وأوفى وأتم نفعا
تأليف خير عالم إمام أئمة الحفاظ في الأنام
علامة الدنيا تقى الدين ابن الصلاح الصادق الأمين

ومن الذين اختصروه شيخ العلماء سراج الدين بن الملقن (ت ٨٠٦ هـ) في كتابه « المقنع في علوم الحديث » وقال في فاتحته بعد أن ذكر المصنفات في علوم الحديث للترمذي والحاكم والخطيب البغدادي :

« ومن أجمعها كتاب العلامة الحافظ تقي الدين أبي عمرو بن الصلاح ، سقى الله ثراه ، وجعل الجنة مأواه ، فإنه جامع لعيونها ومستوعب لفنونها »

وشرح كتاب ابن الصلاح شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني (ت ٨٠٥ هـ) في كتابه « محاسن الاصطلاح » وجاء في مقدمة هذا الكتاب :

« أما بعد فإن أهم ما يعتني به الطالب ، ويرغب فيه الراغب معرفة أنواع علوم الحديث ، وقد تكلم على ذلك جمع من العلماء في القديم والحديث ، ومن أحسنها جمعا وأكثرها نفعا ، وأعظمها وقعا كتاب الحافظ العلامة أبي عمرو ابن الصلاح الذى أظهر فيه معظم الاصطلاح »

تلك بعض جهود العلماء الذين عكفوا على مقدمة ابن الصلاح بالدرس والتعليق والاختصار والشرح والنظم ، وكلها تجمع على أن هذا الكتاب من أهم ما ألف في علوم الحديث ، وأنه أصبح عمدة لمن كتب في هذه العلوم بعد عصر هذا الامام .

وإذا كان ما أومأت إليه من هذه الجهود يخص مشرق العالم الاسلامي فإن مكانة الكتاب وشهرته امتدت إلى افريقية والمغرب في عصر مبكر فاحتفى به العلماء ، واستطاع أن يجد مكانه إلى جانب مصنفات المغاربة في الفقه المالكي ، وتناقله الرواة بالتلقى والسماع والإجازة .

تلاميذه :

مما لامراء فيه أن العلماء الذين درسوا كتاب ابن الصلاح وتناولوه بالشرح والنظم والاختصار والمعارضة هم من تلاميذ هذا الامام وإن لم يروه أو يجلسوا في حلقته ، وهناك سوى هؤلا عدد كثير من التلاميذ الذين أخذوا

العلم عن ابن الصلاح في حلقاته ودروسه ، فمن كان مثله في علمه وورعه وحب الناس لمجلسه ، وتدريسه في عدة مدارس في وقت واحد ، وعنايته بمن يدرس عليه فإن تلاميذه والمنتفعين به يكثرون ، ويعد ابن خلكان من أشهر تلاميذه الذين تلقوا عنه وترجموا له ، وأورد الذهبي في تذكرة الحفاظ عددا من هؤلاء التلاميذ ، الذين بلغ بعضهم درجة الامامة قال :

تفقه به الأئمة شمس الدين بن عبد الرحمن بن نوح ، وكمال الدين اسحاق ، وتقى الدين بن رزين القاضي وغيرهم .

وحدث عنه فخر الدين عمر الكرخي ، ومجد الدين ابن المهتار والشيخ زين الدين الفارقي ، والقاضى شهاب الدين الجورى ، والخطيب شرف الدين الفراوي والصدر محمد بن حسن الأرموي ، والقاضى أبو العباس احمد بن على الجيلي والشهاب احمد بن العفيف وآخرون »

وفاته :

عاش ابن الصلاح حياته كلها يخدم العلم وينفع الناس مشهودا له بالورع والتقوى والصلاح ، وسعة العقل وجمال الهيئة والوقار والتعمق في الكليات والجزئيات ، حتى أصبح يضرب به المثل في العبادة وطلب العلم ، يقول عنه تلميذه ابن خلكان الذى أقام عنده مدة سنة : « وكان من العلم والدين على قدم حسن » ولهذا بلغ درجة الامامة في العلم ، وإن طغت إمامته في الحديث على إمامته في سائر العلوم التى كتب فيها ، على أن إمامته في علوم الحديث بلغت درجة فريدة ، بسبب مقدمته الشهيرة ، وما اشتملت عليه من الآراء والاجتهادات التى أثرت هذه العلوم وأضافت جديدا إليها ، ومن ثم أصبح لفظ الشيخ في علوم الحديث لايراد به إلا ابن الصلاح ، وإلى هذا يومىء الزَّيْنُ العراقي في ألفيته :

وكلما أطلقت لفظ الشيخ ما ... اريد إلا ابن الصلاح مبهما

وقد توفى رحمه الله بدمشق يوم الاربعاء وقت الصبح ، وهو الخامس والعشرون من شهر ربيع الثاني سنة ثلاث واربعين وستمائة ، وكثر التأسف لفقده ، وحمل نعشه على الرؤوس ، وكان على جنازته هيبة وخشوع ، وقد صُليّ عليه بجامع دمشق ، ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر .

رحمه الله ، وجزاه كفاء ما قدم لدينه وأمته خير الجزاء ،





للأستاذ/ جمال سلطان

يجمل بالباحثين الاسلاميين عند تصديهم للدعوات الهدامة ، في واقعنا الفكري المعاصر ، وتفنيدهم أغاليطها وشبهاتها ، ألا يقفوا عند هذه الخطوة التجزيئية البسيطة وحسب - مع إيماننا بضرورتها - بل يتوجب عليهم أن يحاولوا رصد معالم التيار العام ، والوجهة الخفية ، التي تتحرك فيها ، ومن خلالها ، هذه الدعوات الهدامة ، لأن طبيعة الصراعات التي خاضها ويخوضها الاسلام في تاريخه المعاصر ، وعلى مستوى الصراع الفكرى بوجه الخصوص ، علمتنا أن مثل هذه الدعوات ، لا تمثل محض اندفاعات فردية أو رؤى تصورية جزئية لأصحابها ، مناقضة للفكرة الاسلامية ، وحسب ، وإنما هي تمثل - في حقيقتها المستورة - تخطيطا

علميا « عقليا ونفسيا واجتماعيا » ، بالغ الدقة ، سواء من ناحية المضمون الذي تعالجه ، أم من ناحية المكان المقصود بنفاذ هذه الفكرة المعادية فيه ، أم من ناحية توقيت صدور هذه الدعوات .

وبصورة أكثر تحديدا ، فإن مثل هذه الدعوات ، الممثلة في أبحاث وندوات ودراسات ، إنما تمثل موجة فكرية منظمة ومدروسة ، ومحددة الأبعاد والنتائج المحتملة والمرجوة ، نستطيع ان نصفها من غير مبالغة ، بالغارة الفكرية .

إن مثل هذا الرصد الضروري ، لظاهرة صراع الأفكار في عالمنا الاسلامي المعاصر ، يتيح لنا إمكانية حيوية كبيرة ، في إدراك طبيعة العقل المعادى للاسلام في هذه المرحلة الحساسة من مسيرة الاسلام ، ونوعية اهتماماته بقضية الاسلام ، أي الزوايا التي تؤرقه في حركة الفكر والمجتمع الاسلاميين في تلك المرحلة ، كذلك يمنحنا ذلك الرصد ، البصيرة النافذة لادراك المواطن الفكرية والواقعية الهامة المقصودة من هذه «الغـرة» الجديدة ، والتي غالبا ما تكون غير ظاهرة ، وغير مباشرة ، أو مقصود إخفاؤها والتشويش عليها ، خلف ضجيج من إشكالات أخرى مفتعلة ، تتيح للفكرة الهدامة أن تغزو ضمير الفرد والمجتمع ، في روية وهدوء ويسر ، بعيدا عن ساحة الجدل الفعال والمستمر ، وليس من شك في أن هذه البصيرة المرجوة ، تجعل مجهوداتنا في رد هذه الغارة ، أكثر تركيزا ، في صميم الشبهة ، ورأس باطلها ، ولعله من مراد قول الله تعالى « **بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه** » الانبياء/ ١٨ .

والمتتبع لحركة الفكر الاسلامي المعاصر ، يلحظ بوضوح ، بروز موجة جديدة ، أو « غارة » بدأت خيوطها مع بدء إرهاصات البعث الاسلامى الجديد ، واستفحل أمرها وخطبها ، مع تصاعد الوعي الاسلامي ، ويقظة الأمة ، وعودتها الى دينها وكتاب ربها ، فيما اصطلح عليه «بالصحوة الاسلامية» .

ويمكننا رسم معالم هذه الغارة الجديدة ، من خلال الكشف عن نماذج بشرية « عربية » ، تربت في كنف الاستشراق ، ولا سيما الاستشراق « الشيوعي » سواء في مؤسساتهم الخارجية ، ام محافلهم الداخلية المغروسة في قلب عالمنا الاسلامي ، ممن عزلوا عزلا شبه تام ، عن مقومات أمتهم الحضارية ، وفرغوا تماما ، من كل قاعدة اعتقادية ، أو رؤية فكرية ، أو مبدأ أخلاقي ، أو تصور قيمي ، ينبثق من الاسلام وكتابه العزيز ، مع شحنهم بالبديل « التقدمي ؟ ! لكل هذه المعاني تم توجيههم ـ مؤخرا ـ الى الظهور بتبني قضية الاسلام ، والاهتمام بتراثه ، ، تماما ، كحاملى الفكرة الاسلامية ، ودعاة الاسلام ، مما يبرر إطلاق وصف « المفكر الاسلامي » عليهم ، مع تحديده بلفظ « المستنير » وهو

تحفظ بارع ، حيث يخدع الناشئة ببريق لفظه ، في حين يرسخ في مشاعرهم ، من غير وعي ، معاني شديدة الخطورة ، إذا إن « الاسلام » يصبح غير كاف بذاته ، لإفاده وصف « الاستنارة » فيتوجب على حامل الاسلام أن يستنير ، وهذا « المستنار به » هو غير الاسلام ضرورة

ومن خلال هذه التظاهرة «النفاقية » وباستثمار انخداع بعض أبناء الأمة بهم ، وبادعائهم حمل « الفكر الاسلامي المستنير » تبدأ أوسع عمليات الهدم والتخريب في التراث الاسلامي ، وتشويه الفكرة الاسلامية ، والطعن في قضاياها الرئيسية .

وعلى تنوع مذاهب القوم ، وتعدد دوافعهم في هذه « الغارة » الجديدة ، إلا أنهم يتفقون على النقطة الجوهرية ، وهى ضرورة عزل الاسلام عن حركة المجتمع المسلم الفاعلة ، والحيلولة دون التمسك بالقرآن الكريم في توجيه حياة المسلم ، أي انها دعوة « جلادستون » القديمة والتي دعا فيها الى ضرورة عزل القرآن الكريم عن المجتمعات الاسلامية حتى لا يكون له تأثير فعال فيها ثم ذكر امام البرلمان «مادام هذا القرآن موجودا فلن تستطيع اوروبا السيطرة على الشرق والا تكون هي نفسها في امان » ، وهذه الافكار يطرحها لسان عربي مبين قائلا : « إن هدف الحملة الفكرية المطلوبة !! هو أن نقنع الناس بوجوب الأخذ بالنظرية العلمانية الخالصة في كل ما يختص بأمور معاشهم ودنياهم ، وهى لن تفلح في هذا الا إذا أقنعتهم بأن الاسلام ـ دين كثرتهم ـ فيما عدا مسائل العقيدة والعبادة لا يتنافى مع النظرة العلمانية » .

وصاحب هذا الكلام ، هو نفسه الذي قال من قبل محددا وجهته :« إذا كان الحديث عن الحياة ، لا عن العقيدة .. فإن القرآن الكريم لم يشرع إلا التشريع الذي يكفل حياة أمة واحدة ، هي أمة العرب ، في زمن واحد ، هو زمن الرسول عليه الصلاة والسلام ؟!! » .

والكلام واضح ، في غنى عن التعليق ، وليس من شك في أن حملتهم هذه ، لن تتوجه الى الذهن المسلم ، بهذا التحدي الجاف ، وانما هذا التقرير السابق ، هو مجرد تحديد « للهدف من الحملة » ، أما وسائلهم في ذلك وخططهم فمتنوعة ، وإن كان الاطار العام لها ، هو محاولة صب قضايا الفكر الاسلامى في قوالب علمانية « لا دينية » بحيث لا يمكن للناشئة فيما بعد أن تنظر الى الاسلام إلا من خلال هذا المنظار « المستنير »

فإذا ما نجحوا في ترسيب هذا المعنى في عقولهم وضمائرهم ، فقد تعبدت الطريق أمامهم نحو هدفهم الخبيث .

وثمة دلائل عديدة تؤكد أن خيوط هذه « الحملة » تفد من وراء أستار ، وأن العقل الموجه لهذه الخيوط « وأبواقها » المحلية إنما ينبعث من مراصد أجنبية حاقدة على الاسلام وأهله ، بغض النظر عن درجة وعى

تلكم « الأبواق » المحلية ، بالأبعاد الحقيقية والكاملة لهذا المخطط .

وعلى سبيل المثال ، فقد وضع المستشرق الشيوعي السوفييتي « كراتشفوفسكى » دراساته حول الاسلام والتي وضع فيها للرفاق المحليين « القواعد » التقدمية » للنظر في التراث الاسلامي ، وحاول فيها ضبط الفكر الاسلامي ، وحركة التاريخ الاسلامي وتراثه ، وفق رؤية ماركسية حادة ، فإذا بنا نقرأ « لرفيق محلي » عربي « مشروع رؤية جديدة للتراث العربي في العصر الوسيط » ؟! مؤسسة على النظرية المادية الجدلية « الماركسية » ، ويقرر فيه بجلاء أن كتابات « اغناطيوس كراتشفوفسكي » : « تشكل اسهاما جديا ، على طريق إعادة الاعتبار الحقيقي لذينك التاريخ والتراث ـ الاسلاميين ..؟! » .

والباحث يطبع لفظ « الحقيقي » ببنط ثقيل مميز ! وأرجو أن يطيل القارىء التأمل ، في معنى أن مفكرا ماركسيا ملحدا ، هو الذي أعاد الاعتبار لقضايا الاسلام ، والفكر الاسلامي ، وتاريخ الاسلام كذلك .

وعلى نفس الطريق ؛ أصدر المستشرق الشيوعي الألماني الشرقي « هيرمن لاى » كتابه عن « تاريخ المادية في العصر الوسيط .. في العقد السادس من هذا القرن ، وبعد سنوات قليلة ، تخرج علينا دراسة عربية « مستنيرة » ، تتحدث عن « النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية » ، لتتبنى نفس منهم « لاى ، وتمجد نفس الفرق الضالة التي مجدها ، أمثال القرامطة ، والراوندية ، والباطنية ، واصفا إياهم ، بالتقدمية ، والثورية ، والاستنارة ؟!

وقد حدث في الستينات من هذا القرن ، أن وجه بعض الباحثين والمستشرقين الشيوعيين الفرنسيين ، الدعوة لرفاقهم موضحين ضرورة النفاذ إلى أغوار مجتمعاتهم عن طريق « لغة التراث » ، وإلا انتهوا إلى الانعزال الكامل عن الواقع العربي ، وقد وضع « إيف لاكوست » الشيوعي الفرنسي ، نموذجا لذلك ، عن طريق دراساته عن « ابن خلدون » العلامة والمؤرخ الاسلامي الكبير ، والتي انتهى فيها « لاكوست » إلى اعتبار « ابن خلدون » المبشر الأول بالماركسية ؟! فإذا بنا بعد قليل نقرأ لدراسات عربية عديدة تتحدث عن « ابن خلدون » الماركسي الاسلامي الكبير ؟! « و المؤرخ الذي حرر علم التاريخ من « الجبروت الديني » أي من الاسلام .

وكذلك يظهر فجأة « مفكر إسلامي مستنير » ، كان عضوا في الحركة الشيوعية المصرية ، فإذا به مفكر إسلامي نشط ، يخرج بالعديد من الدراسات ، تصور التاريخ الاسلامي صراعا بين الاقطاع ، وطلائع البورجوازية والبروليتاريا ؟! ويقدم حركات الراوندية والقرامطة والزنج وأمثالهم ، بوصفها النزعات الثورية المستنيرة ثم تطور به الحال ، وراح يحيى في الناس كتابات « المنحرفين » ، فأحيا بعض قضايا الاعتزال ، ثم أعاد طبع كتاب علي

عبدالرازق « الاسلام وأصول الحكم » والذي أعلن فيه لا حكم ولا تشريع في الاسلام وهو الكتاب الذي أجمعت هيئة كبار علماء الأزهر على ضلاله، وأصدر مفتي مصر يومها فتوى تكفر من اعتقد به، ثم انتهى « المفكر المستنير » أخيرا إلى محاولة هدم وتشويه أعلام الصحوة الاسلامية المعاصرة، أمثال « المودودي » - رحمه الله - حيث بلغ في مقالات عدة، إلى حد اتهامه بتضليل الأمة في طروحاته الفكرية الاسلامية، خدمة لأهداف « سياسية واجتماعية مشروعة !! » كان يمر بها قومه في العصر الحديث وعلى نفس الطريق، يخرج باحث آخر، كان قد كتب من قبل عن « الفن القصصي في القرآن »، وصف فيه قصص القرآن الكريم بأنها « خرافة »، صراحة لا يكني، بل زعم فيه أن القرآن نفسه لا ينفي أنه « يحوي الأساطير » ؟!ذلك البحث الذي اتفق جمهور أهل العلم في مصر على ضلاله، وجرأة صاحبه على القرآن، في نفس الوقت الذي انبرى له عدد من المستشرقين الأوروبيين للدفاع عنه وتقريظه، حتى أن « ج. بالجون »، و « ج. جومييه » - من الآباء الدومنيكان - وصفاه بأنه البحث الوحيد الذي يمثل الاستنارة الحقيقية في الفكر الاسلامي الحديث ؟! فإذا بهذا « المفكر المستنير » يحدثنا عن « الأسس القرآنية للتقدم » وينتهي فيه إلى ضرورة عزل الاسلام عن حركة المجتمع العربي المعاصر، ويوجب فيه قصر تأثير القرآن، على العبادات والمساجد، كضرورة حتمية - في نظره - لتقدم المجتمع العربي المسلم ؟!

وكان المستشرق البريطاني الأشهر « جب » قد وضع أبحاثه حول طبيعة « تكوين العقل المسلم »، حاول فيها أن يرد مظاهر الخلل فيه إلى موروثاته الثقافية الاسلامية، فإذا بنا نطالع طرحا أكثر حداثة لمنهج « جب » من خلال باحث عربي، أنشأ يحدثنا عن « تكوين العقل العربي »، وينتهي فيه إلى ضرورة عزل المنطلقات الثقافية الاسلامية عن الانسان العربي المعاصر، بوصفها معملا لانتاج العقل الغيبي « الميتا فيزقي » الذي يبحث في السماء ولا يستطيع النظر في الأرض « حي بن يقظان » مؤكدا أن العقل المبدع والتقدمي، هو العقل الأوروبي الذي يتعامل مع الأرض، ويكيف الحياة « روبنسون كروزو » متعمدا في بحثه التضليل للناشئة، عن طريق تفتيت البنية الحضارية الاسلامية، وإبراز بعض معالمها وطمس البعض الآخر، فضلا عن خداعه غير الأمين، عندما يعقد مقارنة بين نتاجات فكرية وأدبية، للحظتين حضاريتين مختلفتين، في واقعين مختلفين، تمام الاختلاف، سواء من ناحية المستوى الحضاري المادي والعقلي، أم من ناحية الظرف التاريخي الموضوعي لواقعيهما.

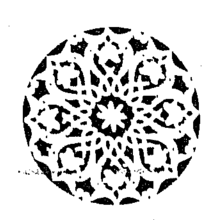
وتنشط موجة فكرية واسعة، يصعب حصرها في العالم العربي، من مشرقه إلى مغربه، تصب جميعها في هذه « الغارة »، وتتحدد معطياتها جميعا في هذا المجال، والذي يهدف



ـ كما اتضح ـ إلى اغتصاب ضمير الأمة، ومخاتلتها عن تراثها، ومقوماتها الحضارية، كمحاولة «لاحتواء الصحوة الاسلامية الجديدة»، وتشويه منطلقاتها. الذي نريد أن نثبته في هذا المقام اننا إذا كنا نقول، ونبرهن على أن خيوط هذه الغارة الجديدة، تمتد إلى مراكز رصد وتوجيه أجنبية، فإننا لمؤمنون أن مثل هذا التخطيط الخبيث، لا يتفتق عنه إلا عقل يضرب بجذوره إلى الجيل الذي قال الحكيم العليم فيه: **(وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون)**. آل عمران/٧٢

وإذا جاز لنا أن نخرج من هذا العرض الآن بدرس ـ وكثيرة هي دروسه ـ فإننا نلفت النظر إلى ضرورة تنبيه ناشئة المسلمين إلى خدعة «إعلامية» كبيرة، يقودها عدد من المنابر والمؤسسات الاعلامية، والصحافية منها على وجه الخصوص، معروفة باتجاهاتها العلمانية «اللادينية»، والتي تهدف إلى إبراز أسماء معينة تحت وصف «المفكر الاسلامي»، وتقدم سمومهم المعادية للفكر الاسلامي تحت شعار: «الفكر الاسلامي المستنير»، كخطوة هامة، وممهدة لما أسميناه بالغارة الجديدة على التراث الاسلامي، وبكلمة جامعة، تغنينا عن حشد الشرائط الأخلاقية والقيمية التي أجمع عليها علماء الاسلام في الشخصية التي يحق لها الاجتهاد في الاسلام، فإنه لا يجوز ـ مبدئيا ـ قبول أي اجتهاد جديد منسوب إلى الاسلام، يصدر من أشخاص لا يلتزمون بالاسلام أصلا في ممارساتهم الحياتية، على مستوى السيرة السلوكية «خلقا وعبادة»، أو على مستوى الانتماء الحضاري، عقائديا كان أو ثقافيا أو مذهبيا، وفي هذه النقطة بالذات يبرز مجال جديد من مجالات «معركة الاسلام الفكرية» يهمله، أو يقصر فيه إلى حد كبير دعاة الاسلام ورجالاته، مع أنه مطلب إسلامي أصيل، فرع عنه الأصوليون في شرائط الاجتهاد، وفرع عنه الفقهاء في أبواب الشهادات، وفرع عنه المحدثون في أبواب الجرح والتعديل.

ولا تفوتنا الاشارة إلى أن هذه «الغارة» لها قنواتها ومحركاتها الأخرى، التي تخدم أهدافها وغاياتها، إلا أن ما أردنا تبيانه في هذا المقام المحدود، هو مجالها الفكري، عرضنا له، آملين أن نكون قد قمنا بشيء من حق النصيحة، لله، وللأمة.



الفائزون

قال تعالى :

(إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين . فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون . إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون) .

« الآيات ١٠٩ ـ ١١١ من سورة المؤمنون »

رخصـــة

قال حمزة الأسلمي : يا رسول الله ، أجد مني قوة على الصوم في السفر ، فهل عليَّ جناح ؟ فقال : « هي رخصة من الله تعالى فمن أخذ بها فحسن ، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه » . رواه مسلم .

أقرضته ربي

عند تفسير قوله تعالى : **(من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم)** . من سورة الحديد .

قال ابن كثير : لما نزلت هذه الآية . قال أبوالدحداح الأنصاري : يا رسول الله : وإن الله ليريد منا القرض ؟ قال : نعم يا أبا الدحداح قال : أرني يدك يا رسول الله . فناوله يده ، قال : إني قد أقرضت ربي حائطي ـ أي بستاني ـ وله فيه ستمائة نخلة ، وأم الدحداح فيه هي وعيالها ، فجاء أبو الدحداح فناداها : يا أم الدحداح . قالت : لبيك . قال : اخرجي فقد أقرضته ربي عز وجل . فقالت : ربح بيعك يا أبا الدحداح ، ونقلت منه متاعها وصبيانها .

الدنيـــا

قال سعيد بن جبير :

الدنيا متاع الغرور إن ألهتك عن طلب الآخرة .

فأما اذا دعتك إلى طلب رضوان الله وطلب الآخرة فنعم المتاع ، ونعم الوسيلة .

الحزن والفرح

قال ابن عباس :

ليس من أحد إلا وهو يحزن ويفرح ، ولكن المؤمن يجعل مصيبته صبرا ، وغنيمته شكرا .

جالس العلماء

قال شيخنا :

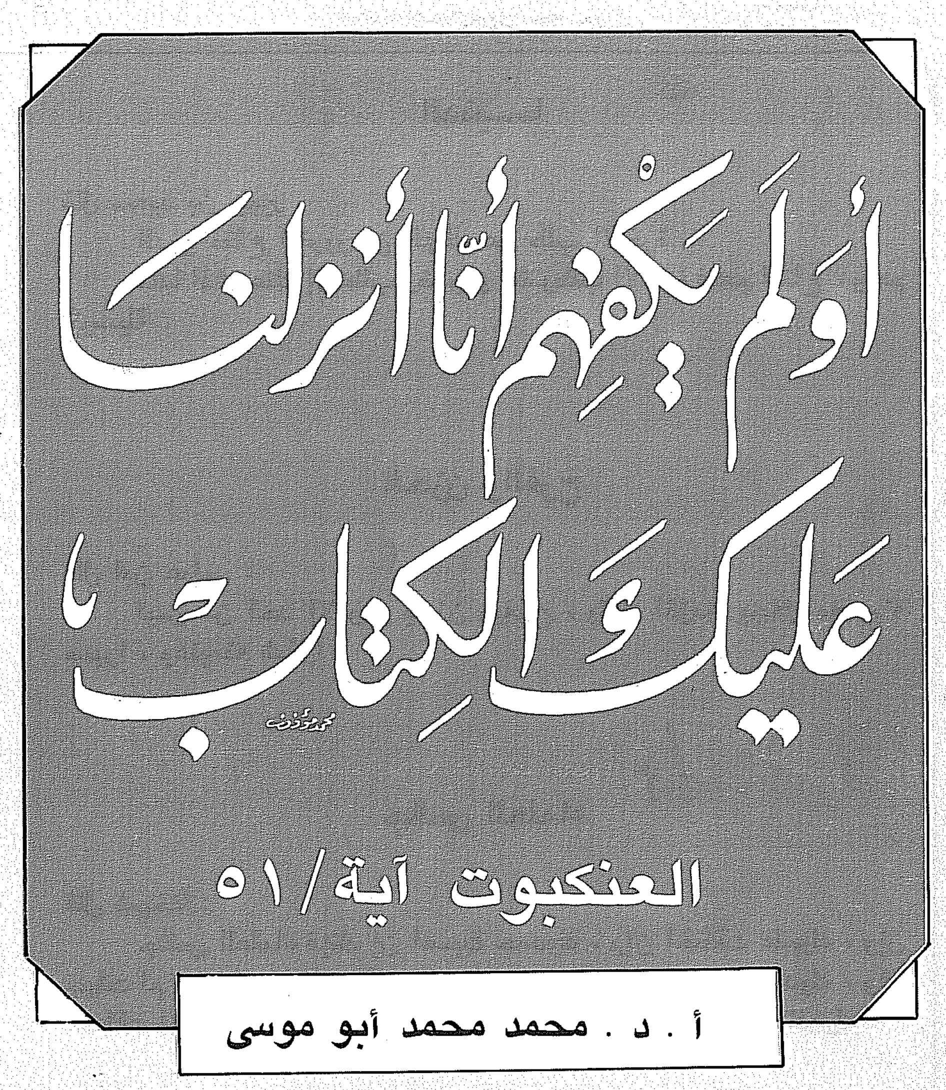
جالس العلماء فإنك إن أصبت حمدوك ، وإن أخطأت علموك ، وإن جهلت لم يعنفوك ، ولا تجالس الجهلاء فإنك إن أصبت لم يحمدوك ، وإن أخطأت لم يعلموك ، وإن جهلت عنفوك ، وإن شهدوا لك لم ينفعوك .

ورع يبغضه الله

قال رجل :

أفطرت البارحة على رغيف وزيتونة ونصف . أو زيتونة وثلث ، أو زيتونة وربع ، أو ما علم الله من زيتونة أخرى .

فقال له بعض من حضر المجلس : يا فتى إنه بلغنا أن من الورع ما يبغضه الله ، وأحسبه ورعك هذا .



أ . د . محمد محمد أبو موسى

ليس في تراث المسلمين كلمة واحدة تدل على أن هناك خلافا في إعجاز القرآن ، ولا يتصور أن يكون ذلك ، لأن اعجاز القرآن حقيقة من حقائق الاسلام ، ومعنى إعجازه أنه خارق للعادة في كل زمان ومكان . فوق قوى البشر كافة ، وان غزت عقولهم آفاق الفضاء وركبوا بها متون الكواكب .. لا تناله قدراتهم . ولا تستشرف اليه أوهامهم وان اجتازت السبع الطباق . لأنه قاطع للأطماع ، قاهر للقوى ، تستوي الأقدام كلها في العجز عنه ، وإن حاله في إعجاز الكافة كحال احياء الموتى ، والنفخ في الطين الذي هو كهيئة الطير فيكون طيرا بإذن الله ، كل هذه أمور إلهية يجريها الله على من يشاء من عباده فتكون دليل نبوته ، وأنه مبلغ عن ربه ، وبهذا تقوم حجة الله على عباده ، (**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**) الاسراء/١٥ .

أقول إن كون القرآن معجزا كخلق الانسان وتسيير السحاب المسخر بين السماء والأرض ، وتصريف الرياح أمر لم يختلف فيه المسلمون لأنه قد جاء به القرآن ، وأخبر الذي أنزله جل جلاله أنه ليس في طوق البشر أن يأتوا بمثله وجعل ذلك سبيلا إلى الايمان وقبول التكليف.قال سبحانه (**وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ، فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار**) البقرة/٢٣ و٢٤ .

ويلاحظ أن الآية الكريمة رفيقة جدا بمن تخاطب ، تجاريه ، وتضع قدمه على طريق البرهان برفق وثقة وأناة ، وتقوده نحو المقدمات ثم تضع يده على النتائج التي تفضي اليها المقدمات في طريق واضح مقنع فإذا ما انتهى الى هذه النقطة ورفض الإذعان صاح به صوت الوعيد مفزعا راعبا .

تأمل : (**وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا**) والضمير للناس المذكورين في الآية السابقة (**يا أيها الناس اعبدوا ربكم**) البقرة/ ٢١ وليس خطابا خاصا لفئة دون فئة وانما هو خطاب عام لكل مكلف عاقل من ذكر أو أنثى من يوم أن نزلت الآية الى أن يبطل التكليف بالنفخة الأولى « يوم ينفخ في الصور » .

والآية السابقة تذكر دليل الوحدانية (**الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون**) البقرة/٢٢ .

وهذه الآية دليل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، يعني شهادة الاسلام بشقيها (لا إله إلا الله) فلا تجعلوا لله أندادا ـ (محمد رسول الله) ـ (مما نزلنا على عبدنا) .

ومعنى الشرط في قوله تعالى (وان كنتم في ريب) أن هذا الريب مما لا ينبغي أن يكون إلا على سبيل الفرض والتقدير لأن الأدلة متوفرة على نفيه ولو تأملتم الموقف بصدق وحيدة ، وموضوعية لذهب هذا الريب من أصله . وإذا كان الشك هوطريق اليقين ، فلا معنى له اذا كانت الأدلة باهرة ، والبراهين ساطعة والذي أنزلناه على عبدنا متضمن برهان صدقه ويكفي سماعه لادراك هذا البرهان القوي (**وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله**) التوبة/٦ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل رسله إلى الأقوام يدعون الناس إلى صراط الله المستقيم وهم في هذه الدعوة لا يزيدون عن أن يسمعوهم القرآن ، وليس هناك كلام في الدعوة إلى الله أبلغ من كلام الله .

ثم ان الآية الكريمة رتبت على هذه الحالة المفترضة أو التي ينبغي ألا تكون الا على سبيل الفرض وهي كونهم في ريب طريقة عملية لاقتلاع هذا الريب من أصله ، وهذه الطريقة هي أن يروزوا قواهم يمارسوا معارضة القرآن بطريقة عملية وذلك بمحاولتهم أن يأتوا بسورة من مثله . وهم أهل البيان الذين فجروا ينابيعه فاستقى منها الناس ، ثم ان معارضة قول بقول هي بضاعتهم التي لم يحكموا مثلها ، وهم في غنى عن أن تطلب منهم المعارضة لأن نفوسهم تدعوهم اليها فكيف اذا أحماهم القرآن وضرب كبرياءهم وطلب منهم سورة واحدة ، وهذا تحد فيه استعلاء وثقة

والأمر فيه للتعجيز ثم انه لم يطلب معارضة سورة من الطوال ، وانما أطلق السورة ، وهم مختارون يأتون بمثل البقرة وآل عمران أو بمثل (**قل هو الله أحد**) و (**إنا أعطيناك الكوثر**) ـ وفي هذا سر جليل هو في تقديري معجز ذلك أن المعجز قليله مثل كثيره فالعجز عن خلق أصغر طائر يطير بجناحيه هو نفسه العجز عن خلق السموات والأرض وما بينهما،كذلك العجز عن (**إنا أعطيناك الكوثر**) هو نفسه العجز عن البقرة وآل عمران وهذا هو الذي أفهمه من اطلاق السورة والمساواة بين السور الطوال والقصار .. وتأمل التحدي الواثق في قوله سبحانه (**بسورة من مثله**) ولم يقل فأتوا بسورة منه ولا بسورة مثل سوره وإنما قال « من مثله » ولهذا عند اهل العلم دلالة عالية ، لأن التحدي ليس به وانما بما يشبهه اذا كان هناك أشباه له وأمثال .

وهذا استعلاء ليس فوقه استعلاء ثم قال كلمة أخرى تحمي الأنوف حميا بعد حمي وهي قوله سبحانه (**وادعوا شهداءكم من دون الله**) وفيها قدر واضح من السخرية لأن التحدي بأقصر سورة ليس لهم وحدهم وانما معهم القوى التي جعلوها فوقهم لما عبدوها وهي الآلهة (**شهداءكم من دون الله**) وقد كان هذا يتكرر في آيات التحدي قال تعالى في سورة هود (**أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين**) آية/١٣ .

وقال سبحانه في سورة يونس (**أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين**) آية ٣٨ .

وقد كان التحدي يلفتهم الى ضعفهم وعجزهم بطريقة ذات نظام وترتيب يتنزل من الأكثر الى الأقل ، فطلب منهم أن يأتوا بمثله ، ثم طلب منهم أن يأتوا بعشر سور مثله ، ثم طلب منهم أن يأتوا بسورة ، وكان هذا أقل قدر طولبوا به ولذلك قال العلماء لا يجوز التحدي بأقل من سورة ، لأنه هو الذي يظهر فيه الاعجاز .. أما الجملة فلا يجوز التحدي بها لأنها لا يظهر فيها الاعجاز فقد تلتبس عند من لا خبرة له بالجمل المتقنة التي تأتي احيانا في كلام اهل الطبع من مثل قول علي كرم الله وجهه « قيمة كل امرىء ما يتقنه » هكذا قال الرماني في كتابه النكت في اعجاز القرآن ص ٧٢ والرماني يعلم أن طبع الجملة القرآنية طبع يختلف ولكنه يقول انها قد تلتبس على من لا علم عنده ، ومواقف اثبات الحجة لا يصلح فيها الأمر الذي يلتبس وانما تحتاج الى ما يظهر ظهورا يقطع الأطماع ويسكت لجاجة الخصم ، ولعله لاحظ أن آيات التحدي جاءت في سياق إسكات اللجاجة والشغب والتلبس ولهذا تراها مسبوقة بمثل قوله تعالى : (**أم يقولون افتراه .. وإن كنتم في ريب .. ويسألونك عن الروح ..**) الى آخره . الجملة القرآنية معجزة بلا ريب لأن الاعجاز قليله ككثيره ولكن الاعجاز لا يظهر فيها ظهوره في السورة أو ما في قدر السورة .

وقد قضت آية البقرة على القوم بالعجز قبل أن يحاولوا بل وقضت بأنهم لن يحاولوا وهذه الأخيرة غريبة جدا وكانت منفذا لإبطال الحجة لو كان ذلك في وسعهم

والقرآن الكريم قال (**ولن تفعلوا**) ولو أنهم حاولوا وفعلوا لكان هذا تكذيبا لخبر القرآن ، وكان أعظم سلاح في أيديهم لصرف الناس عن القرآن .

وقد كان للجاهلين فضيلة تذكر هنا هي انهم لم يكذبوا في شأن البيان ولم يغالطوا فيه ، وهذا هو الذي عصمهم من اللجاجة في هذه المسألة ولم يرو لنا التاريخ الصحيح ان واحدا منهم أو نفرا منهم حاولوا المعارضة أما ما ينسب الى مسيلمة الكذاب فقد كان رجال بني حنيفة يقولون له «والله انا لنعلم أنك كاذب وانك لتعلم أنك كاذب ، ولكن كاذب ربيعة أحب الينا من صادق مضر » .

ثم علينا أن نذكر أن الجزيرة سرعان ما أشرقت بنور ربها وصار هؤلاء الجاهليون صحابة رسول صلى الله عليه وسلم وحملة الدين وحماة السرح ، حتى ان بعض من ادعى النبوة دخل في دين الله وكان له فيه سبق وبلاء .

والذي أريد أن أؤكده هنا أن قوله تعالى (**فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا**) هو الحجة القائمة على أجيال البشرية جيلا بعد جيل «ولزوم الحجة بها في أول وقت ورودها الى يوم القيامة على حد واحد » كما يقول الامام ابوبكر بن الطيب اعجاز القرآن ص ٨

وقد ظهرت في أيامنا هذه تيارات تجاهر بطرح التدين وتفاخر بالمروق ، وكثرتهم في دور العلم حيث اللقاء بشبابنا الغض القليل الخبرة ، وهؤلاء المجاهرون يوهمون أن التدين نمط ثقافي تقليدي يدخل في حوزته الضعاف ومن قل حظه من الثقافة والمعاصرة ، ويلبسون في هذا الباب باطلا كثيرا وهم امتداد لتيارات لم تنقطع في تاريخ المسلمين .

وقد جعل القرآن الكريم آيات التحدي من أمثال قوله تعالى : (**فأتوا بسورة من مثله**) علما منصوبا غالبا قاهرا يخفق في سموات الدنيا أمارة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولم تستطع تلبيسات الملحدين أن تنزله لحظة واحدة ـ وحاشا أن يحدث ذلك ـ نعم استطاعوا بالتهريج والغش والتدليس واستغلال غفلة اهل الحق أن يصرفوا بعض أبنائنا عن هذا البرهان الساطع ، أو يضعوا على عيونهم عصابة حتى لا يرونه .

ومن هذه العصائب التي توضع على العيون ما أفرزته وثبة العلم من مقولات مثل القول بأن العلم كشف أسرار المعجزات أو صنع المعجزات أو انتهى عصر المعجزات ... واهل الفهم يفهمون من هذا أن ما كان يعجز عنه الانسان في الزمن القديم صار لا يعجز عنه اليوم بمعونة العلم ، فالعلم سخر الأشياء للانسان ونفعه بها ، ولكن الكلمة انسحبت على المعجزات التي هي دلائل النبوات ، وقد وثب هذا المعنى الى أقلام يهتم الناس بما تخطه هذه الأقلام ، وقد قرأت للأستاذ توفيق الحكيم في كتاباته الأخيرة التي يبغى بها مرضاة ربه ـ ونسأل الله أن يتقبل منا ومنه صالح الأعمال ـ كلاما غريبا جدا قال فيه «ان عصر المعجزات قد ولى ولو كان الله سبحانه مرسلا أنبياء في هذا الزمن لأيدهم بشيء غير المعجزات لأن العلم قد أنهى عصر المعجزات» ، وهذه غفلة من الشيخ الحكيم ـ رفع الله عنا وعنه حرج الغفلات ـ لأن المعجزات التي أيد الله بها الأنبياء شيء فوق العلم لأنه لا يدخل في نطاق قدرة الانسان والعلم داخل تحت قدرة الانسان وفي اليوم الذي يحيي فيه

العلم الموتى أو يصنع من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا يكون قد أنهى المعجزات وأسقطها .
أما ركوب الكواكب فذلك تحقيق لمعنى التسخير وتوظيف له قال تعالى في سورة النحل (**وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون**) آية ١٢ .
وحين يصل العلم الى ما هو فوق ذلك ، وحين يسكن الانسان في هذه الكواكب ويقيم مصانعه على أنف المريخ والمشترى وعطارد لا يكون مارقا عن الدين ، وانما يكون من وجهة نظر القرآن قد حقق شيئا من معنى تسخير الله سبحانه هذه الكائنات للانسان نعم ارتاعت الكنيسة من وثبة العلم ولكنها لم تستطع أن توقف هذه الوثبة برغم أنها أحرقت العلماء وهاجمت العلم فرمته بالالحاد ورماها بالجمود ، أما الذي في الاسلام فشيء غير هذا .
والقرآن العظيم الذي قضى على العقل البشري بالعجز المطبق عن أن يأتي بسورة من مثله مهما تفلسف وتنطس هو نفسه الذي يغري هذا العقل بالتدبر والتفكر والتعقل الدقيق لكل ما في الكون من أسرار تنطوي فيها الحكمة التي هي آيات الله في الآفاق وقد سخر القرآن كثيرا من الذين لا تتغلغل عقولهم في صميم الأشياء حتى تستخرج سننها المبهرة ونظامها العجيب .
وفي سورة فاطر آية كريمة تجعل خشية الله الخشية الحقة مقصورة على العلماء وسياق الآية يدل على أنهم ليسوا فقط علماء الفقه والحديث وإنما علماء النبات والجيولوجيا والبيطرة والأجناس .
اقرأ الآية الكريمة : (**ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء**) ٢٧/٢٨ سورة فاطر .
تأمل كيف بدأ بالدعوة الى التغلغل في شرائح الكون لاكتساب العلم الدقيق بحقائق الأشياء ثم ذكر اختلاف الثمرات واختلاف الجبال واختلاف الدواب والأنعام وهكذا ، ومعرفة أسرار الاختلاف من أدق فروع المعرفة في هذه العلوم .
وكيف رفع الله سبحانه قدر هؤلاء العلماء الذين قدحوا بعقولهم خفايا أسرار النبات وطبقات الأرض والجبال والحيوان والانسان واستخرجوا منها علما باهرا يزكى فيهم روح الايمان وتتوهج جذوة اليقين ، وإنما يكون ذلك حين يبلغون في هذه العلوم مرتبة الأستاذية ولا أعني بالأستاذية ما تمنحه جامعاتنا من ألقاب وانما أعني الفقه البصير الذي ترى به العالم يعيش في بابه حتى يكون ذا رأي فيه اذا تكلم هذا في علم النبات أصغى أهل هذا الباب الى مقالته واذا تكلم هذا في علم طبقات الأرض كان ذا كلام يعتبر عند أصحاب هذا الشأن . وهكذا لأن هذه الدرجة هي التي تهدي الى لطائف الحكمة المودعة في الأشياء وليس التحصيل فقط .
الأمر المعجز الذي أيد الله به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم لا يتوجس من العلم

ولا يهابه بل انه يؤانس العلم ويحثه ويدفعه حتى يصل الى أقصى آفاقه لأنه كلما اتسعت دائرة العلم وتعمقت نظرته كان ذلك مدعاة لمعرفته مجالاته وما هو في إمكانه وما ليس في إمكانه ، فاذا بلغ ذروة ذراه أحنى هامته إلى المعجزات لأنه يعلم أنها مما لا يدخل في بابه .

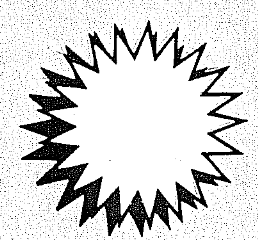
العقل البشري هو سيد العلم ومالك زمامه يصرفه ويدبره ، لأنه وليده وعطاؤه ، والمعجزات فوق طاقة هذا العقل وفوق إمكاناته .

بقي شيء واحد يغيب عند كثير من الناس ، وهو ضرورة معرفة الفرق بين الاعجاز ووجه الاعجاز .

أما الاعجاز فهذا ثابت بالكتاب ولا كلام فيه .

وأما وجه الاعجاز وهو معرفة السر الذي كان به القرآن معجزا أعني الشيء الذي أودعه الله سبحانه في هذه الكلمات العربية فصارت به معجزة كإحياء الموتى وقلب العصا حية فليس في كلام الله ولا في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمة واحدة تدل عليه ، وكذلك ليس في كلام صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في كلام التابعين الذين سمعوا منهم وأخذوا عنهم ، وهذا مبلغ علمي في هذا الباب لأنه لو كانت هناك كلمة واحدة قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيان وجه الاعجاز أعني الشيء الذي صار به القرآن معجزا لتناقلها العلماء ولهذا كان هذا مفتوحا لاجتهادات المجتهدين فتعددت الآراء وتعددت وجوه الاعجاز فهناك من ذهب إلى أن سر إعجازه هو بلاغته وهناك من ذهب الى الاخبار بالغيب وهناك من ذهب الى قصص الأولين وهناك من يقول انه معجز بما فيه من نظام تشريعي بالغ الدقة والاتقان حتى لم ينقض له حكم على مدى هذه القرون المتطاولة فلم يكتشف باحث مدقق خطأ في قضية من قضاياه ، وهكذا ولا حرج على المسلم في أن يقبل من هذه الآراء ما يقبل وأن يرفض منها ما يرفض وإنكار أي وجه من وجوه الاعجاز غير قادح في الدين .

وهذه الأمة الكريمة لم تحتف بشيء قدر حفاوتها بهذا الكتاب العظيم ولا تزال هذه الحفاوة موصولة برغم ما نحن فيه من كبوات ولا تزال المحافل العلمية تعقد في أقطار المسلمين تبحث في وجه الاعجاز،وبدأ تراث جديد يضاف الى تراث هذه القضية ولكنه في هذه المرة يشرق من مشكاة العلم ، وسوف يبقى هذا الكتاب مفتوحا تقرؤه الأجيال على اختلاف طبقاتها وتفاوت درجاتها في التقدم والترقي وهو يمد الكل ولا يخلق على كثرة الرد ، وصدق الله العظيم (**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم**) .



مع سورة الواقعة

جاءت فاتحة السورة الكريمة بأسلوب الشرط والجملة الشرطية **(إذا وقعت الواقعة * ليس لوقعتها كاذبة * خافضة رافعة * إذا رجت الأرض رجا * وبست الجبال بسا * فكانت هباء منبثا * وكنتم أزواجا ثلاثة)** وفي أسلوب الشرط طاقة بلاغية وشحنة قوية من إثارة الانتباه والترقب والانتظار ، والتطلع إلي مجيء جواب الشرط بعد استرسال النفس في إدراك معاني فعل الشرط في أول الجملة الشرطية ، فلا تزال النفس مندمجة في تأمل معنى الشرط وفعله وجملته متأنية متفهمة واعية له في تأمل وانتظار لمجيء جوابه حتى إذا ما وصلت إلى الجواب ووصل إليها الجواب بعد طول غياب وانتظار وقع منها موقع الشيء المنتظر ، فتمكن منها فضل تمكن . وقر في أعماقها أي قرار .

نعم إن الجملة الشرطية كما يؤخذ من كلام النحاة والبلاغيين جملة دسمة عجيبة تجمع بين أمرين بينهما تضاد ، فهي إنشائية في صدرها لأن الشرط إنشاء لا محالة كالنداء والقسم والتعجب ، والعقود ، وكل ما ليست له نسبة خارجية يتوجه إليها الصدق والكذب ، ثم هي بعد ذلك في شرطها تكون خبرية في جوابها حتى وإن كان في الجواب طلب فيكون ملخصها أن جوابها واقع عند حصول شرطها . ولعلها من أجل ما فيها من هذه الطاقة البلاغية النفسية كثر

دراسة وتحليل فاتحة السورة

للدكتور/ عبدالغني الراجحي

ورودها في كثير من فواتح سور القرآن لتكون براعة استهلال تستقطب الانتباه وتستحوذ على المشاعر لتفتح لها الطريق إلى ما بعدها من آيات السورة الكريمة : فالزلزلة والتكوير والانشقاق والنصر والمنافقون كلها سور مبدوءة بأسلوب الشرط وجملة الشرط لكن الشرط يطول عادة وتطول فيه أفعال الشرط فيما كان في أحوال يوم القيامة كقوله تعالى (**إذا الشمس كورت * وإذا النجوم انكدرت * وإذا الجبال سيرت * وإذا العشار عطلت * وإذا الوحوش حشرت * وإذا البحار سجرت * وإذا النفوس زوجت * وإذا الموءودة سئلت * بأي ذنب قتلت * وإذا الصحف نشرت * وإذا السماء كشطت * وإذا الجحيم سعّرت وإذا الجنة ازلفت * علمت نفس ما أحضرت**) التكوير ١/١٤ . وقوله تعالى : (**إذا السماء انفطرت * وإذا الكواكب انتثرت * وإذا البحار فجرت * وإذا القبور بعثرت * علمت نفس ما قدمت وأخرت**) الانفطار ١/٥ .

وإذا كانت جملة الشرط في أصلها مذكورة الشرط والجواب لتعطي هذه الطاقة من البلاغة ، والاثارة النفسية ، فإنها أحيانا تساق بشرطها فقط محذوفة الجواب لملحظ بلاغي نفسي آخر هو أن تذهب النفس في تقدير الجواب وتحديده كل مذهب فيزداد الأمر بحذفه روعة فوق روعة ، وبلاغة فوق بلاغة ، وكثيرا ما يكون في

المقام وسياق الكلام ما يساعد على بلورته وتقديره وإن اختلفت الأنظار في هذا التقدير حسب اختلاف الأفهام والأذواق .. وذلك شبيه بالحال في حذف جواب (لما) وحذف جواب القسم الذي كثيرا ما نجده في آيات الذكر الحكيم . وقد وقع ذلك في الشرط مع حذف جوابه في قوله تعالى : (**إذا السماء انشقت * وأذنت لربها وحقت. وإذا الأرض مدت * وألقت ما فيها وتخلت * وأذنت لربها وحقت**) الانشقاق ١/ ٥ . ويمكن أن يكون الجواب المقدر قولنا مثلا «قامت الساعة أو قامت القيامة أو حشر الناس لربهم بدليل قوله فيما بعد (**يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه**) الانشقاق/٦ وقوله تعالى في جزاء المتقين وجنتهم (**حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين * وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين**) سورة الزمر ٧٣/ ٧٤ ويمكن أن يكون جواب الشرط تقديره كان هذا جزاءهم . وأما حذف جواب لما ففي مثل قوله تعالى عن ابراهيم وولده اسماعيل : (**فلما أسلما وتله للجبين ، وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين**) سورة الصافات ١٠٣ ١٠٥ ويمكن أن يكون الجواب تمت النعمة عليهما . أما حذف جواب القسم ففي مثل قوله تعالى (**ص والقرآن ذي الذكر * بل الذين كفروا في عزة وشقاق**) سورة ص آية ١ ،٢ ، ويمكن أن يكون الجواب المقدر « ما آمنوا » .. وقوله تعالى (**ق والقرآن المجيد * بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب**) سورة ق آية ١ و٢ ويمكن أن يكون جواب القسم المقدر « ما آمنوا » ... وقوله تعالى (**والفجر * وليال عشر * والشفع والوتر * والليل إذا يسر * هل في ذلك قسم لذي حجر**) الفجر ١ ـ ٥ ويمكن أن يكون جواب القسم مقدرا بقولنا « ليعذبن » بدليل ما جاء بعد ذلك في السورة الكريمة من عذاب عاد وثمود وفرعون .

وإذا كان ذلك كذلك فإنني أختار في شرطنا هذا الذي جاء في فاتحة سورتنا هذه سورة الواقعة رأى من يرى أنه محذوف الجواب وليقدره كل مقدر كيفما شاء ذوقه وحسه الأدبي والقرآني . ولعله يكون التقدير إذا وقعت الواقعة حالة ليس لوقعتها كاذبة وهي خافضة رافعة إذا رجت الأرض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا افترقتم وكنتم أزواجا ثلاثة فتكون كلمة افترقتم أو تفرقتم في المنزلة والدرجة والأحكام عليكم هي الجواب المقدر ليكون جوابا للشرطين السابقين اللذين هما في الحقيقة شرط واحد لأن الشرط الثاني في إذا الثانية بدل أو بيان في الشرط الأول الذي هو إذا وقعت الواقعة وفي العلوم العربية يقولون ان البدل والمبدل منه كالشيء الواحد .

ولفظ الواقعة هنا اسم للساعة والقيامة واليوم الآخر ومما هو معلوم ومقرر أن تعدد الأسماء لشيء واحد

غالبا ما يكون دليلا على العناية بالمسمى فكان من أسماء القيامة الواقعة ، والحاقة والساعة والقارعة ، والصاخة ، والطامة ، والغاشية ، والزلزلة . وما شابه ذلك مما ورد ذكره في القرآن كثيرا في مواضع شتى . وهو يدور حول معنى العذاب والدواهي والصواعق وبالألفاظ التي تحدث آثارها في نفوس كفرة مكة وتروعهم وتثير فيهم معاني الخوف والفزع من أهوال يوم القيامة لعلهم يعيدون النظر في موقفهم منها فلا يكفرون بها . ومن العجب العجاب أن كفرهم بالساعة كان أشد من كفرهم بالله نفسه الذي كانوا يعتقدون بوجوده وإن عبدوا الأصنام تقربا إليه كما نطقت بذلك آيات القرآن الكريم في مثل قولهم انما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى . وقوله تعالى عنهم (**ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله**) لقمان/ ٢٥ مع قولهم في الساعة (**أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد**) سورة ق/٣ . وقوله تعالى عنهم : (**وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت**) سورة النحل/ ٣٨ .

والوقعة بدون ألف بين الواو والقاف جاءت في الآية الثانية مرادا بها الحصول والكينونة على معنى أنه إذا جاءت الساعة وحصلت وصارت أمرا واقعا فليست توجد نفس كاذبة تنفيها وتكذب في الاخبار عنها كما كان الأمر في الدنيا قبل معاينتها ورؤيتها رأي عين . فمن استطاع الكذب بشأنها ونفيها في الدنيا وحكم باستحالتها وكان كاذبا في حكمه هذا فإنه لا يستطيع ذلك عند معاينتها في الآخرة لأن الواقع أخرسه وألجم لسانه وألزمه عدم الكذب .

ثم إن السورة الكريمة في فاتحتها هذه عن الواقعة التي هي القيامة تخبر في آية واحدة من لفظتين اثنتين أنها رافعة خافضة رفعا وخفضا معنويين ترفع أقواما آمنوا بها ويأتي الحديث عنهم في نفس السورة بعنوان السابقين وأصحاب الميمنة وتخفض في الحضيض آخرين كفروا بها وكانوا ينكرونها ويأتي الحديث عنهم في نفس السورة بعنوان أصحاب المشأمة وأصحاب الشمال أو رفعا وخفضا حسيين ماديين بما ينتاب الأرض والجبال والبحار ومظاهر الكون من تحطيم ونسف وتغيير وتبديل كما جاء في نفس السورة وافعال الشرط فيها من رج الأرض رجا وبس الجبال بسا فكانت هباء منبثا وعلى نحو ما جاء في سورة الحاقة والقرآن يفسر بعضه بعضا في الآيات ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ،و١٨ حيث يقول سبحانه : (**فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة * وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة * فيومئذ وقعت الواقعة * وانشقت السماء فهي يومئذ واهية * والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية * يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية**) .

الأزواج الثلاثة وشرح أحوالها

إن السورة الكريمة بعد هذه الآيات القليلة العدد في فاتحتها

والمتحدثة عن وقوع القيامة الواقعة وبعض مشاهدها عمدت بعد ذلك في بيانها وأسلوبها ومنهج حديثها إلى صنعة بديعية بديعة أجمع علماء البلاغة على روعتها وجمالها وجلالها لما فيها من أنواع المقارنات والمقابلات والتقسيمات وإعطاء كل قسم حقه وحكمه . ألا وهي صنعة الجمع والتقسيم والتفريق فالخلائق كلها جمعت في يوم الواقعة يوم القيامة ثم قسمت الى ثلاثة أقسام .أصحاب الميمنة واصحاب المشأمة والسابقين .

ثم أخذ البيان القرآني في السورة بعد هذا التقسيم يعطي كل ذي حق حقه وكل ذي قدر قدره وحكمه من هذه الأزواج والأصناف والفرق الثلاث ولما كانت هذه الفرق الثلاث مختلفة في المنزلة والمرتبة أسندت السورة إلى كل فرقة ما يلائمها وتستحقه من عقاب أو ثواب مع اختلاف هذا العطاء حسب اختلاف الدرجات والمواقف، الأمر الذي ينطق بالحكمة والموازين بالقسط وبالمقدار الدقيق لأن المعطي سبحانه لا يظلم الناس شيئا ويضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا،ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ..كل في درجته في العطاء حسب درجته في العمل والمنزلة،لكل درجات مما عملوا يقع ذلك كله في نحو خمسين آية تختم بقوله تعالى عما سبق ذكره من الأزواج والفرق **(هذا نزلهم يوم الدين)**/ ٥٦ بعد أن كان هذا البيان كله مبدوءا في السورة الكريمة بقوله تعالى للمخاطبين بالقرآن الموعودين بيوم البعث « وكنتم أزواجا ثلاثة » والأزواج جمع زوج يطلق على الزوج الرجل باطلاق وعلى المرأة المتزوجة أيضا ويطلق على الزوج ضد الفرد وعلى الزوج بمعنى الصنف كما في قوله تعالى (**ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)** الذاريات/ ٤٩ وهذا الأخير هو المراد في هذه السورة وفي هذا المقام ولعل اطلاق الزوج على الصنف لأن الصنف مع مقابله وضده يعتبر زوجا ضد الفرد .

وقد بدأت السورة الأزواج الثلاثة بأصحاب الميمنة وثنت بعدهم بأصحاب المشأمة وثلثت بالسابقين في ثلاث آيات متتابعة بأسلوب بليغ في مدح أصحاب الميمنة بطريقة إيقاعهم مبتدأ بهم ومخبرا عنهم في صيغة جملة استفهامية تتضمن تجهيل المخاطب بعلو شأنهم فقالت : فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة » كأنها قالت فأصحاب الميمنة ما أعظم حالهم ولعظم حالهم سئل عنهم تهويلا وتفخيما كما في قوله تعالى « القارعة.ما القارعة » وقوله تعالى « الحاقة . ما الحاقة. وما أدراك ما الحاقة » وبهذا الأسلوب نفسه بالغت في قبح النوع الثاني المقابل لهذا النوع فقالت « وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة » كأنها قالت وأصحاب المشأمة ما أقبح حالهم فالسؤال سؤال تفظيع وتهويل وتجهيل المخاطب بالحال المنوه عنه تحسينا أو تقبيحا وأسلوب الأداء وان كان واحدا في حالتي المدح لأصحاب الميمنة والذم لأصحاب المشأمة الا أن ظهور المفارقة والمضادة والاختلاف بين الحالين تكفل بها التقابل الواضح والتضاد

الظاهر بين المشأمة والميمنة فالميمنة إما من اليمن بمعنى الخير والبركة . وإما من اليمين لأنهم يأخذون كتابهم بيمينهم يوم القيامة ، والمعنيان يتقاربان ويتلاقيان ، والمشأمة إما من الشؤم وهو الشر والنحس والعسر والضيق وإما من الشمال لأنهم يعطون كتابهم بشمالهم يوم القيامة ، والسعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم ، والأشقياء مشائيم على أنفسهم بمعاصيهم .. أما القسم الثالث وهم السابقون فلشدة أسبقيته في الفضل وانفراده وتميزه بهذه الأسبقية حتى على أصحاب اليمين جاء الحديث عنه بأسلوب مغاير للأسلوبين في أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة .. وكثيرا ما يكون تغيير الأسلوب في التعبير إشارة إلى تغاير الأحوال في المعاني المقصودة . فتكرر لفظ السابقون والثاني خبر عن الأول على حد قول القائل أنا أبو النجم وشعري شعري بمعنى وشعري عظيم فقال تعالى والسابقون السابقون وتعريف الطرفين من المبتدأ والخبر مفيد للقصر قصر الأسبقية عليهم ثم أخبر عنهم بجملة مصدرة باسم الاشارة البعيد لبعد منزلتهم وعلوها في الفضل والشرف فقال عنهم « أولئك المقربون » فخلع عليهم صفة القرب مع صفة السبق والمراد بالقرب قربهم من الله والجنة وصالح الأعمال بالمسارعة إليها كما يقول المفسرون ويشهد لهم قوله تعالى **(وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين)** آل عمران/ ١٣٣ وفي آية أخرى **(سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض)** الحديد/ ٢١ وكأن أصحاب الميمنة هم الأبرار والسابقون هم المقربون وقديما قيل في رفع المقربين على الأبرار .. حسنات الأبرار سيئات المقربين بمعنى أن الحسنات عند الأبرار يعتبرها المقربون سيئات بالنسبة لهم إذا فعلوها . ومن أجل هذا كله جاء ذكرهم في البيان القرآني ثالثا وأخيرا كعملية انفراد بعد الفريقين من أصحاب الميمنة الذين روعي في تقديم ذكرهم كثرتهم عددا عن السابقين فالسابقون لشدة مزيتهم أقل عددا من أصحاب اليمين . وذكر عقب أصحاب الميمنة أصحاب المشأمة للالتحام والاقتراب بين الضدين والضد أقرب خطورا بالبال الى الضد فكان الوضع مطابقا للطبع والفريقان فيهما كثرة عددية فروعي في التثليث بالسابقين قلة العدد وان كانوا أعلى في القيمة والمنزلة والدرجة . وقد يؤخر الشيء في الكلام لطول الكلام عليه والعناية به الأمر الذي تأكد بتقديم ذكر نعيمهم مع الافاضة فيه والتطويل على ذكر نعيم أصحاب اليمين خلافا لما كان يقتضيه ظاهر الترتيب . فهم وإن تأخروا في التقسيم لبعض الملاحظ فقد تقدموا وسبقوا في ذكر أوصافهم ونعيمهم قبل غيرهم فكان سبقهم في ذكر النعيم وبيانه مطابقا لمعنى سبقهم في الفضل والدرجة وهذا لا ينافي أنهم قلة في العدد لا سيما كلما تأخر الزمن وفسد الحال ولم يأت يوم الا والذي بعده شر منه ولهذا جاء في بيانهم أنهم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين ،

جماعات وأعداد كثيرة من الأولين الصالحين من الصحابة والتابعين وقليل من الآخرين المتأخرين في الزمن بينما جاء في أصحاب اليمين أنهم ثلة من الأولين وثلة من الآخرين كثرتهم باقية الى آخر الزمن لأن درجتهم في متناول الكثيرين دون درجة السابقين التي ليست في متناول الكثير من المتأخرين والكلام في نظري وخلافا لبعض المفسرين خاص بأمة محمد صلى الله عليه وسلم كما هو قضية الخطاب في قوله تعالى « **وكنتم أزواجا ثلاثة** » فإنه لأهل مكة وسائر أمة محمد ويتأكد هذا بما جاء في آخر السورة من قوله تعالى « **ثم إنكم أيها الضالون المكذبون.لآكلون من شجر من زقوم** » فالخطاب لمن هم في عصر نزول القرآن .

ومع أن أقل درجات نعيم أهل الجنة لا يقادر قدره . ولا يستصغر أمره إلا أننا بشيء من إمعان النظر نستطيع أن نلحظ أن نعيم صنف السابقين المعروض علينا في السورة الكريمة أعلى قدرا وأعظم شأنا من نعيم أصحاب اليمين المذكور في السورة نفسها فالنعيمان وإن اشتركا في أن مبناهما إجمالا التمتع في جنة الله بما كان يألفه البشر في الدنيا من لذائذ المآكل والمشارب والجنس وإشباع الرغبات الشهوية التي هي مقتضى الفطرة ولعلها تكون في الجنة على نحو آخر غير بهيمي أو حيواني . إلا أننا نلحظ أن ما ذكر في نعيم السابقين أعلى كعبا ودرجة مما ذكر في نعيم أصحاب اليمين فالسرر الموضونة المطعمة بالجواهر النفيسة والولدان المخلدون والحور العين كأمثال اللؤلؤ المكنون والأكواب والأباريق وكأس من معين ولحم طير مما يشتهون وفاكهة مما يتخيرون لا يلحق بها ولا يساويها ما ذكر في نعيم أصحاب اليمين من سدر مخضود بمعنى نبق لا شوك فيه وطلح منضود موز بعضه فوق بعض وماء مسكوب يجري وفاكهة كثيرة وفرش مرفوعة وأبكار عذارى عربا متحببات الى أزواجهن أترابا متساويات في العمر .

هذا ، وأما القسم الثالث الأرذل المشؤوم فهم أصحاب الشمال وقد بينت الآيات الكريمة سوء منزلتهم يوم القيامة في نار جهنم يأكلون من شجر الزقوم ويشربون من الحميم الماء الحار شرب الهيم الابل العطاش وهم في سموم ريح حارة تخرق مسام جلدهم وحميم ماء حار وظل من يحموم من دخان نار جهنم لا بارد ولا كريم لأنهم كانوا في الدنيا مترفين بالنعيم مصرين على الذنب والاثم مستهزئين بالبعث وينكرونه ويستبعدونه على قدرة الله . وبذلك تكون السورة الكريمة ومن أولها الى الآية ٥٦ قد استوفت واستوعبت ذكر الأزواج الثلاثة الذين ذكروا بطريقة الجمع والتقسيم والتفريق في بيان يأخذ بالألباب ويستحوذ على المشاعر والأسماع .

بعد ذلك أخذت الآيات تسوق الأدلة والبراهين على قدرة الله على البعث والحشر يوم القيامة للثواب حيث يقول الله لهم (**نحن خلقناكم فلولا تصدقون**)بمعنى خلقناكم أول مرة فنحن على الخلق الثاني أقدر

خلقناكم أول مرة في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق (**أفرأيتم ما تمنون * أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون * نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين * على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون**) الآيات ٥٧ الى ٦٢ .

ثم تستمر الآيات في عرض صور أخرى مرئية محسوسة فيها الدلالة الكافية على قدرة الله الصالحة لبعث الخلائق من قبورها فتقول (**أفرأيتم ما تحرثون * أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون * لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون * إنا لمغرمون * بل نحن محرومون**) ثم تعطي الآيات نموذجا آخر فتقول (**أفرأيتم الماء الذي تشربون * أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون * لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون**) ثم تعطي الآيات نموذجا آخر فتقول (**أفرأيتم النار التي تورون • أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون * نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين**) ثم تنتقل السورة بعد هذه الأدلة العقلية الدالة على قدرة الله القادر على البعث والحشر الى شيء أشبه بالأدلة النقلية التي يجب أن تصدق ولا يجوز أن تكذب فيقع القسم في الآية الخامسة والسبعين بمواقع النجوم على أن القرآن تنزيل من رب العالمين لكنهم به مدهنون وبقضاياه مكذبون فتقول (**فلا أقسم بمواقع النجوم * وإنه لقسم لو تعلمون عظيم * إنه لقرآن كريم * في كتاب مكنون * لا يمسه إلا المطهرون * تنزيل من رب العالمين * أفبهذا الحديث أنتم مدهنون * وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون**) الآيات من ٦٣ ـ ٨٢ .

ثم تنتقل السورة وآياتها الى تشديد الوطأة في الجدال مع الكافرين والجائهم إلى أضيق الطرق وأوعر المسالك فتجبههم بمسألة لا يستطيعون أن يجدوا لأنفسهم مناصا أو ملجأ من العجز في معالجتها والنطق فيها بحرف واحد من كلمات المكابرة والمعاندة التي تعودوها حيث تقول لهم الآيات في أسلوب هو القمة في التحدي . تقول لهم عن خروج الروح من البدن ومعاناة الانسان للموت ليقدم على القيامة والساعة والواقعة .

(**فلولا إذا بلغت الحلقوم * وأنتم حينئذ تنظرون • ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون * فلولا إن كنتم غير مدينين * ترجعونها إن كنتم صادقين**) والمعنى نحن في هذا الموقف بعزتنا وقدرتنا منفردون بالأمر مستقلون به استقلالا تاما نقبض الروح ونترك البدن جثة هامدة . هل تستطيعون إن كنتم صادقين في دعاويكم الكفرية والعنادية أن تقفوا في عنادنا أو تستردوا الروح من قبضتنا لإرجاعها إلى البدن ؟ فكروا ثم أجيبوا بلا أو نعم ؟ ولا شك أنها لا .. من الآية ٨٣ الى الآية ٨٧ .

تعود السورة بعد ذلك إلى ما هو من لوازم طلوع الروح وهو القيامة والساعة فتختتم السورة نفسها بثماني آيات كانت مسك الختام . وكانت في نفس المعاني التي افتتحت بها

السورة الكريمة فكان هذا الصنيع من قبيل الصنعة البديعية المشهورة المعروفة برد العجز على الصدر . المقربون . ثم أصحاب اليمين ثم الضالون المكذبون وهم أصحاب الشمال (**فأما إن كان من المقربين**) .. أي هذا الذي قبضنا روحه (**فروح وريحان وجنة نعيم * وأما إن كان من أصحاب اليمين * فسلام لك من أصحاب اليمين * وأما إن كان من المكذبين الضالين * فنزل من حميم * وتصلية جحيم**) ٨٨/ ٩٤ نفس الصنعة البديعية الأولى في مطلع السورة الكريمة الجمع والتقسيم والتفريق مع الطباق والمقابلة . والمقربون إلى الله والجنة وصالح الأعمال أعلى درجة وتقدما في الذكر كتقدمهم في الرتبة وفي نعيمهم إطناب وجناس لطيف .. روح وريحان وجنة نعيم .. وأصحاب اليمين الأقل درجة من سابقيهم جاءوا في الذكر ثانيا تالين للمقربين وفي نعيمهم وحسن حالهم إجمال .. فسلام لك من أصحاب اليمين .. على نحو ما كان عليه الأمر فيما سبق من ذلك في مطلع السورة الكريمة . أما أصحاب الشمال المكذبون الضالون ففي وصف شقائهم إجمال في ختام السورة إحالة على ما ذكر فيه من الاطناب في أول السورة .. نزل من حميم وتصلية جحيم ثم تكون اللمسة الأخيرة لمعاني السورة الكريمة في آيتين اثنتين هما آية في البلاغة والايجاز وجوامع الكلم كأنما كانتا توقيعا ربانيا لضمان صحة وصدق ما سبق ذكره في آيات السورة الكريمة حيث تقول الآية الأولى منهما (**إن هذا لهو حق اليقين**) ٩٥ . كل ما سبق ذكره في السورة الكريمة من الوعد والوعيد والواقعة وما يتعلق بها وقدرة الله البالغة وعجز الانسان عن التصرف في أقرب الأشياء إليه وهي روحه حق ويقين ثابت لا شك فيه ولا مراء .. وحق اليقين هو أعلى أنواع الادراك اليقيني وقبله عين اليقين وقبله علم اليقين . فإذا ما علم الماشي في صحراء أن بطريقه بئر ماء متيقنا فهو علم اليقين فاذا ما وصل إليه ورآه رأى عين فهو عين اليقين فإذا نزل إليه وشرب منه فهو حق اليقين ثم تأتي الآية الأخيرة من آيتي الختام لتقول (**فسبح باسم ربك العظيم**) ٩٦ وحرف الفاء في أولها مفيد للعلاقة والارتباط كأن المعنى فإذا كان ذلك كذلك وثبت الحق واليقين واتضح ذلك فسبح باسم ربك العظيم تعجبا مما فعل وتنزيها له وإبعادا عن أي نقص أو شائبة نقص من سفه أو جهل أو غفلة أو كذب فهو الصادق في حديثه لا تكذيب بآياته وهو القادر الفعال لما يريد، لا شك في قدرته على كل شيء قدير، وهو العظيم الذي لا يصدر عنه إلا كل عظيم . إذا قال أو فعل، كل جملة في هذه السورة وكل معنى ساقته وكل كلمة بل كل حرف شاهد بذلك كله سبحانه وتعالى، فقل سبحان ربي العظيم . فمن خلق الخلق أولا ثم يعيده ثانيا، ومن حكم بين العباد يوم تقوم الساعة وأنزل الناس منازلهم وجازاهم بأعمالهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر .. ومن خلق الانسان من نطفة وأخرج الزرع من الأرض وأنزل الماء من السحاب وجعل

من الشجر الأخضر نارا وأنزل القرآن غير كاذب وأخرج الأرواح من الأجساد وخلق للسعادة أناسا وللشقاء آخرين . كيف لا يكون عظيما .. ولعظمة هذه الآية في مبناها ومعناها ختمت بها السورة الكريمة بعد أن سبق ذكرها في نفس السورة الآية ٧٤ ولم تقع في السورة آية مكررة إلا تلك الآية .. وأخرج الامام أحمد وابن حبان والحاكم ، أنه لما نزلت الآية «**فسبح باسم ربك العظيم**» قال النبي صلى الله عليه وسلم . اجعلوها في ركوعكم ولما نزل قوله تعالى «سبح اسم ربك الأعلى» قال صلى الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم .

السورة إذن وبعد هذه الجولات والنظرات في جنباتها تعتبر من الآية الأولى الى الآية السابعة والخمسين في موضوع واحد هو الواقعة وأهوالها وأحوالها وحسن عاقبة المتقين وسوء عاقبة الضالين . ثم من الآية السابعة والخمسين الى الآية الرابعة والسبعين في أمر متعلق بالموضوع الأول ودليل عليه وهو إبراز قدرة الله في خلق الانسان والكائنات ، العالم الصغير والعالم الكبير فمن قدر على الخلق أولا فهو ثانيا عليه أقدر . وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ثم من الآية الخامسة والسبعين الى الآية السابعة والثمانين في شرح دليل النقل بعد دليل العقل على منتهى قدرة الله .

كما جاء في القرآن المنزل من عند الله مع تحدي المعاندين أن يقفوا في وجه القدرة الالهية حين انتزاع الأرواح من الأجساد فإذا لم يقدروا ولن يقدروا فليعترفوا بالعجز والتسليم لله العلي القدير . ثم من الآية الثامنة والثمانين الى نهاية السورة في آيات تعتبر بالنسبة لما جاء في أولها من رد العجز على الصدر حيث أعادت باختصار وبأسلوب جديد منازل السعداء ومنازل الأشقياء بعد البعث ويوم الجمع بأسلوب الجمع والتقسيم ، والتفريق والتضاد والتقابل في جزء قليل من الكلام .. وبهذا يظهر لنا بوضوح أن مقاطع السورة والمعاني فيها والآيات والعبارات يأخذ بعضها بحجز بعض وتتماسك معانيها على اختلاف أنواعها وتعدد أنماطها كما تتماسك اعضاء البدن الواحد فيتكون من ذلك ما يسمونه بالوحدة العضوية التي يباهى بها أرباب البيان والأدب في القصيد الشعري مما يعتبرونه من معطيات الأدب الحديث وهو في كتاب الله منذ أربعة عشر قرنا من الزمن ..

وهكذا لا يظهر للناس من وجوه حسن الكلام وجودته إلا وللقرآن فيه القدح المعلى لكنه يحتاج الى من يكشفه ويوضحه للناس ومن هنا جاء في القرآن نفسه الأمر الصحيح بتدبر القرآن أكثر من مرة فقال تعالى (**أفلا يتدبرون القرآن**) النساء/٨٢ وقال (**كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب**)

ص/٢٩ على أن أستاذنا الجليل المرحوم الشيخ محمد عبدالله دراز في كتابه « النبأ العظيم » قد أشار إلى

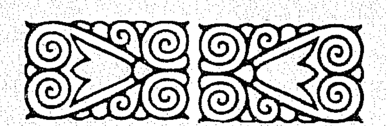
هذه الفكرة وشبه المعاني في السورة الواحدة بأعضاء الجسم الواحد المشدود بعضها إلى بعض بالرباطات والشرايين والعروق والأعصاب وبالحجرات في بيت واحد رسم مرة واحدة في تناسق وتناسب بغير تكلف .

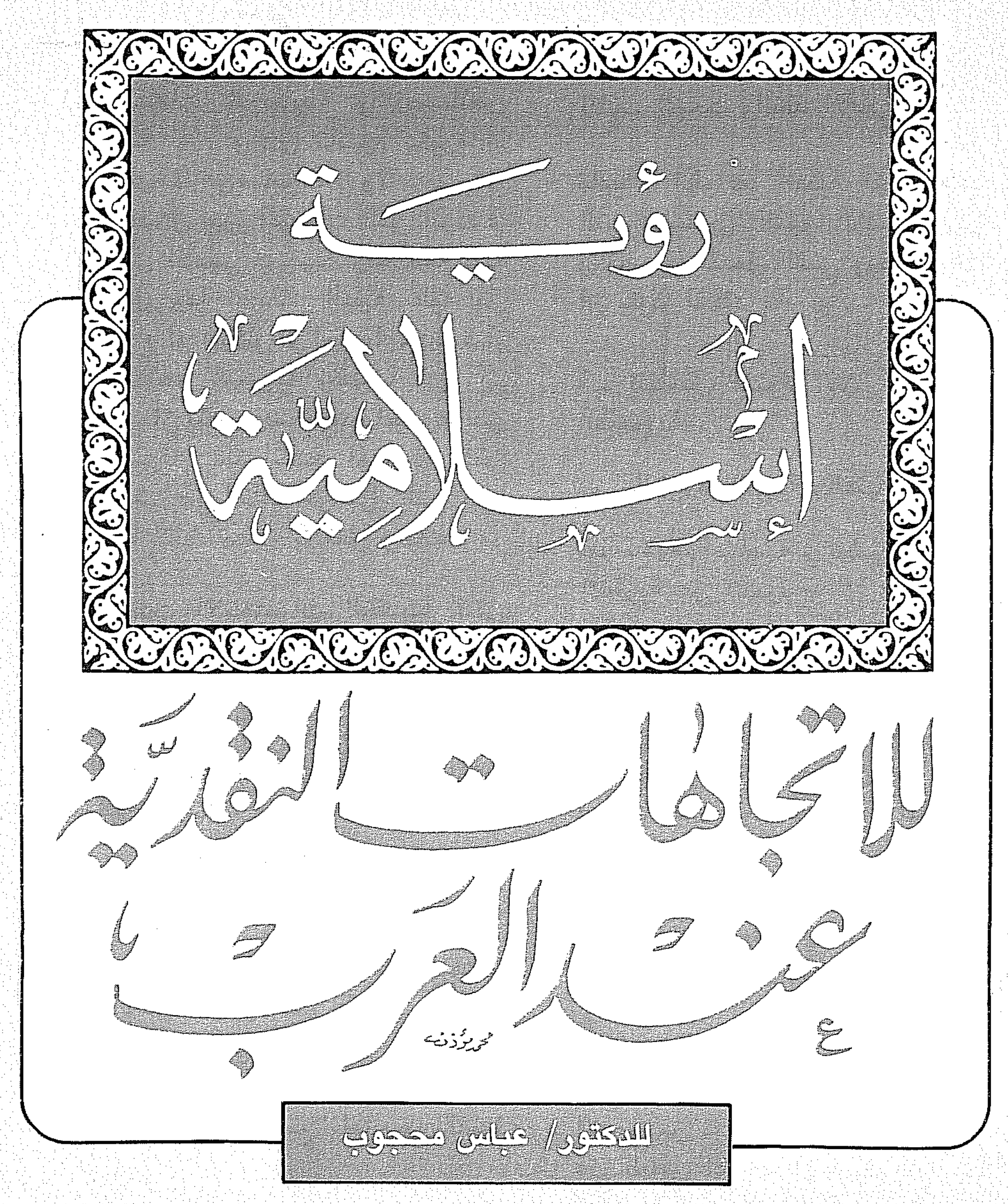
انظر كتاب النبأ العظيم الصفحات ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٩ .

هذا والسورة الكريمة آياتها ست وتسعون آية نزلت بعد سورة طه وجاء في فضلها آثار كثيرة فقد أخرج أبوعبيد في فضائله وأبو يعلى وابن مردوية والبيهقي عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا » وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس نحوه مرفوعا وأخرج ابن مردوية عن أنس عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «سورة الواقعة سورة الغنى فاقرؤوها وعلموها أولادكم » . وأخرج الديلمي مرفوعا « علموا نساءكم سورة الواقعة فإنها سورة الغنى » .

ثم إن هذه السورة الكريمة شديدة الشبه في معانيها بالسورة التي قبلها في المصحف وهي سورة الرحمن ففي كل منهما وصف القيامة والجنة والنار والعذاب للمجرمين والثواب للمؤمنين وتفضيل بعض الجنات لبعض المؤمنين على بعض آخر منهم . وفي سورة الرحمن « انشقت السماء فكانت وردة كالدهان » وفي سورة الواقعة «ورجت الأرض رجا » . وفي أول سورة الرحمن ذكر القرآن والشمس والقمر والنبات والانسان والجان ويوم القيامة ثم النار وأهلها والجنات وأهلها وسورة الواقعة في أولها ذكر القيامة ثم الجنة ثم النار ثم خلق الانسان ثم النبات ثم الماء ثم النار ثم النجوم .

وتكرير المعاني الواحدة في مواضع متعددة بأساليب مختلفة ومتنوعة يقول عنه علماء النفس إنه من أقوى وسائل الاقناع للنفس البشرية وترسيخ المعاني في أعماقها ونجد القرآن أشار بذلك قال (**الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد**) سورة الزمر آية ٢٣





■ وظيفة النقد أن يتناول الأعمال الأدبية لدراستها وتحليلها من جوانب عدة تشمل بيان القيمة الموضوعية والفنية للعمل الأدبي من خلال المكونات الشخصية للناقد من حيث ذوقه وميوله وتجاربه الشعورية والنفسية واستجاباته، وحالته النفسية والشعورية أثناء تناول العمل الأدبي، بمعنى آخر يقوِّم الناقد العمل الأدبي من خلال عملية التفاعل بين الناقد والعمل الأدبي، ويهدف هذا التقويم إلى إبراز أهمية العمل الأدبي بين الأعمال الأدبية من ناحية

الاضافات الجديدة والخصائص الفنية له ، ومدى تأثره بغيره أو تكراره لما هو سابق له ، ولا يغيب على الناقد أن يبرز المؤثرات التي أثرت في العمل الأدبي ووجّهته وبخاصة بيئة العمل وما أضفته البيئة عليه من ابداع أو ابتكار أو إضافة جديدة أو خصائص شعورية ونفسية ، إذ إن الانسان يتأثر ويستجيب لمجموعة من المؤثرات المتداخلة المعقدة التي يصعب على الناقد الوصول إليها كلها مهما كانت صلته بالعمل ومبدعه .

تعددت الاتجاهات النقدية التي تناولت الأعمال الأدبية بالتقويم والحكم ومبعث هذا التعدد راجع الى طبيعة الأعمال الأدبية والاتجاهات التي تحكمها وتوجهها وسنتناولها باختصار .

الاتجاه الفني

يقصد بهذا الاتجاه مدى توافق الأعمال الأدبية مع القواعد الفنية والأصول التي ينظر بها إلى العمل الأدبي من حيث التعبير والشعور ومدى توافقهما مع المقاييس الفنية للنقد .

وكما يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله فإن هذا الاتجاه يقوم على دعائم عدة نوجزها بتصرف فيما يلي :

أولا : التأثر الناتج من ذوق فني عال معتمد على موهبة فنية وتجارب ذاتية شعورية ، ثم على معرفة واسعة بمأثور الأدب البحث والنقد الأدبي ..

ثانيا : القواعد الفنية الموضوعية التي تتناول القيم الشعورية والتعبيرية للعمل الفني ويقتضي هذا أن يتوفر للناقد ما يلي :

أ ـ تأمل ألوان من التجارب الشعورية .

ب ـ الخبرة اللغوية والفنية .

جـ ـ موهبة خاصة في تطبيق القواعد النظرية على النموذج .

د ـ المرونة في تقبل الأنماط الجديدة التي لم تسبق بأعمال يقاس عليها ، فالجديد لا يقاس فقط بموافقته للقديم ويحكم عليه من خلاله بل من خلال معايير فنية جديدة توسع من آفاق تلك القواعد وتحقق الفسحة الفنية الشعورية .. ويعتبر هذا الاتجاه أقدم الاتجاهات الفنية التي عرفت في النقد العربي حيث مر بالمراحل التي سبق أن ذكرناها في تتبع تاريخ النقد العربي وتطوره ، وكانت بداياته الأولى معتمدة على التذوق وما يترك العمل الأدبي من تأثير يكون نتيجته الحكم على النص إعجابا أو استهجانا كما كان يفعل النابغة وغيره من الجاهليين الذين كانوا يترجمون احساسهم الفوري بالنص ، ولم تخل هذه المرحلة من التعليل للحكم أحيانا ، وتطور هذا التعليل في صدر الاسلام وجزء كبير منه كما رأينا في تفضيل سيدنا عمر لزهير على الجاهليين معللا بأنه كان لايعاظل في

الكلام وكان يتجنب الألفاظ الحوشية ويلتزم بالصدق في مدحه . فالتعليل هنا يتجاوز الألفاظ والمعاني إلى القيم الأخلاقية التي يفترض أن توجه العمل الأدبي .. وكان هذا التجاوز للمرحلة التأثيرية إلى مرحلة التعليل كما يقول سيد قطب رحمه الله هو بداية الوضع للقواعد والأصول النقدية التي حددت معالم الاتجاه الفني .. ويعتبر كتاب محمد بن سلام الجمحي « **طبقات فحول الشعراء** »

أول كتاب في الاتجاه الفني في صورته البسيطة استعرض فيه النقد الجاهلي في صورته التأثيرية التي اهتمت بالألفاظ المفردة أو الشكل البنائي العروضي ، وبعض المعاني الجزئية من خلال المفهومات والعادات العربية .. ويعتبر كتاب ابن سلام ايضا من الاتجاه التاريخي في بعض جوانبه ..

ويليه في هذا الاتجاه ابن قتيبة في كتابه « **الشعر والشعراء** » الذي حدد فيه منهجه فيما يلي :

١ ـ دراسة الشاعر والترجمة له ولعصره وبيئته وثقافته « أخبر فيه عن الشعراء وأزمانهم وأقدارهم الخ » .

٢ ـ دراسة المشهورين من الشعراء ممن يحتج بشعرهم .

٣ ـ دراسة المحدثين من الشعراء والاهتمام بهم وفق قواعد فنية لا علاقة لها بأقدمية الشاعر .

٤ ـ التمييز بين الشعراء المحترفين للشعر ، والهاوين له الذين لا يقولونه إلا في المناسبات .

وعن الأساس الفني في نقد الشاعر ودراسته يقول ابن قتيبة « ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختار له سبيل من قلد أو استحسن باستحسان غيره ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره بل نظرت بعين العدل على الفريقين وأعطيت كلا حظه ووفرت عليه حقه » .

وقد قسم ابن قتيبة الشعر في أقسام أربعة ، كما قسم الشعراء الى مطبوعين ومتكلفين محددا مفهومه عن المطبوع والمتكلف ، كما تحدث عن عاطفة الشاعر ودوافعها وتدفقها ، ولحظات الابداع وضعف العاطفة وغير ذلك من المفهومات التي أراد بها وضع قواعد فنية لدراسة الشعر والشعراء ، ويرجع الفضل لابن قتيبة في أنه ـ كما يقول سيد قطب رحمه الله ـ « حاول أن ينظر إلى القيم الشعورية والقيم التعبيرية ، وأن يجعل لها في النفس حسابا . وإن يكن بطبيعة الحال لم يخط في هذا الطريق إلا خطوة أولية نرى فيها نحن اليوم كثيرا من السذاجة وكثيرا من الخطأ » .

أما قدامة بن جعفر فقد حوَّر مسار النقد الفني إلى وجهة فلسفية منطقية إلى أن أعاد الاتجاه الفني « الآمدى » في كتابه « **الموازنة بين الطائيين أبي**

تمام والبحتري » وأبوالحسن الجرجاني في كتابه « **الوساطة بين المتنبي وخصومه** » وقد سار كلاهما على مراعاة القيم التعبيرية والقيم المعنوية في حدود نعدها اليوم ضيقة محدودة ، ولكنها كانت إذ ذاك أوسع وأشمل من سائر الحدود التي بلغ إليها النقد قبلهما . وقد شملت كل ما سبقها وزادت . تناولا الألفاظ ومحاسنها ومعايبها وتناولا المعاني وما يستجاد منها وما يستكره ، وتطرقا إلى مباحث تعد إلى حد ما داخلة في « **المنهج التاريخي** » لأنها تتعلق بالسرقات الشعرية ، والسابق في المعاني والتعبيرات واللاحق ولكنهما لم يتوسعا في التعليل عند الاستحسان أو الاستقباح ومع ذلك فإن الآمدى والجرجاني قد اعتمدا في أحكامهما على الذوق وعلى المأثور من أقوال السابقين وقواعدهم في الاستحسان والقبح ، فأحكامهما لم تكن محيطة بجوانب العمل الفني باعتبار وحدة النص في الموازنة بين الشعراء والمهم أنهما عادا بالمنهج الفني الذي حول قدامة مساره .. ثم يأتي بعدهما ناقدان هما أبوهلال العسكري « **في الصناعتين** » وعبدالقاهر الجرجاني في « **دلائل الاعجاز** » و « **أسرار البلاغة** » أما أبوهلال فيمثل اتجاه النقد إلى البلاغة في القرن الرابع الهجري بينما يمثل عبدالقاهر الجرجاني القرن الخامس الهجري وبينما لم تكن لابى هلال اضافة إلى جهود من سبقه من النقاد كان عبدالقاهر الجرجاني ذا تأثير واضح في مباحث البلاغة والنقد وقد استفاد من آراء من سبقوه وكان أثره كبيرا في الذين أتوا بعده ، فقد أخذ علماء البلاغة آراءه في الاهتمام بالمعاني دون الألفاظ ويقال إنه وضع أسس علم المعاني ، وقد أخذ العلماء كثيرا من آرائه في عصره والعصور التالية له حتى أن كتابيه كانا مقررين في الأزهر الشريف أيام الامام محمد عبده « وجاءت آراء عبدالقاهر مغايرة لنظريات البلاغة السائدة ، واختلفت معاييره مع أنماط الأدب السائدة وقتذاك وقبل ذاك والتي كان عمادها علوم البديع والاهتمام بالمحسنات اللفظية والاهتمام بالديباجة دون الاهتمام بالمعاني والفكرة ، وكان جديرا بأن يزداد الاهتمام بعبدالقاهر لما قامت الدعوة في الأدب إلى الاهتمام بالمعاني والأفكار وترك اللفظ الأجوف ، والحلى البديعية الشكلية » .

فعبد القاهر كما يقول عنه سيد قطب حاول أن يضع قواعد فنية للبلاغة والجمال الفني في « دلائل الاعجاز » بينما حاول وضع قواعد نفسية للبلاغة في « أسرار البلاغة » وهذا الكتاب ينتمي إلى الاتجاه النفسي الذي سنتحدث عنه .

أما ابن رشيق القيرواني في كتاب « **العمدة** » فقد جاء بعد عبدالقاهر ومع أنه سلك الاتجاه الفني إلا أنه لم يضف شيئا ذا قيمة في مباحث النقد والبلاغة إلا في مواضع قليلة ويرى أحمد أمين أن ابن رشيق قد نقل النقد من نقد شاعر خاص أو شعراء معينين إلى نقد الشعر عامة ، ويضيف د . محمد زغلول سلّام أنه أيضا نقل

النقد من المشرق إلى المغرب ولم يعد بعده حكرا على علماء العراق أو الشام . وإذا كان ابن رشيق أراد أن ينفرد برأي في مشكلة اللفظ والمعنى إلا أن رأي عبدالقاهر في دلائل الاعجاز أكثر منه دقة وقد استقر النقد الأدبي عند عبدالقاهر الجرجاني الذي سار على نهجه من أتى بعده ولكنهم أفقدوا البلاغة روحها وأتلفوا النقد لأنهم في أغلبهم كانوا أعاجم يجهلون الثقافة العربية وجهلوا آراء عبدالقاهر الجرجاني .

بدأت الحياة تعود إلى هذا الاتجاه في العصر الحديث نتيجة احتكاك الأدباء بالآداب الغربية وانتقال مفهوماتها في الأدب والنقد إلى الأدب العربي والنقد العربي وغلب على النقد التقليد دون الابتكار وان كان النقد قد تناول النقد بصورة شاملة وشمل اتجاهات النقد المختلفة .. وتأثر كثيرا بالنظريات الغربية ومقاييسها في النقد والأدب ، وفقد النقد الفني كثيرا من الدقة والموضوعية في نقد الأعمال الأدبية .

إن الاتجاه الفني في النقد يعمد إلى دراسة القيم الشعورية والتعبيرية في العمل الأدبي ، ويحكم على المميزات التي ينفرد بها الأديب من حيث التعبير والصياغة والمشاعر والعواطف ثم يحكم على العمل الأدبي ، وهو اتجاه يتميز بذوق الناقد وشخصيته وانطباع العمل الأدبي عليه وتجاربه النفسية والشعورية ونظرته الموضوعية إذن فالتذوق ودراسة الخصائص الفنية للأديب هو الذي يحدد ملامح هذا الاتجاه الفني في النقد .

● الاتجاه التاريخي في النقد ●

الاتجاه التاريخي اتجاه يأخذ من الاتجاه الفني ويتداخل معه من حيث دراسته لشكل العمل الأدبي ، والإطار الذي وضع فيه وهو في هذا الجانب أكثر شمولا من الاتجاه الفني .

● مجال الاتجاه التاريخي ●

مجال هذا الاتجاه يشمل وسط الأديب وانعكاسه على العمل الأدبي ، ومؤثراته في الأديب ، والمراحل التي مر بها العمل الأدبي ، والآراء التي قيلت فيه وفي صاحبه وموازنة تلك الآراء ودراستها للوصول إلى خصائص أُمّةٍ ما في الأدب وأنماط تفكيرها في عصرها ، والظروف التي أحاطت بها ، كما أن مجاله تحقيق النصوص ومدى صحة نسبها لقائلها . وإذا كنا بصدد دراسة التطور التاريخي لفن من فنون الأدب تتبعناه منذ نشأته والأطوار التي مرت به ، والملابسات المتعلقة به والآراء المختلفة والأحكام التي صدرت فيه ، هذا كله هو مجال الاتجاه التاريخي في النقد .

ويعتمد الاتجاه التاريخي في دراسة الظواهر الأدبية أو فن من الفنون أو مجموعة من النصوص على

عدة دعائم هي :

(١) التتبع التاريخي للنشأة والتطور وملابساتهما .

(٢) جمع النصوص من مصادرها وتحقيقها والتأكد من نسبتها إلى قائليها .
(٣) عرض الآراء التي قيلت في تلك النصوص أو الظواهر الأدبية .
(٤) تذوق هذه النصوص ومعايشتها للوصول إلى خصائصها المميزة .
(٥) نظرتنا الخاصة لتلك النصوص والمؤثرات التي صاحبتها ووجهتها .

وهنا نلحظ التداخل الشديد بين الاتجاه الفني والتاريخي حيث تتداخل الأمور بينهما مما يؤكد اعتماد الاتجاه التاريخي دائما على الاتجاه الفني .

● عيوب هذا الاتجاه ●

يحدد الأستاذ سيد قطب رحمه الله عيوب هذا الاتجاه في **اربعة عيوب هي** :

(١) الاستقراء الناقص كالاعتماد على الحوادث البارزة والظواهر النادرة في الحياة ، وكلها لا تمثل الحياة في مسيرتها الطبيعية ، والأسلم هنا جمع الظواهر المختلفة من الأحداث والنصوص والمستندات لإصدار حكم موضوعي صحيح . ومن أمثلة هذا الاستقراء الناقص دراسة « طه حسين » للمجون في العصر العباسي والذي حكم به على العصر كله حيث لم يكن استقراؤه شاملا للفنون الأخرى ومظاهر الحياة المختلفة والملابسات التاريخية وأنماط التفكير السائدة ولغياب هذا كله كان حكمه بعيدا عن الموضوعية ، وقد تبعه عدد من الكتاب أمثال شوقي ضيف وغيره .

كما أن العقاد بنى **عبقرياته** على حوادث بارزة في حياة بعض الشخصيات ليست كلها صحيحة وهذا لا يعطي حكما جازما على تلك الشخصيات إلا إذا تتبّعنا كل حدث في حياتهم . وسيد قطب يعترف على نفسه بقابلية بعض أحكامه في كتابه « كتب وشخصيات » للتخطئة لأنه اعتمد على المشهور من الشعر العربي في المنهج الفني ولو شمل غير المشهور لم يكن استقراؤه ناقصا .

(٢) الأحكام الجازمة وكتب الأدب والنقد مليئة بمثل هذه الأحكام مع أن المسائل التاريخية مهما كانت المستندات المجموعة لها فهي ليست كلها ، ولو كانت الأحكام ترجيحية أو ظنية لكان أسلم من الجزم ومن أمثلة ذلك : أن العزلة السياسية دفعت حجازيين الى الغناء والغزل كما أنّ الزهد كان نتاج الترجمة من الهندية وغير ذلك مما نجد عند طه حسين وشوقي ضيف وتلاميذهم . وكل هذه الأحكام لا تستند على دراسة للظروف المختلفة للظواهر التي حكم عليها . سواء أكانت شخصية أم سياسية أم اجتماعية أم غيرها .

(٣) التعميم العلمي وكان ذلك نتيجة انتصار بعض المذاهب العلمية في كشف الحقائق الطبيعية واستخدام نظريات « دارون » في البحوث الأدبية مع أن الأدب بطبيعته مختلف عن العلم إذ إن مجاله العواطف والمشاعر والأحاسيس مما يجعل إصدار أحكام علمية عليه خطرا كبيرا .

(٤) إلغاء قيمة الخصائص والبواعث الشخصية إذ إن الاهتمام بالملابسات

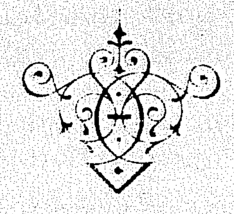
التاريخية والاجتماعية والطبيعية جعل أصحاب هذا الاتجاه يغفلون دور النبوغ والعبقرية . ومع أن دراسة الوسط والبيئة مهمة إلا أن العنصر الشخصي والتميز الفردي أكثر فائدة في الحكم على العمل الأدبي من المؤثرات الوسطية والبيئية التي لا يغفل أهميتها ولكن بقيمتها وحجمها .

● تاريخ الاتجاه التاريخي في النقد ●

ظهر هذا الاتجاه مقترنا بالاتجاه الفني في العصر الجاهلي والاسلامي حيث كانت مرحلة التذوق وتصنيف الشعراء في طبقات وفي هذه المرحلة امتزج النقد التاريخي بالنقد الفني ، وانعكس هذا الامتزاج في عدد من المؤلفات التي مزجت بينهما كما في كتاب « طبقات فحول الشعراء » لابن سلام وكتب ابن قتيبة ، والآمدي وابي الحسن الجرجاني وأبي هلال العسكري وابن رشيق فقد كانوا يثبتون النصوص تاريخيا ثم يتحدثون عن السرقات والمؤثرات وكلها فنية . وكتاب الجاحظ «البيان والتبيين» نموذج لامتزاج الاتجاهين . اما المؤلفون الذين غلب عليهم الاتجاه التاريخي على الاتجاه الفني فهم المبرد في « **الكامل** » وابن قتيبة في « **عيون الأخبار** » والحصري في « **زهر الآداب** » وكلهم تأثروا في تأليفهم بالجاحظ .

وفي العصر الحديث ظهر الاتجاه التاريخي في كتابات جورجي زيدان ، وأحمد السكندري اللذين اهتما بالجوانب التاريخية في دراسة عصور الأدب والظروف المحيطة بكل عصر .

أما أول مؤلف طبق هذا الاتجاه فهو كما يقول سيد قطب رحمه الله ، طه حسين مع « ذكرى ابي العلاء » وأحمد أمين في « فجر الاسلام » و« ضحى الاسلام » و « ظهر الاسلام » وقد سلك هذا الطريق أغلب الذين كتبوا في تاريخ النقد والأدب والنثر الفني وعن هذا الاتجاه في العصر الحديث يقول المؤلف إنه « نما نموا محسوسا عما خلفناه في القرن الرابع ولكنه مايزال إلى اليوم في دور النشوء ، فخطواته التمهيدية الأولى من جمع النصوص وتحريرها ، وجمع الوثائق التاريخية وتبويبها والبحوث اللغوية والأدبية والاجتماعية الكاملة عن الفترات والشخصيات التي ندرسها .. كل أولئك يتعب فيه كل مؤلف على حدة ولا يتخصص له من يجيدونه ليوفروا على النقاد جهودهم ، بتوفير الخامات الأولى للبحث » وأهمية هذا الاتجاه في النقد كما يقول الدكتور/ محمد مندور انه هو المنهج الذي استقر الباحثون على جدواه منذ أوائل القرن التاسع عشر الى اليوم ، وبفضله جدّدت الانسانية من معرفتها بتراثنا الروحي وزادته خصبا » .





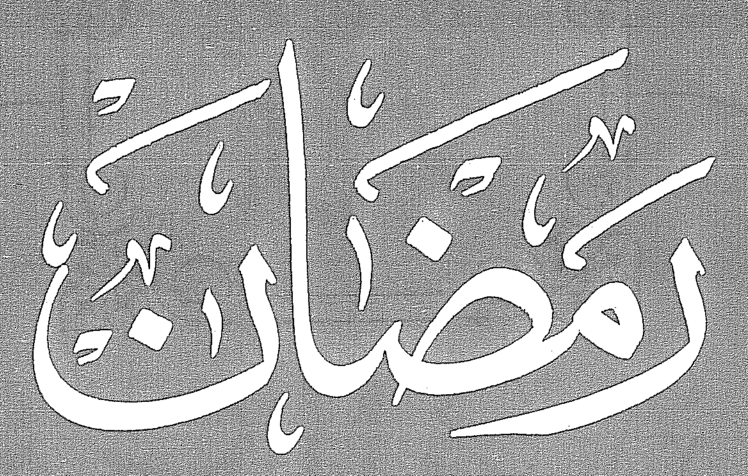
رمضان ، انت من الأهلة مُفرد ... وعطاء جودك للورى يتجدد
تبدو وثغرك للأحبة باسم ... كالروض يزكو في الربيع ويُسعِد
وخطاك تسرع نحو عالمنا الذي ... حار الضعيف به ، وجار الملحد
والمسلمون عيونهم ظمأى إلى ... شلال ضوء في السماء يزغرد
يتطلعون بلهفة بين الفضا ... فيرون ضيفا جاءهم يتودد
يدعو عباد الله ، هيا استبشروا ... فالسعد لاح وفجرهُ المتورد

* * *

يا للحبيب يعود بعد غيابه ... كالغيث فاض ، وخيرُه لا ينفَد
شاب الزمان ولا تزال مهللا ... ملء الدنا : جل الإله الواحد
فترى المآذن أرهفتْ آذانها ... وعلا بها الأذان وهو مجوَّد
وهنا المساجد أهلها قد ودعوا ... متع الحياة ، وللنعيم تزودوا
والقانتون ، الصابرون ، الصادقون ، الصائمون ، الذاكرون تهجدوا
واستقبلوا عصر النبي ونهجه ... فكأنهم في عصرهم لم يولدوا
ولكم تفانوا في العبادة والتقى ... شوقا لروضات الجنان وكابدُوا

* * *

رمضان يا شهر الصيام تحية ... من مهجة ظلت لخيرك تحفد



للاستاذ / عبدالرحمن البجاوي

الطهر انت وفيك كوثر فيضه ... للناهلين وأنت نعم المورد
آيات ربي فيك رتل قدسها ... (جبريل) بالبشرى ، فلبى (أحمد)
وتنزل الفرقان نورا مشرقا ... فمحا الظلام ، وحار فيه الأرمد
والعاكفون على الهوان تمردوا ... وجباههم لله خرت تسجد
وخيولهم طارت (ببدر) تشتري ... عرض الجنان ، وسارعتْ تتوقد
فتحقق (الفتح المبين) وغردت ... بطحاء (مكة) حين لاح (محمد)

* * *

رمضان يا شهر الجهاد دعوتنا ... لجهاد نفس شرها لا يخمد
علمتنا أن الخلود ثمارهُ ... لمن افتدى ولربه يستشهد
لكنما دب الشقاق بجمعنا ... وعدا علينا غادر يتصيد
والشرق ما للشرق ذابت ريحه ... بين العباب ؛ فهل سفين أويد ؟
والسيف - واأسفاه - يحصد أمنا ... وبنحرها أمسى الرصاص يسدد !!
كالهرة استشرت تغول وليدها ... وهنالك الجرذان ظلت تسعد !!

* * *

أدعوك رباه بقلب ضارع ... أن تردع الطاغين مهما جنَّدوا
وتشد أزر المسلمين فينهضوا ... وعلى الشريعة خطوهم يتوحد
وتعيد أمجاد الألى قد جاهدوا ... ليضيء في الآفاق هذا الفرقد



لما يئس الشقيقان من العثور على أخيهما المفقود ، أخذا يرنوان إلى أشعة الأصيل الشاحبة وأحسا بأن كربهما سيتضاعف .. فلم يعد الأمر مقتصرا على أخ واحد فُقِدَ ، ولم يعد ثمة أمل في العثور عليه . بل إن أخاً ثانيا قد سُحر أو جُن .. قال أحدهما للآخر وهو يعتصر جبينه المقطب بيده الغليظة ..

- **إنها تلك الجارية** السوداء قد أصابت عقله بمس .. خرجنا ثلاثة نقطع الصحاري ، نجوب التلال والهضاب ، تلفحنا أشعة الشمس المحرقة وتكوينا الرمضاء .. نتساقط فوق الرمال والصخور ظامئين ، جائعين ، منهكين .. على أمل أن نعود أربعة رجال .. أبعد كل هذا نعود اثنين ؟ .. تركنا أبا ملتاعا لفقد ولد واحد وأما هدَّها كرب واحد كاد أن يقضي عليها لولا أمل في العثور عليه .. أنعود إليهما بكرب جديد ولوعة أخرى .؟! أيتحمل المسكينان فقد ابن آخر ؟ وهل يصدقان أنه لم يقتل في الطريق أو يخطف أو يفترسه وحش ؟ هل سيصدقان أنه آثر ترك عشيرته في (تهامة) ليعيش في هذه الأرض

الغريبة من أجل ساحرته السوداء ..
قال الآخر محنقا ملتهب النظرات ..
- عهدي به أنه غريب الأطوار حتى إنني أخال أنه لم يأت معنا ليبحث عن أخينا الذي فقد .
رمقه الآخر متسائلا . فاستطرد وعيناه ساهمتان
- ما كانت الحياة تطيب له في « تهامة » رغم الأمن والعشيرة ويسر العيش . كان يبدو حائرا كباحث دؤوب عن غاية لا يجدها .
ثم التفت بنظرات خبيثة وقد بدت ومضة واهنة على جبينه هامسا لأخيه رغم انفرادهما ..
- إذا كان الأمر هو تلك الجارية فلنمكر ونخطفها .
بدا أخوه كما لو كان مقتنعا ثم أطرق واجما وكأنه يُحدث نفسه .
- نخطفها .. هل هذا يسير؟ . ما الذى أغراه بها ؟ . لا عجب . إنه السحر .. . عندئذ أقبل ياسر وأدرك ما بأخويه من كدر .. انتحيا به وأعادا عليه ما سبق أن ذكراه له .. « أيهون عليك أن تترك والديك يا ياسر؟ ألا تدري ما سيحدث لهما من جراء عِنادك ومكوثك بهذه الأرض ؟
ألم يكف الأخ الذي فُقد ؟ اتعتقد أنهما سيصدقان أنك لم تمت أو تخطف أو تضع في البرية ..
وياسر ثابت الجنان ينظر إليهما وعيناه تبدوان كما لو كانتا عائدتين من رحلة سنوات ومواقف ماضية . ولسانه لا ينطق بغير هذه العبارة ..
- إنى لن أغادر هذه البلدة ولكما أن تفعلا ما شئتما ..
يضطرم غيظهما فيصرخان :

- أمن أجل أَلأَمَةِ السوداء . تدع والديك وعشيرتك . تدع الأمن والدعة والعزة إلى الجوع والذل والغربة والخسف .. تبا لك لن تجد الأمن والنصير وأنت بعيد عن آلك وعشيرتك .. ستعامل معاملة الرقيق .. صه ولا تكابر .. إن كنت قد جننت بها إلى هذا الحد نستطيع أن نخطفها ونعود بها إلى تهامة . تلك التى تفوقها أقبح قبيحات تهامة جمالا وفتنة ..
نظر إليهما منكرا غاضبا وهمس بنبرات ملؤها التأنيب والأسى
- أهذا جزاء من آوانا وأكرمنا ؟ أنقابل معروف « أبي حذيفة » بالنكران والخسة . قلت إني لن أغادر هذه البلدة ولكما أن تفعلا ما شئتما ..
زفر كبيرهم زفرة محرقة وضرب كفا بكف وهو يصيح ..
- لا فائدة .. ذهب عقله وارتضى الذل والخسف .

○ ○ ○

تضاربت المشاعر في صدر ياسر بعد أن ودع أخويه .. كانت أشعة الشمس قد انتشرت رويدا رويدا على جبال مكة وهضابها حينما عاد إلى دار أبي حذيفة .. اختلى بنفسه فور عودته وثمة شعور بلوعة الفراق بدأ يعتريه وبدأ يفكر فيما سيفعله النبأ بوالديه .. لكن ثمة قوة كامنة في أعماقه تغالب هذه المشاعر وتؤكد إصراره على البقاء بتلك البلدة الآمنة .أخذ يسترجع حوار أخويه « أحقا أن سمية سر بقائه في هذه

البلدة ؟ .. فعلا هو يشعر بميل نحوها . منذ أكرمهم أبو حذيفة وآواهم بداره وكلفها بخدمته وأخويه . راقه فيها حنانها ونشاطها وخفة روحها وتلك السمرة العذبة والقسمات الطيبة . وتعاطف معها لأنها غريبة مثله . لكن هل هو الذى حال بينه وبين العودة مع أخويه ؟ إن ثمةأشياء بداخله تدفعه وتحركه يحسًّها ولكنه لا يدرك كنهها تماما » .

خطوات أبي حذيفة قطعت عليه استرساله في التفكير . فنهض مبتسما ليواجه أبا حذيفة بابتسامة شكر وعرفان . ربَّت الرجل على كتفه وظل صامتا رغم الأسئلة التى تومض بها عيناه .. يدرك ياسر أن الرجل يتساءل : كيف يفضل هذا الفتى الغربة على الأمن والدعة بين عشيرته ويريد أن يقف على سر هذا الاختيار لكنه يبدو متردداخشية أن يسىء ياسر فهم مقصده .. لذا بادره ياسر بالاجابة على ما لم يبح به . فقال : إنه آثر جوار البيت العتيق على ما في اليمن من ضلال وجهل . وأحسّ في الحرم أمنا كان يفتقده وهو بين آله وعشيرته .. فومض وجه أبي حذيفة ببريق الغبطة والزهو . زهو المكي حين يسمع من الغرباء توقيرا للبيت العتيق . لكنه رغم ذلك كان يحس أن اقتناعه بما يقوله ياسر ليس كاملا ، شعر بأن هناك سرا تنطوي عليه نفس هذا الفتى الوديع الغريب الذى تومض عيناه ذكاء وفطنة .

ـ وكيف تتصور حياتك بمكة يا ياسر ؟

ـ كل خير أيها السيد الكريم سأسعى للرزق كما يسعى إليه كل مجتهد نشيط . ـ إنك ذكي يا ياسر وإني قد أحببتك .. رزقك ميسور ما بقيت جارا لي .

○ ○ ○

شهدت أندية قريش أن أبا حذيفة بن المغيرة قد حالف ياسر بن عامر ذلك الفتى التهامي الذى استقر بمكة وفضلها على غيرها من البلاد .. ولما هم أبو حذيفة ليصطحب ياسرا إلى الكعبة ليشهد الآلهة على هذا الحلف الذى باركته قريش . تردد ياسر متسائلا

ـ وما جدوى الذهاب الى الآلهة وقد شهدت قريش ؟

فتعجب الرجل متفحصا وجه ياسر .

ـ لابد أن تشهد الآلهة ليكتسب هذا الحلف تقديسا وبركة .

قال ياسر وعلى شفتيه ابتسامة منكرة .

ـ أظننت أيها السيد الكريم أن الآلهة لم تسمعك وأنت تشهد الناس . أم أنها لا تسمع إلا إذا اقتربت منها ؟ ينبغى أن تسمع الآلهة البعيد القصى مثلما تسمع القريب الداني بل إنها تعلم بما يدور في خلجات النفوس . وإلا فكيف تكون آلهة ؟

هنا أطرق أبو حذيفة متفحصا وجه ياسر وشفتيه المبتسمتين وتمعن في قوله ثم قال :

ـ غريب أمرك أيها التهامي المجادل .. لكنك تبدو شديد الذكاء واضح الحكمة . قولك جديد . لكنه

يتسلل إلى العقل فيقنعه . ولكن يجب أن نطوف حول الكعبة على الأقل حتى يصبح هذا الحلف مقدسا .

○ ○ ○

طابت لياسر الحياة في مكة واجتهد في سبيل العيش وتيسرت له سبل الرزق وعرف بين الناس بذكائه وخفة روحه وخلقه الحسن فأصبح محبوبا من القرشيين وأعرب لأبي حذيفة عن أمر كان مترددا في الإفصاح عنه فنال قبول أبي حذيفة ورضاه وأصبح ياسر زوجا لسمية وضاعف من سرور ياسر أن قال له السيد القرشي : إن أولادك منها أحرار .. وعاش الحبيبان في دار جديدة ينهلان من الحب والألفة والحنان ما يبدد عنهما أي شعور بالغربة والوحشة .. تشعر سمية أن زوجها قد عوضها عن أهلها الذين فقدتهم وحرمها الرق إياهم .. ويشعر ياسر . أن أملا غامضا يراوده منذ كان صبيا مميزا يختلف عقله عن عقول أقرانه في تهامة ـ بدا الآن وشيكا . قريبا من روحه .. كان برغم تفكهه ونشاطه ومرحه وإقباله على الحياة يحس بأنه محاط بإطار مظلم كثيف الظلمة يصحبه أينما ذهب يريد أن يحطمه أو يفلت منه ولا قدرة له على ذلك . ومنذ حل بأرض مكة مع أخويه شعر بأن الكون هنا يتمخض عن أشعة تتسلل نحو كيانه المكدود واهنة واهنة لكنهالم تبدد بعد الظلمة التي تحيط به .. ورغم ذلك فقد دفعت إلى نفسه شيئا من الأمن والبشر والسكينة .. وتطيب نفسه لما يدرك أن سمية لاتبادله حبه فحسب بل تشاركه ما يدور بذهنه من فكر وما يملأ قلبه من شعور وإحساس . بل ربما تشعر هي الأخرى بذلك الإطار المظلم وتشاركه الرغبة في الخلاص منه . كان يسعد حين يراها معه بفكرها وحواسها وقلبها حينما كان يخلو إليها ويقول « يقول بعض القرشيين إنني لا أذهب الى آلهتهم ولا أجلها . إنى أتعجب من هؤلاء الذين يصنعون الأشياء ثم يعبدونها . لو أنى كنت متخذا لي إلها لعبدت الشمس التي تضيء لي نهاري أو النجوم التي تهديني أثناء الليل لكنني لم أجد في هذه الأشياء ما يدفعني للطاعة والعبادة » كانت سمية تسمعه وتومىء له وكل خلجاتها تردد ما يقول وتسلم به وكان يدرك ذلك فيشعر بأنه ليس غريبا منفردا وأنه وإن كان ضائعا حائرا فهو أفضل من هؤلاء المعتوهين الضالين الذين يعبدون تلك الأحجار الصماء التى يصنعونها . او تلك التماثيل التى يصنعونها من التمر والحلوى ويأكلونها إذا جاعوا . يالسخف عقولهم . » ..

وحين مرت الأيام على الزوجين المتحابين وازدادت الأسرة الصغيرة فردا . شعر ياسر بأن ثمة جلاء وشيكا لتلك الحيرة التى لازمته منذ صباه .. شعور غريب بالسعادة واللهفة والغبطة قد اعتراه . لكنه امتزج أيضا بحرقة المتسرع وكلل الباحث الذى طال بحثه .. لم تقتنع نفسه وهو يرى ابنه « عمارا » وقد أصبح صبيا يانعا نشيطا مطيعا شديد الذكاء . لم تقتنع نفسه بأن غايته قد تحققت .. لكنه

كان يحس أن ثمة صلة بين عمار وبين هذه الغاية المأمولة .. فمنذ ولد عمار وهو يشعر بذلك الشعور . وهاهي الدنيا تتغير حوله . يموت أبو حذيفة الطيب الكريم . وتسري في مكة روح جديدة وأحداث لم تكن مألـوفة . فيتغير وجه الحديث الذي كان يدار في الأندية والطرقات . استبشرت نفوس وأشرقت وجوه بينما اربدت وجوه أخرى وملأ الغيظ والحقـد قلوبـا أخرى .

تفرقت بعض الأسر وثار بعض العبيد على أسيادهم .. ويدور بين يـاسر وسمية حديث عن رؤيا رآها فتومىء إليه امرأته راضية مستبشرة وتشير إليه بأن يذهب إلى شيخ قريش علّه يسمع عن رؤيته خيرا .. عاد ياسر إلى داره حانقا مكدود الفكر .

فقد ذهب إلى نادي بني مخزوم كي يقص رؤياه . فقابله الجمع بفتور ثم ما لبث أن أدرك سر هذا الفتور حين هاجمه عمرو بن هشام ذاكرا أنه لم يشاهده قط يتقرب إلى آلهتهم ولم يسمعه قط يذكرها بخير ثم أنبأه النبأ الذى هزّه هزّا عنيفا وجعل العرق الغزير يتصبب من جبينه مبديا أن عمارا قد صبأ وأصبح من أتباع محمد وأنه شوهد يدخل دار الأرقم بن أبي الأرقم التى يجتمع فيها محمد بأصحابه .. وما أن ولج ياسر باب بيته ثقيلا بالتأنيب والتهديد الذى صبه على رأسه عمرو بن هشام والمحيطون به .. حتى أقبلت عليه زوجته ينطلق السرور من عينيها صائحة بأسارير منبسطة كطفلة بريئة سعيدة بهدية جديدة .

ـ أبشر يا أبا عمار فقد جاءنا ولدنا بخير كبير . حدّثني عنه منذ قليل .. أبعـدها عن طـريقه بعنف وجلس متهالكا ..

تعجبت مما فعل .. نهضت وعادت إليه ثانية بحذر وقلق . قالت بصوت حان .

ـ ماذا بك يا ياسر .. قلت لك أبشر واسمع ما جاء به عمار . إني أحس .. إني أحسُّ .. ثم توقفت وابتسم كل وجهها بالنور والإشراق ..

تقدم عمار إلى والده الذى كان ينظر مكدودا مشدوها ..

ـ إنها بشرى يا أبي وخير ما بعده خير .

رمقه ياسر بحدة وقال بنبرة محتدة

ـ أهو ما اخبرني به عمرو بن هشام من أنك اتبعت محمدا وأصحابه .. ؟

بادره عمار متهللا :

ـ أجل يا أبي اتبعت محمدا صلى الله عليه وسلم . الرسول الأمين . وآمنت بالله الـواحد الأحـد . الذى خلق السمـوات والأرض وخلق الشمس والقمر والنجوم . الذى خلقنا وبعث محمـدا رسولا هـاديا . ومبشـرا ونذيرا . ليخرجنا من ظلمات الشرك والغي والجهـل إلى نـور الايمـان والرشد ...

○ ○ ○

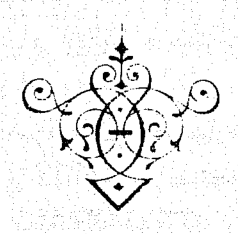
قال أبو جهل موجها حديثه للوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة وأبي سفيان وعيناه تقدحان شررا ..

ـ الم أقل : إني ما عهدته إلا مسفها لآلهتنا مجتنبها ، قد صبأ هو وزوجته

وابنه ولاشك أنه صبأ من قبلهما ثم تبعاه .. الآن عرفنا من معنا ومن علينا واللات والعزى لأذيقن هذا التهامي الخائن وأمة أبي حذيفة وولدهما من العذاب ما لا يحتمله بشر .. حتى يرجعوا وليكونوا عبرة لغيرهم . وعليكم أنتم أن تفعلوا بالصابئين من عبيدكم وغيرهم مثل ما أفعل ..

وشُغل القوم في مكة كل يوم بنبأ جديد عمن أسلم وآمن بالله الواحد الأحد وبمحمد رسوله وأحرق الحقد قلوبا وعمر الايمان قلوبا .. وأعدت آلات التعذيب وتنوعت وسائله وأسرع أبو جهل مع بعض فتيانه ورقيقه وأتباعه يخرجون ياسرا وأسرته من محبسهم في داره ليذيقوهم ألوان العذاب . ثم يعيدهم أبو جهل الى محبسهم . وايمانهم لا يهتز . فيستشيط غضبا . يعود ليطرحهم على الرمضاء . ويضع الصخور على صدورهم .

عسى أن يهتز إيمانهم أو يذكروا محمدا بسوء لكنهم أبدا لا يخمدون نار الحقد التي تتأجج في صدر أبي جهل وأتباعه . يلهبهم بالسياط ، يحرقهم بالنار ، يدميهم بالرماح .. وهم صابرون صامدون ، مؤمنون ، ثابتون ، وكأنهم أجمعوا على ألاّ يرتفع لهم صوت بآهة . ويتعب أبو جهل وأتباعه من فرط ما عاثوا بأجسادهم تعذيبا وتنكيلا ووحشية .. ويمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرى الدماء الطاهرة تغمرهم والنار تحرق أجسادهم فيقول صلى الله عليه وسلم وكلماته عليهم تنزل بلسما وبردا وسلاما « صبرا آل ياسر . فإن موعدكم الجنة » وينظرون إلى الهادي الأمين . وقلوبهم تتلاق مع نظراتهم متعلقة به مستهينين بشتي ضروب التعذيب .. يدرك ياسر رغم العذاب أن حلمه قد تحقق .. عقله يؤوب وهو بين الأصفاد وتحت الصخور ومكاوي النار الى حيث أيام الحيرة في تهامة والأخ المفقود والجوار مع أبي حذيفة والى الإطار المظلم الثقيل الذي ظل يحيط به ولا وجود له الآن .. فتتفتح أمامه كل الرؤى ويطيب نفسا ويدرك أنه ما غادر تهامة إلا لموعد . إلا لكي يدرك النور ويهتدي به .. وكيف له أن يتألم بعد ذلك بطعْنَة رمح أو ضربة صخرة .. تتوالي ضروب التعذيب بلا نتيجة تشفي غليل المشركين .. يجنُّ أبو جهل ، يتعالى صراخه الهستيري يمسك برمح ويضرب .. يضرب ويطعن بجنون فتشهق سميةومن بعدها ياسر .. وتلتقي روحه بروحها في طريقهما الى الجنة ... ،



وقفة تأمل

إنهم يغتالون رمضان

● رمضان شهر عبادة وطاعة ... شهر صوم ونقاء وصفاء ..

● شهر فيه ليلة هي خير من ألف شهر ... نزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ..

● كان رسول الله يتدارس فيه القرآن مع جبريل الأمين . وكان يحيى ليله بالصلاة .. فيشد مئزره ويوقظ أهله ..للعبادة ويصوم نهاره . وكان عليه أفضل الصلاة والسلام فيه أجود بالخير من الريح المرسلة .

● وسار الصحابة والتابعون وتابعو التابعين لهم بإحسان على نهج رسولهم الكريم .

● وحتى زمن ليس بالبعيد كان المسلمون يشمرون عن ساعد الجد في رمضان ، يتلافون التقصير الذي وقع منهم في غيره من الشهور ، فيكثرون من العبادة ، ويبذلون بسخاء ، ويطعمون الطعام للسائل وغير السائل ، ويعقدون مجالس العلم ، وتكتظ بهم المساجد فهم بين مصل ، وتال لكتاب الله ، ومفسر له ، ودارس في كتب الحديث ، وباحث عن حكم في كتب الفقه .

● كانت تلك هي حال المسلمين في رمضان حتى عهد قريب ، وحتى نكون منصفين نقول : وما زالت هناك بقية من هؤلاء الصالحين .

● ولكن هناك مؤامرة تتصاعد عاما بعد عام للنيل من رمضان ، ليس بالفطر فيه جهارا ، أو عدم الالتزام بآدابه ، أو اعتباره سببا لسوء الخلق ، كما يحلو للبعض أن يقول : اعذره في فحشه لأنه صائم ، وكل ذلك موجود ، بل إن المؤامرة التي نعنيها هي تلك التي تنفذها أجهزة الاعلام ممثلة في التلفاز والاذاعة والصحافة اليومية .

في التلفاز : مع الإفطار تطالعك فوازير رمضان التي تشد الصغير

والكبير ، وتظهر على الشاشة المتواجدة في كل بيت صورة امرأة تتفنن في الحركة المثيرة ، والسريعة ، ويعمل الاخراج عمله في الاضاءة ، والتقاط الصور ، وترتدي صاحبة الفوازير من الثياب ما يأخذ بلباب النساء ، وتدور الفوازير حول شخصية فنان ؛ أو راقص ، أو ماجن ، أو ما شابه ذلك .

وتحاول انت - صاحب البيت - أن تحث أولادك على القيام لصلاة المغرب فلا يستجيبون لك ، وإذا قاموا قاموا كارهين ، وإذا كان في البيت فيديو فلابد من تسجيلها ، لعرضها مرات ومرات .. وتضيع آثار رمضان ، وفي الليل يحلو السهر لمشاهدة التمثيليات والافلام ، أما العبادة ومدارسة القرآن فلا وقت لها .

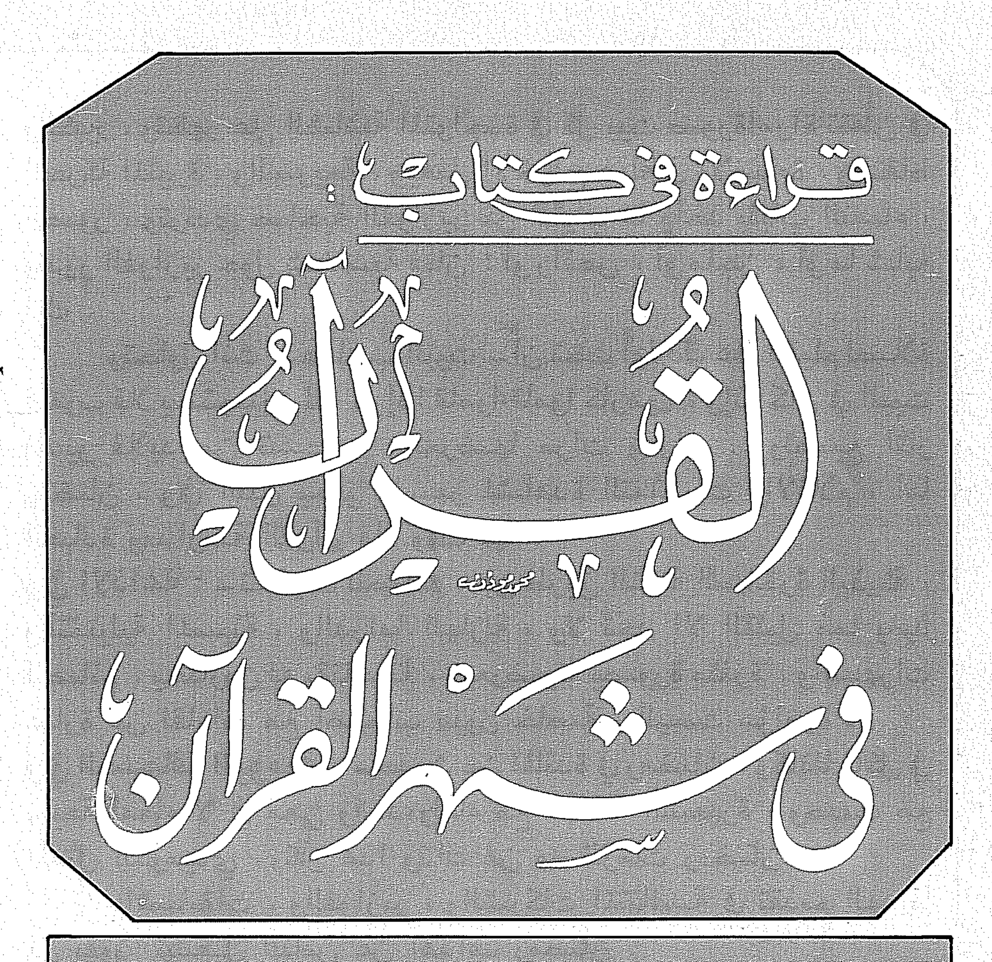
وفي الاذاعة : - تسليات للصائم ، عن طريق النكتة الساخرة البذيئة ، والتمثيلية المسيئة ، والدراما الهازلة ، ولا تجد الا القليل مما يفيد الصائم ، يختارون له وقتا ميتا ، ويعرضونه بصورة منفرة ، والسهرات عبارة عن لقاءات مع أصحاب ميول خاصة ، أليست مؤامرة ؟

وفي الصحافة اليومية : - حديث عن المائدة في رمضان ، وكأننا نأكل في سبعة أمعاء لا في معىً واحد، ولقاء مع الفنانة الشهيرة ، وحديث مع الممثل الكوميدي ، وكأن هذا وذاك من مستلزمات رمضان .

والمسابقات ، والفوازير ، والشركات المتنافسة في تقديم الهدايا لمن يفوز تشغل الناس عن اهداف رمضان .

ألم نقل إنهم يغتالون رمضان . فهل من خطة يضعها المسئولون في الدول الاسلامية عن أجهزة الاعلام والصحافة من أجل العمل في تيار يخدم الصائم في رمضان ، ويقدم له زادا من المعرفة يعود عليه بالنفع في حياته العملية ، وساعتها يكون رمضان مدرسة يتخرج فيها الصائمون بأخلاق إسلامية تحكمهم طيلة العام ، فيمتد الأثر الطيب إلى ما بعد رمضان ولا يكون الحال مجرد حديث للشيخ يزول أثره مع آخر كلمة ينطق بها شيخنا ، بسبب ما يعقب الحديث من برامج هادمة لكل ما قال ، نريد خطة ذات هدف واضح تنسجم مع رمضان ومع ديننا الحنيف .. هذا ما نأمل . وبالله التوفيق .

فهمي الامـام



للدكتور/ عبد الحليم محمود

عرض الاستاذ/ محمد الحسيني عبدالكريم

شهر رمضان هو الشهر الذي أنزل فيه القرآن :

(**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان**) البقرة/ ١٨٥ .

والقرآن كتاب الله أنزل رسالة دائمة باقية يجب تدبرها ، وينبغي العمل على أساسها والتذكر عن طريقها (**كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب**) ص/ ٢٩ .

وعلى ذلك ينبغي لنا أن نتدارس القرآن وأن نجدد العهد به ومعه فقد كان جبريل يأتي الرسول صلى الله عليه وسلم كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن .

وهذا الكتاب الذي كتبه الدكتور عبدالحليم محمود ـ يقع في مائة واثنتين وسبعين صفحة من القطع المتوسط ـ رسم منهجا للتدبر في القرآن وإحياء شهر رمضان ، وقد عرض الدكتور عبدالحليم محمود لمنهج القراءة وأنها ينبغي أن تكون باسم الله ، وذكر منهج الذكر والدعاء ملتزما في كل ذلك بالروح الاسلامية الخالصة التي نأمل أن تكون للمسلمين أساس السلوك ومنهج الحياة .

وفي مقدمة الكتاب يقول الدكتور عبدالحليم محمود :

حينما طلب إلي أن أؤلف كتابا لينشر في شهر رمضان المبارك اتجه فكري مباشرة إلى القرآن ، ولكن المشكلة بدأت ايضا مباشرة في صورة سؤال هو : عن أي زاوية من زوايا القرآن أتحدث ؟

وبمجرد أن بدأت التفكير في الموضوع بدت أمامي الآية القرآنية الكريمة : (**اقرأ باسم ربك الذي خلق**) العلق/١ لقد بدت أمامي كروضة يانعة يقتطف الانسان منها أجمل الزهور ويشم من عبيرها أزكى الروائح وبدت أمامي كأنها منهج حياة وبدت أمامي موحية موجهة .

وفي الفصل الأول يوضح أن الوحي بدأ بكلمة « **اقرأ** » وهي المادة الأولى من الدستور الاسلامي وهي غنية بالمعاني ، ثرية بالتوجيهات ، إنها تأمر بالقراءة التي هي من أهم وسائل المعرفة والعلم ، ويتسم الاسلام لأول لحظة زمنية من حياته ولأول كلمة فيه بسمة العلم .

وفي أسلوب ممتع يوضح الدكتور الفرق بين العلم في صورته الاسلامية والعلم في صورته الاوروبية ، فالعلم في الاسلام يجب أن يكون « **باسم ربك** » أي يجب ان يكون في سبيل الله أي أن يكون للخير والفضيلة ولإسعاد الانسانية .. ويبين الدكتور عبدالحليم محمود كيف ان الآية الكريمة عدلت عن لفظ الله إلى لفظ « **ربك** » وهذا العدول إنما هو لحكمة بالغة وذلك ان الله سبحانه وتعالى ينبه من أول الأمر إلى أن القراءة يجب ان تكون : باسم « الرب » باسم « المربى » . أي أن القراءة يجب أن تكون في إطار التربية الإلهية كما ان هذا العدول يريد أن يقول للانسان :

إنك حينما تدخل ـ حرا مختارا ـ في عهد الله وفي دينه وفي ميثاقه يجب ان تروض نفسك منذ المبدأ على أن تستجيب استجابة مطلقة لله سبحانه وتعالى في أمره ونهيه ... ثم يؤكد الدكتور على ضرورة الاستجابة إلى هذه التربية الإلهية بالذات دون غيرها لأنها تربية « **الذي خلق** » .

وفي الفصل الثاني من الكتاب بين الدكتور عبدالحليم محمود كيف يكيف الانسان حياته كلها لتكون قراءة باسم ربه ويبين كيف أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد وضح لنا المنابع التي نستقى منها تلك المعارف وأول هذه المنابع القرآن الكريم ، موضحا أن الرسول صلى الله عليه وسلم حرص ألا يختلط القرآن بغيره وكان شديد الحرص في ذلك إلى درجة أنه لم يسمح في العهد الأول من الوحي أن تكتب الأحاديث التي كان ينطق بها حتى لا

تختلط بالقرآن ، ثم لما بانت معالم القرآن وبدت أوصافه الذاتية في وضوح وأسفرت آياته عن شخصيته سمح الرسول صلى الله عليه وسلم بكتابة السنة وكذلك حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على ألا يلوث الدين بغيره ... من ذلك ما رواه المحدثون في ذلك احاديث في غاية العمق منها ما رواه الامام أحمد قال : حدثنا سريج بن النعمان ، حدثنا هشام ، أنبأنا خالد عن الشعبي عن جابر « ان عمر بن الخطاب أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : فغضب وقال : أتتهوكون (أي أتتشككون في ملتكم) فيها يا عمر بن الخطاب ؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبونه أو بباطل فتصدقونه ، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني » «اسناد صحيح قصص الانبياء ص ٣٠٨ ج ١» .

ولابد ان يتبادر إلى الأذهان : إذن ما موقف المسلمين من علوم الحضارة ؟

ويرد الدكتور عبدالحليم محمود ويبين ان للحضارة مجالين هما المادي والروحي ، أما بالنسبة للمجال المادي من الحضارات التي لم تنشأ في الجو الاسلامي سواء أكان ذلك في القديم أم في الحديث فقد كان لا يزال يقف موقف المشجع على الأخذ منها أينما كانت وعلى المساهمة فيها مساهمة فعالة وعلى الارتقاء بها وتطويرها تطويرا مستمرا وعلى ذلك ترجم عمر بن عبدالعزيز كتابا في الطب لما رأى حاجة المسلمين إلى ذلك ، ولما ترجمت كتب الكيمياء والطبيعة والطب والفلك في عهد أبي جعفر المنصور وبعده لم يجد ذلك من المسلمين إلا كل ترحيب ولكن موقف المسلمين في الجانب الروحي من الحضارات القديمة والحديثة موقف يختلف عن ذلك كل الاختلاف فقد انتهر الرسول صلى الله عليه وسلم عمر في شده لأنه أتى بصحف من التوراة يتلوها وغضب صلى الله عليه وسلم على كل من حاول ان يستقى شيئا من العقيدة والأخلاق من منبع غير القرآن والسنة النبوية الشريفة .. وسار المسلمون على هذا النسق من التفرقة بين الجانب المادي والجانب الروحي حتى كان عصر المأمون ... ويرى الدكتور عبدالحليم ان المأمون بدخوله في قضية خلق القرآن قد ارتكب سيئة وهي ان دخوله كان دخول من يريد ان يأمر فيطاع لادخول من يريد أن يصغي ويستجيب لبرهان ... كما أنه ارتكب سيئة أخرى وهي انه برغم موقف جمهور المسلمين الحاسم من التراث الروحي للأمم الاخرى وبرغم معارضتهم الشديدة للغزو الفكري فإن المأمون تحداهم تحديا سافرا آمرا بترجمة التراث الروحي والتراث الاخلاقي للأمم الأخرى يونانية كانت أو فارسية او غيرها .

ثم يتساءل الدكتور ولم الترجمة ؟ أفي العقيدة التي جاء بها القرآن والسنة نقص يستكمل ؟

أفي الاخلاق التي رسمها الله

ورسوله خلال تزيله ترجمة كتب الوثنيين ؟

وفي نهاية هذا الفصل يؤكد الدكتور على أن المسلمين قد بلغوا قمة مجدهم حينما كانوا يقرأون « **باسم ربك** » وحده وقد بلغوا قمة ضعفهم حينما بلغت « **باسم ربك** » حدها الأدنى أي حينما تخلوا ـ أو كادوا ـ عن ان يتخذوا من منابع دينهم الصافية موجها وقائدا ولن يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها ، أي العودة إلى : (**اقرأ باسم ربك الذي خلق**) .

وفي بداية الفصل الثالث يتحدث الدكتور عن ليلة القدر « **إنا انزلناه في ليلة القدر** » وأنها خير من ألف شهر ففيها تتنزل الملائكة والروح باذن ربهم من كل أمر وهي فضلا عن ذلك سلام يستمر من غروب الشمس حتى مطلع الفجر .

وليلة القدر نفحات من الله ففيها يستجاب الدعاء وتغفر الذنوب للتائبين المنيبين .

يقول صلى الله عليه وسلم (من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) (متفق عليه)

ويختتم الدكتور عبد الحليم هذا الفصل بالدعاء الذي قاله الرسول صلى الله عليه وسلم للسيدة عائشة حينما طلبت منه بماذا تقول في ليلة القدر فقال لها الرسول صلى الله عليه وسلم « قولى اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني »

وفي الفصل الرابع يتحدث عن القرآن مؤكدا أن أصدق وصف للقرآن هو الوصف الذي أتى به القرآن نفسه فمن أوصافه أنه مبين ... نور .. حكيم ... حق .. مبارك ... معجز ... عظيم ... على حكيم ... عزيز ... مفصل على علم ... أحسن القصص ... غير ذي عوج .. يهدي إلى الحق ... عربي .. لا ريب فيه ... يخرج من الظلمات إلى النور ... بشرى للمسلمين ... رحمة للمؤمنين ... أنزله بالحق ... أحسن الحديث.نذير .. تذكره ... مصدقا لما بين يديه .

وفي كل وصف من هذه الأوصاف يذكر الدكتور عبدالحليم محمود الآيات القرآنية التي بينت هذه الصفة فمثلا صفة مبين :

(**الر تلك آيات الكتاب المبين**) يوسف / ١

(**تلك آيات الكتاب وقرآن مبين**) الحجر/ ١

(**طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين**) النمل/ ١

وهكذا في كل الصفات .

ويذكر الدكتور عبدالحليم فضل القرآن ويبين الأحاديث الدالة على ذلك فيذكر حديث الرسول صلى الله عليه وسلم « يقول الرب تبارك وتعالى من شغله قراءة القرآن من مسألتي اعطيته افضل ما أعطى السائلين » رواه الترمزذي

فيجب علينا ان نتدبر القرآن ولذلك قال بعض العلماء :

هذا القرآن رسائل آتتنا من قبل ربنا عز وجل بعهوده ، نتدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات والسنن المتبعات وكان مالك بن دينار يقول :

ما زرع القرآن في قلوبكم يا أهل

القرآن ؟ إن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الارض .

ثم يختتم الدكتور عبدالحليم هذا الفصل مبينا ان الخشية من ثمار تلاوة القرآن او سماعه ، فيخبر الله أن هذا القرآن لو أنزل على جبل لتمثل فيه الخشوع بل يصل الخشوع به إلى درجة التصدع يقول سبحانه وتعالى : **(لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون)** الحشر/ ٢١ .

وفي بداية الفصل الخامس من الكتاب يوضح الدكتور عبدالحليم محمود كيفية الدخول في النظام القرآني وذلك بالتخلي عما ليس بقرآن وهذا ما يسمى في العرف الاسلامي أو النظام القرآني « التوبة » وهذه التوبة واجبة من كل ذنب ... وهذه التوبة لها شروط لابد من توافرها حتى تهيىء الانسان لشق الطريق إلى الله تهيئة موفقة . أحدها : أن يقلع الانسان عن المعصية والثاني : أن يندم على فعلها والثالث : أن يعزم على ألا يعود إليها أبدا ، وأما إذا كانت المعصية تتعلق بآدمى فشروطها أربعة : الثلاثة السابقة والرابع : أن يبرأ من حق صاحبها فإن كان مالا أو نحوه رده إليه . وييسر الدكتور عبدالحليم محمود في الطريق لدخول النظام القرآني ، وبعد ان ظهر الطريق بالتوبة يتبقى : اتباع أحسن ما أنزل الله ، ويبين الدكتور بأن اتباع أحسن ما أنزل الله يبدأ بما كان يبدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الداخلين في الاسلام أعنى مواد البيعة ... روى البخاري رضى الله عنه من حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه وكان عبادة شهد بدرا ، وهو أحد النقباء ليلة العقبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، وحوله جماعة من أصحابه :

« بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين ايديكم وأرجلكم ولاتعصوا في معروف فمن وفي منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه ، فبايعناه على ذلك » ويوضح الدكتور عبدالحليم محمود سبيل الله بتوحيد الله وعبادته وحده وصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء واقامة الصلاة وأداء الزكاة والصيام ... والابتعاد عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة . ويختتم الدكتور عبدالحليم هذا الفصل بهذا التساؤل إذا صدقت النية واتبع الانسان أحسن ما أنزل الله إليه في العمل فما السبيل إلى اتباع أحسن ما أنزل الله في القول ؟ ما القراءة باسم ربك في القول ؟ ويجيب على هذا التساؤل بأن الله بين لنا الاحسان في القول كما بين لنا الاحسان في العمل يقول سبحانه في الجانبين « **ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين** » فصلت/ ٣٣ إذن اتباع أحسن ما أنزل الله في القول إنما هو الدعوة إلى

الله بنص الآية الكريمة واعلان الاسلام « **وقال إنني من المسلمين** » من ذلك الذكر والدعاء وهما ما خص بهما الدكتور عبدالحليم الفصلين السادس والسابع ـ وبين الدكتور أن أفضل الذكر إنما هو التعبد بتلاوة القرآن فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يكثرون من تلاوة القرآن تعبدا به وكانوا يقسمونه أقساما . ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يضعون أمام أعينهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشرة أمثالها ، لا أقول « الم » حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف » رواه الترمذي عن ابن مسعود كذلك من الذكر الاستغفار وسيد الاستغفار هو كما أخبر الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه :

« اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وانا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت » كذلك التهليل : وهو لا إله إلا الله والتسبيح : وهو سبحان الله والتحميد هو الحمد الله والتكبير وهو الله أكبر والحوقلة وهي لا حول ولا قوة إلا بالله كل ذلك من أنواع الذكر فعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « استكثروا من الباقيات الصالحات » قيل وما هنَّ يا رسول الله ؟ قال : « التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله » رواه النسائي والحاكم .

وفي الدعاء ذكر الدكتور عبدالحليم محمود ان في الدعاء تتمثل العبودية لله سبحانه وتعالى واضحة جلية أي أنه تتمثل فيه العبادة : فالقرآن الكريم حثنا على الدعاء وذكر انماطا من الدعاء ومواقف من اللجوء إلى الله في ذلك . ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بما يتناسب مع الوضع الذي هو فيه زمانا كان أو مكانا أو حالة نفسية أو اجتماعية ومن الأفضل لنا في هذا المقام أن نذكر دعاء من أدعية رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمرى وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر » رواه احمد وابويعلي والنسائي وفي الكتاب أدعية كثيرة ذكرها الدكتور من القرآن ومن أدعية الرسول صلى الله عليه وسلم .

وأما الفصل الثامن من الكتاب فقد خصه الدكتور بالحديث عن أسس العقيدة الاسلامية مبتدئا باثبات الرسالة وكيف أن العرب سخروا من دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وكان لابد من أن يفحمهم بآية من أيات الله فلم تخرج هذه الآية عن أن تكون القرآن فلقد تحداهم القرآن بعنف وتحداهم متدرجا بهم من أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا إلى أن يأتوا بعشر سور مثله ثم انتهى بهم أخيرا إلى أن يأتوا بسورة من مثله وفي تفصيل واضح

جدا يذكر الدكتور عبدالحليم الآيات القرآنية التي وضحت خصومة العرب للرسول صلى الله عليه وسلم : وبين كيف إنها كانت عنيفة قوية ولقد صورها القرآن في قوتها وفي عنفها ولم يأب أن يذكر ما فاهت به العرب مما يسيء للرسول فذكر وصفهم له بالجنون والشاعر والساحر أو مسحور وبأنه ليس من عظماء القريتين (مكة والطائف) وبأنه يأخذ القرآن من غيره أو بأن القرآن ليس إلا سحرا أو أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا ذكر القرآن كل ذلك وصور الخصومة في عنفوانها عارضا أدلة الجاحدين ، ذلك أن القرآن هداية الله وهدايته سبحانه وتعالى : هي الحق الذي يقذف على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، وبعد ذلك يتحدث الدكتور عبدالحليم عن وجود الله وقد أوضح في إفاضة أن مسألة اثبات وجود الله لم تكن في يوم من الأيام هدفا من الأهداف القرآنية ولم تكن ايضا في يوم من الأيام هدفا من أهداف الرسول صلى الله عليه وسلم أو أحد من أصحابه وذلك لأن الايمان بوجود الله مسألة فطرية وبديهية ومع ذلك يمكننا أن نأخذ من القرآن أدلة على وجود الله من ذلك « **أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون** » الطور / ٣٥ ويبين الدكتور عبدالحليم محمود أن القرآن يجعل من أهدافه الكبرى اثبات التوحيد، والاسلام هو إسلام التوحيد والله سبحانه وتعالى واحد لا شريك له وهو عالم وهو مريد وقادر وحكيم ... الخ وهو ايضا باعث ويتطرق الحديث بالدكتور عبدالحليم الى مسألة البعث وكيف أنكرها قوم اطلق عليهم الإمام الغزالي (الطبيعيون) وهم قوم أنكروا البعث مع اعترافهم بالصانع ولكن القرآن يرد عليهم بتذكيرهم بمظاهر قدرة الله السائدة في الكون .

« **أيحسب الانسان أن يترك سدى . ألم يك نطفة من مني يمنى . ثم كان علقة فخلق فسوى. فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى. أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى** » القيامة/ ٣٦ ـ ٤٠ .

ويتم الدكتور هذا الفصل بالمظاهر التي تسبق البعث وتصف يوم القيامة وتتحدث عن الحساب والميزان وتصف حالة المؤمنين والكافرين وتصور النار في صورتها البشعة الكريهة والجنة في روحها وريحانها وصورها ورياضها الفيحاء وذكر الآيات ٦٧ ـ ٧٥ من سورة الزمر ..

وفي الفصل التاسع والأخير من الكتاب تحدث الدكتور عبدالحليم محمود عن ثمرة الايمان والتوحيد وجعل عنوان هذا الفصل (إلى النصر بإذن الله) .

« **إن الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم**) التوبة/ ١١١ .

ويبين الدكتور عبدالحليم محمود ان المعقود عليه هو الجهاد ، والثمن هو الجنة ، والبائع هو المجاهد .

والمشتري هو الله سبحانه وتعالى ومكان البيع هو ميدان المعركة وتسجيل العقد في عدة جهات موثوق بها . هي الكتاب المنزل من عند الله والربح مؤكد على أية حال كانت نتيجة الجهاد . لأنه سبحانه وتعالى لم يجعل المعقود عليه كونهم مقتولين فقط بل إذا كانوا قاتلين ايضا لاعلاء كلمته ونصر دينه ... ويسير الدكتور عبدالحليم محمود بنا في الطريق الذي رسمه القرآن للنصر فيبين ان القرآن لا يعد المؤمن مؤمنا صادقا إلا إذا كان مجاهدا بماله ونفسه في سبيل الله . « **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون**) الحجرات/ ١٥ هذه هي أول خطوة في طريق النصر أما الخطوة الثانية فهي الاستعداد وتهيئة الامر للجهاد وذلك ممثل في قوله تعالى (**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**) الانفال/ ٦٠ وبعد أن نخطو الخطوتين في طريق النصر يبين لنا الدكتور عبدالحليم كيف أن الله قد وضح لنا عوامل النصر ووسائله فقال سبحانه في صورة شاملة : « **يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين** » الانفال / ٤٥و ٤٦ .

اذن عوامل النصر هي الايمان ـ الثبات ـ ذكر الله ـ أما العامل الرابع فهو طاعة الله ورسوله ،والعامل الخامس هو عدم النزاع لأنه سبب الفشل والعامل الاخير الذي ختم الله به عوامل النصر هو الصبر . ويختم الدكتور عبدالحليم هذا الفصل من الكتاب بأن هذا هو التوكل الاسلامي إنه اعداد وكفاح وجهاد واستناد إلى الله في الصغير من الأمر وكبيرها (**ومن يتوكل على الله فهو حسبه**) الطلاق/ ٣ .

وبعد

فقد وصلنا إلى نهاية هذه الرحلة الممتعة التي بدأها معنا الدكتور عبدالحليم محمود في كتابه « القرآن في شهر القرآن وفي خاتمة الكتاب ذكر الدكتور عبدالحليم محمود عدة قوانين قرآنية « إن جاز التعبير » إذا راعاها الانسان ـ والمجتمع وعمل على تحقيقها في جانب الخير . وعلى اجتنابها إذا كانت تعبر عن مجال اجتناب الشر فإنه يسعد لا محالة ، ولقد ضمن الله سبحانه وتعالى ذلك .

* من قوانين الخلافة في الأرض :
(**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا**) النور / ٥٥ .

* من قوانين سعة الرزق :
(**فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا**) نوح / ١٠ ـ ١٢ .

من قوانين التيسير :
(فأما من اعطى واتقى . وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى) سورة الليل / ٥ ـ ٧ .

* من قوانين التعسير :
(وأما من بخل واستغنى . وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) سورة الليل / ٨ ـ ١٠ .

* من قوانين الفرج :
(ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه) الطلاق / ٢ و ٣ .

* من قوانين السعادة :
(من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) الاعراف/ ٩٦ .

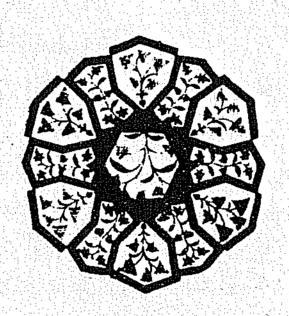
* من قوانين الهداية والبشرى :
(والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد . الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولو الألباب) الزمر/ ١٧ و ١٨ .

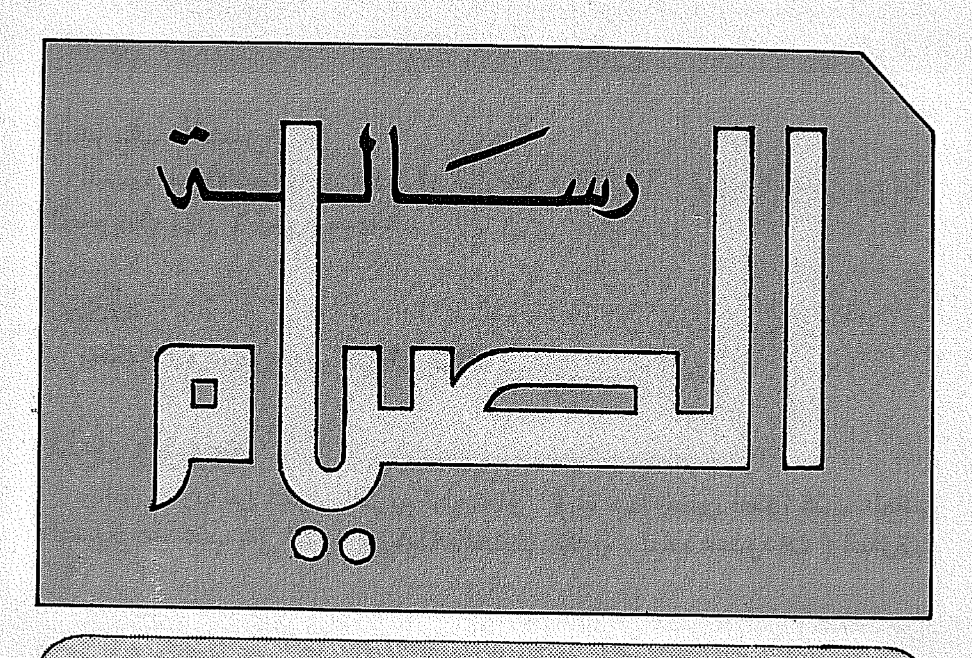
* من قوانين سوء الخاتمة :
(فأما من طغى . وآثر الحياة الدنيا . فإن الجحيم هي المأوى) النازعات/ ٣٧ ـ ٣٩ .

* من قوانين حسن الخاتمة : ـ
(وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فإن الجنة هي المأوى) النازعات ٤٠ و ٤١ .

* من قوانين النصر :
(إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) محمد/ ٧ .
(ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) الحج/ ٤٠ ـ ٤١ .

والحمد الله أولا واخرا والصلاة والسلام على أكرم خلقه وأحبهم إليه الذي كان القرآن خلقه والذي وصفه الله سبحانه وتعالى بقوله (**وإنك لعلى خلق عظيم**) القلم/ ٤ .





شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى
لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ
وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ
الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ
مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صام رمضان إيمانا و احتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه »

رواه البخاري ومسلم والنسائي

صيام رمضان

تعريف الصوم :

الصوم هو الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر الى غروب الشمس مع نية الصوم، في نهار لا يحرم صومه .

حكمه :

وحكمه أنه فرض عين على كل مكلف .

دليل وجوبه :

ودليل وجوبه من القرآن الكريم قوله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . اياما معدودات**) البقرة/ ١٨٣ ، ١٨٤ .

وقوله تعالى : (**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه**) . البقرة/ ١٨٥ .

ومن السنة : قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (**بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان**) .

(رواه البخاري ومسلم)

أركان الصوم

للصيام ركنان :

الاول ـ النية . فلا يصح الصوم إلا بالنية لقوله صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى » . ومحلها القلب . وهي واجبة لكل يوم عند جمهور الفقهاء . وعند المالكية تكفي النية الواحدة في اول كل صوم يجب تتابعه كصوم رمضان وصوم الكفارة ، فينوي في أول ليلة من رمضان صيام الشهر كله .. ويقوم مقام النية الاستعداد للصيام مثل القيام للسحور وتحري وقت الفجر للامتناع عن الاكل وغير ذلك . ولا يضر الاكل أو الشرب أو اتيان الزوجة بعد النية ما دام ذلك قبل طلوع الفجر .

الثاني ـ الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس لقوله تعالى : (**وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام إلى الليل**) البقرة ١٨٧ والمراد بالخيط الابيض

والخيط الاسود بياض النهار وسواد الليل .. ولو طلع الفجر وفي فمه طعام فَلَفَظَهُ صح صومه أما إذا ابتلعه بعد ذلك فانه يفطر .

شروط وجوب الصوم :

ويشترط لوجوبه : الاسلام ، والبلوغ ، والعقل ، والصحة ، والاقامة - وألا تكون المرأة حائضا ، ولا نفساء ، ولا حاملا ، ولا مرضعة ، والقدرة على الصوم

الأعذار المبيحة للفطر

من يباح لهم الفطر ويجب عليهم القضاء :

يباح الفطر للمريض الذي يرجى برؤه ، والمسافر ، ويجب عليهما القضاء لقوله تعالى : (**ومن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أُخر**)
والمرض المبيح للفطر هو المرض الشديد الذي يزيد بالصوم أو يؤخر الصوم شفاءه والسفر المبيح للفطر هو السفر الذي تقصر الصلاة بسببه ، وقد قدره أهل العلم بما لا يقل عن واحد وثمانين كيلو مترا .. ويكره للمريض أن يصوم لما قد يلحقه بذلك من ضرر ، أما المسافر فله أن يصوم وله أن يفطر لما رواه مسلم : قال حمزة الاسلمي « يا رسول الله ، أجد من قوة على الصوم في السفر فهل عليّ جناح فقال : هي رخصة من الله تعالى فمن أخذ بها فحسن ، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه » . وإذا نوى المسافر الصيام بالليل وشرع فيه جاز له الفطر أثناء النهار أما إذا نوى الصيام وهو مقيم ثم سافر في أثناء النهار فجمهور العلماء على عدم جواز الفطر له .. وأجازه بعض العلماء .

من يباح لهم الفطر ويجب عليهم الفدية :

يباح الفطر للشيخ الكبير والمرأة العجوز والمريض الذي لا يرجى برؤه ، وأصحاب الأعمال الشاقة الذين لا يجدون متسعا من الرزق غير ما يزاولونه من أعمال .. إذا كان الصيام يشق عليهم مشقة شديدة في جميع فصول السنة وعليهم أن يطعموا عن كل يوم مسكينا وجبتين من أوسط ما يأكلون عادة ولا قضاء عليهم .
روى البخاري عن عطاء « أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقرأ (**وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين**) قال ابن عباس ليست بمنسوخة ، هي للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا » .
والمريض الذي لا يرجى برؤه ويجهده الصوم والعمال الذين يضطلعون بمشاق الأعمال مثل الشيخ الكبير ولا فرق .

حكم الحامل والمرضع :

يرى الأحناف ان الحامل والمرضع سواء خافتا على نفسيهما أو على ولدهما فعليهما القضاء ويرى ابن عباس وابن عمر أن عليهما الفدية إطعام مسكين عن كل يوم ويرى أحمد والشافعي : أنهما إن خافتا على أنفسهما فقط أو على أنفسهما وعلى ولدهما فعليهما القضاء . وإن خافتا على الولد فقط فعليهما القضاء والفدية .

المسافرون بالطائرة :

يشاهد المسافرون بالطائرة ، وبخاصة إذا كانت فوق السحاب ، أنهم إذا نظروا إلى الأرض قبيل المغرب لم يروها لأن قرص الشمس غاب عنها بسبب تقوس سطح الكرة الأرضية ، في حين أن نورها يظل ظاهرا على السحاب فترة ، ثم يختفي ، وهم في الوقت نفسه يشاهدون قرص الشمس واضحا وهو يميل إلى الغروب حتى يختفي تماما . ومع الترخيص للمسافر سفرا طويلا بالفطر بشروطه المعروفة ، قد يختار بعض الناس أن يصوموا ، بل قد يلزمهم أحيانا ، وعلى هذا

فمتى يفطر ركاب الطائرة ؟

لا يجوز أبدا أن يفطروا إذا مروا على أرض غاب عنها نور الشمس ، ما داموا هم يرونها ، فان الليل إذا كان قد دخل على سكان الأرض في منطقة فإنه لم يدخل على ركاب الطائرة بعد ، وعلى هذا لا يجوز لهم الافطار إلا بعد غياب قرص الشمس تماما . قال تعالى « **وأتموا الصيام إلى الليل** » وليل الركاب لا يدخل إلا بتواري قرص الشمس عنهم في المغيب .

مبطلات الصيام

مبطلات الصيام قسمان :

- ما يبطله ويوجب القضاء فقط .
- ما يبطله ويوجب القضاء والكفارة .

ما يبطله ويوجب القضاء والكفارة

١ ـ الجماع :

أجمع الأئمة على أن الجماع يوجب القضاء والكفارة ، بشرط ان يكون الصائم عامدا مختارا عالما بالتحريم ، وبشرط أن يكون الجماع هو السبب الوحيد في بطلان الصوم • وان لا يكون الصائم مخطئا ، فلو جامع ظانا بقاء الليل أو دخول المغرب ثم تبين أنه جامع نهارا فلا كفارة عليه ، وعليه القضاء فقط • غير ان الامام أحمد يرى أن الجماع موجب للقضاء والكفارة مطلقا سواء أكان الصائم عامدا أم ناسيا ، عالما أم جاهلا ، مختارا أم مكرها أم مخطئا •

٢ ـ الفطر المتعمد :

يرى بعض الفقهاء أن الفطر المتعمد بالأكل أو الشرب يوجب القضاء والكفارة ويرى البعض أنه يوجب القضاء فقط .

ما يبطله ويوجب القضاء فقط

١ ـ القيء عمداً فان غلبه القيء فلا يبطل صومه .

٢ ، ٣ ـ الحيض والنفاس ولو في اللحظة الاخيرة قبل غروب الشمس ، ويجب على الحائض والنفساء قضاء ما فاتهما .. أما الاستحاضة وهي نزول الدم في غير أوقات الحيض فلا تمنع الصوم ولا الصلاة .

٤ ـ إنزال المنى إذا تعمده الصائم بسبب من الأسباب التي تؤدي اليه كالاستمناء وتقبيل الزوجة ، والنظر المتكرر لمن عرف انه ينزل به على ما رآه بعض الأئمة . أما نزول المنى باحتلام فلا يبطل الصيام ولا يبطله المذى ولا الودي .

٥ ـ الردة عن الاسلام ومنها سبُّ الدين واحتقار مقدساته وجحد ما علم منه بالضرورة كوجوب الصلاة .

٦ ـ الجنون والسكر المتسبب فيه والإغماء .

٧ ـ من نقض نية الصيام قاصدا الفطر بطل صومه وإن لم يتناول مفطرا

٨ ـ إذا تناول الصائم مفطرا أو فعل ما يفطر ظانا غروب الشمس أو عدم طلوع الفجر فظهر خلاف ذلك فعليه القضاء عند الائمة الأربعة .

وعند بعض الفقهاء صومه صحيح ولا قضاء عليه لقوله تعالى (**ليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم**)

٩ ـ الدخان بجميع أنواعه والنشوق الذي يؤخذ عن طريق الأنف

ما يبطله ويوجب القضاء والكفارة

أجمع الأئمة على أن الجماع يوجب القضاء والكفارة ، بشرط ان يكون الصائم عامدا مختارا عالما بالتحريم ، وبشرط أن يكون الجماع هو السبب الوحيد فى بطلان الصوم • وان لا يكون الصائم مخطئا ، فلو جامع ظانا بقاء الليل أو دخول المغرب ثم تبين أنه جامع نهارا فلا كفارة عليه ، وعليه القضاء فقط • غير ان الامام أحمد يرى أن الجماع موجب للقضاء والكفارة مطلقا سواء أكان الصائم عامدا أم ناسيا ، عالما أم جاهلا ، مختارا أم مكرها أم مخطئا •

كما يرى الامام مالك القضاء والكفارة أيضا فى الفطر المتعمد وكذلك الامام أبو حنيفة اذا كان الفطر لغير عذر شرعي بغذاء يميل اليه الطبع وتنقضى به حاجة البطن ، بخلاف ما اذا كان فطره لعذر أو بشيء ليس فيه غذاء ولا تنقضى به شهوة البطن كالدواء مثلا فان فيه القضاء فقط •

والأمام أبو حنيفة فى هذا يفرق بين من يفطر بشيء يشتهيه عادة وبين من فطر بشيء لا يشتهيه ، فيوجب الكفارة فى الاول لأن فيه تلبية للشهوة التي يجب أن يكبحها بصيامه ولا يضعف أمامها •

كيفية الكفارة :

والكفارة التي تحدثنا عنها هي :

١ ــ عتق رقبة •

٢ ــ صيام شهرين متتابعين •

٣ ــ اطعام ستين مسكينا •

وهي واجبة على هذا الترتيب • فمن لم يجد عتق رقبة فعليه صيام شهرين متتابعين ، فان لم يستطع فاطعام ستين مسكينا لكل مسكين وجبتان كاملتان من أوسط ما يأكل عادة أو قيمتهما •

ويرى بعض الفقهاء انه مخيّر بين هذه الثلاثة فأيها فعل أجزأته وإفساد كل يوم بالجماع له كفارته الخاصة ويرى الأحناف أن كفارة واحدة تكفي عن إفساد جملة أيام .

ويجب أن لا يكون فى المساكين من تلزمه نفقته كالوالدين والابناء والزوجة •

أما أقاربه الذين لا تلزمه نفقتهم فلا مانع من اعطائهم ، بل انهم مقدمون على غيرهم برا بالرحم •

كيفية القضاء :

كيفية القضاء : أن يصوم بدل الأيام التي افطرها في زمن يباح فيه الصوم ، ويجوز له أن يصوم أيام القضاء متتابعة أو متفرقة .

ويسن له التعجيل بالقضاء ، وتجب عليه المبادرة إذا بقى على رمضان التالي بقدر ما يكفي القضاء ، فإذا أخره عن رمضان وجب عليه مع القضاء فدية عن كل يوم اخره . وذلك إن كان التأخير بغير عذر ، فإن كان بعذر فلا فدية عليه مع القضاء ، ورأى أبوحنيفة عدم وجوب الفدية للتأخير مطلقا ، سواء أكان بعذر أم بغير عذر .

ومن مات وعليه صيام صام عنه وليه لصحة الحديث بذلك ، وقال الأحناف

والمالكية : لا يصوم عنه وليه بل يطعم عن كل يوم مدا .

امور لا تفطر :

وهي نوعان : مكروهة وغير مكروهة .

فالمكروهة منها :

١ ـ مضغ الطعام أو ذوقه ثم مجُّه ، إلا لحاجة كالطاهي فلا يكره .
٢ ـ مضغ العلك « اللبان » الذي لا يتحلل منه شيء ، فان تحلل منه شيء وبلعه بطل صومه .
٣ ـ تمتع النفس بالمتع المباحة من المبصرات والمسموعات والمشمومات ، كتقبيل الزوجة ، ومعانقتها بشرط أمن العاقبة ، وإلا كان ذلك حراما . أما التمتع بالمحرّم كالنظر إلى الأجنبية أو سماع المحرّم أو قوله فهو حرام على الصائم وغيره ، وتشتد حرمته على الصائم ، لأن الصوم يقوم على كفّ النفس عن شهواتها .
٤ ـ الاكتحال والتقطير في العين لغير ضرورة ، والشافعية والأحناف لا يقولون بالكراهة ، ومالك يقول بالحرمة إن تحقق وصول الطعم إلى الحلق ، وإن شك كره . وعند أحمد يكره ، وإن وجد الطعم في الحلق بطل الصوم .
٥ ـ دهن الشعر على رأي الجمهور ، والمالكية يقولون : لو وصل الأثر إلى الحلق بطل الصوم .
٦ ـ الحجامة والفصد للعلاج ، وقال أحمد بالحرمة وبفطر الحاجم والمحجوم .

وغير المكروهة منها :

١ ـ وصول شيء إلى الجوف بنسيان أو إكراه ، أو بسبب يعذر به شرعا ، وذلك عند غير المالكية ، أما هم فيبطلون الصوم بالنسيان والإكراه ، ويوجبون القضاء دون الكفارة .

٢ ـ الابتراد بالماء صيفا ، بغسل أو مضمضة بلا مبالغة ، أما المبالغة في المضمضة والاستنشاق فمكروهة .

٣ ـ ابتلاع الريق ما لم يجاوز الشفة ، فان جاوزها ثم ابتلعه افطر .

٤ ـ وصول بقايا الطعام التي بين اسنانه بجريان الريق إذا كان عاجزا عن مجه .
٥ ـ وصول غبار الطريق إلى الجوف لمشقة الاحتراز عنه ، وكذلك غبار الدقيق

للطحان ومن يعالجه ، فإن تعمد الابتلاع أفطر .

الصوم مع ترك الصلاة :

من صام وترك الصلاة فقد ترك الأهم في أركان الاسلام فان لم يكن مؤمنا بما ترك كان خارجا عن الاسلام ولا ينفعه صوم ولا زكاة ، وإن كان مؤمنا بما ترك كان فاسقا عن أمر ربه وصحّ صومه كما تصحّ العبادات الأخرى . وإن كان صومه مع ترك الصلاة دليلاً بينا على أنه لم يصم امتثالا لأمر ربه ، وإلا لما ترك الواجب الأول .

صوم المريض بالسُكَّر :

إذا أصيب الانسان بمرض السكر ، فعليه أن يعرض نفسه على طبيب مسلم حاذق موثوق به في دينه ، لفحصه والوقوف على درجة مرضه بواسطة تحليل البول أو الدم أو هما معا وبيان أثر الصوم في حالته ، فإذا طلب منه الإفطار كان عليه أن يفطر حتى لا يلقي بنفسه في التهلكة ، وإذا أخبره بأن الصوم لا يضره وجب عليه أن يصوم .

صيام الصغار :

الصبي وإن كان الصوم غير واجب عليه إلا أنه ينبغي لولي أمره أن يأمره به ليعتاده من الصغر ، ما دام مستطيعا له ، قادرا على تحمله ، فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يدربون أولادهم الصغار على الصوم ويرغبونهم فيه بأنواع من اللعب يتلهون بها عن الجوع تقول الربيع بنت معوذ ـ فيما رواه البخاري ومسلم : « كنا نصوّم صبياننا الصغار ، ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن ـ الصوف ـ فاذا بكى أحدهم من الطعام أعطيناه إياها، حتى يكون عند الإفطار » .

الصوم في البلاد القطبية وغير المعتدلة عموما :

ذكر الفقهاء مسألة تقدير وقت الصيام في البلاد القطبية حيث يستمر الليل نصف سنة في القطب الشمالي بينما تكون هذه المدة الطويلة نهارا في القطب الجنوبي وفي البلاد غير المعتدلة حيث يطول فيها الليل ويقصر النهار أو بالعكس . فقال البعض تقدر أوقات الصلاة والصوم على أقرب البلاد المعتدلة اليهم . وقال البعض الآخر تقدر على البلاد المعتدلة التي نزل فيها التشريع كمكة والمدينة . وكل من الرأيين جائز فإنه اجتهادي لا نَصّ فيه .

من آداب الصوم

○ إذا رأيت هلال رمضان أو هلال غيره فقل كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ، ربي وربك الله ، هلال رشد وخير » (رواه الترمذي وقال حديث حَسَن) .

○ استقبل رمضان بنية أن تصوم لله إيمانا واحتسابا ، وافتح في أول ساعة منه ، صفحة جديدة في سجل أعمالك ومعك العزم الأكيد على التزود فيه بصالح الأعمال ، فمن أدركه رمضان فلم يغفر له ، فقد خاب وخسر ! يقول صلى الله عليه وسلم : « إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ، صفدت الشياطين ، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب ، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب ، وينادي مناد : يا باغي الخير أقبل ، ويا باغي الشر أقصر » (رواه النسائي والترمذي بنحو هذا اللفظ والحاكم وقال : صحيح على شرطهما) .

○ ليكن منهجك في الصوم ، التخلي عن الرذائل ، والتحلي بالحلم والوقار والسكينة ، واجتناب الرفث وهو الفحش من القول ، والعبارات البذيئة النابية ، وترك الصخب ، وهو الصياح ورفع الصوت ، فذلك علامة السفه والطيش ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صام رمضان ، وعرف حدوده ، وتحفظ مما ينبغي له أن يتحفظ ، كفر ما قبله » (رواه أحمد وابن حبان في صحيحه والبيهقي بسند جيد) .

○ إذا صدرت من غيرك إساءة لك ، فقابل السيئة بالحسنة ، وادفع بالتي هي احسن ، وذكّر نفسك بأدب الاسلام ، والتزم خُلُقَ الصائم ، وردد ما أمرك الرسول الكريم به في هذا الموقف « فإن شاتمه أحد أو قاتله ، فليقل : إني صائم .. إني صائم » (من حديث رواه أحمد ومسلم والنسائي) .

○ أقبل على تلاوة القرآن في رمضان ، في ليله ونهاره ، في الصلاة وخارج الصلاة ، فهو شهر القرآن .. ففي الحديث المتفق عليه .. « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله صلى الله وسلم حين يلقاه جبريل ، أجود بالخير من الريح المرسلة » .. والصيام والقرآن يشفعان للمؤمن يوم القيامة ، يقول الصيام « أي ربِّ منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه ـ فيشفعان » (رواه أحمد بسند صحيح) .

○ **لا تجعل** شهر الصوم شهر فتور وكسل ، فمن الإساءة لفريضة الصوم أن تكون مدعاة للتراخي عن العمل ، وضعف الإنتاج ، فهو شهر جَلَدٍ وصبرٍ ، يتسلح فيه المؤمن بقوة الإرادة ، ومضاء العزيمة ، فينشط إلى العمل ، وينطلق في ميادين

الكفاح ، يملؤها بالجد المثمر ، والسعي البناء .. عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما وقد حضر رمضان : « أتاكم رمضان شهر بركة ، يغشاكم الله فيه ، فينزل الرحمة ، ويحط الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ، ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه ، ويباهي بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيرا ، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل » (رواه الطبراني ورواته ثقات) .

○ قدم لغيرك ما استطعت من الخير في رمضان ، فإن الثواب يضاعف فيه ، وإسداء المعروف ، وإطعام الجائع في هذا الشهر الكريم ، يقع في ميزان الله أعظم موقع ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود ما يكون في رمضان ، يقول صلى الله عليه وسلم في حديثه عن مزايا هذا الشهر الكريم : « هو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزاد في رزق المؤمن فيه ، من فَطّرَ فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء ، قالوا يا رسول الله ، ليس كلنا يجد ما يفطّر الصائم ، فقال صلى الله عليه وسلم : يعطي الله هذا الثواب لمن فطّر صائما على تمرة ، أو شربة ماء ، أو مذقة لبن (أي حسوة أو جرعة من اللبن) » (رواه البيهقي وابن خزيمة في صحيحه ثم قال : صح الخبر) .

○ حتى يكون صومك صحيحا يؤتي ثمرته ، ويظهر أثره في سلوكك وأخلاقك ، تجنب قول الزور : من الكذب ، والغيبة ، والنميمة ، والمراء ، وشهادة الزور ، والسخرية بالناس ، وتتبع عوراتهم ، والأيمان الفاجرة التي تدع الديار بلاقع ! وتجنب أيضا عمل الزور : وهو يشمل المعاصي البدنية جميعها ، وبذلك تكون جوارح الصائم كلها في مأمن من الرذائل التي تضر بالفرد ، وتدمر المجتمع ! وما أبلغ قول المعصوم صلى الله عليه وسلم وهو يضع دستوراً للصائم في كلمات تنأى به عن مواقع السوء ومزالق الهوى : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » (رواه البخاري) .

○ تناول افطارك عقب غروب الشمس مباشرة وقبل صلاة المغرب ، على تمرات وترا ، فان لم يتيسر لك ذلك ، فعلى الماء ، فإن الماء طهور ، وذلك لتكسر حدة الجوع ، وتطفيء حرارة العطش ، فإن لبدنك عليك حقا ، وحتى تقبل على صلاة المغرب غير معجل . هذه سنة نبيك عليه أفضل الصلاة والسلام ، فعن سهل بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يزال الناس بخير ، ما عجلوا الفطر » (رواه البخاري ومسلم) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله عزّ وجلّ : « أحب عبادي إليّ أعجلهم فطرا » (رواه الترمذي وقال : حديث حسن) .

○ عند الافطار ، توجه إلى الله بالدعاء لنفسك وللمسلمين ، فهي في هذه اللحظة دعوة مقبولة إن شاء الله ، يقول صلى الله عليه وسلم : « إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد » (رواه ابن ماجه) .

وثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول : « ذهب الظمأ ، وابتلت العروق ، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى » .
وروى مرسلا أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم إني اسألك برحمتك التي وسعت كل شيء ، أن تغفر لي » .
○ تناول سحورك قريبا من الفجر ، ففي ذلك عون على النشاط في النهار ، وتحمل مشاق الصوم ، والوقت المناسب للسحور،قبل الفجربنصف ساعة ، وبذلك يجتمع لك فضلان : تحقيق السنّة بتأخير السحور ، وإدراك صلاة الصبح جماعة في وقتها .. عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تسحروا فإن في السحور بركة » (متفق عليه) . وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : « تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قمنا إلى الصلاة ، قيل كم كان بينهما ؟ قال : خمسون آية » (متفق عليه) .
○ تجنب الافراط في الأكل والشرب ، فإن من حكم الصوم ، التخفيف على المعدة ، وتنقية البدن من رواسب الطعام المتراكمة في داخله طول العام ، وإن عدداً كبيراً من الأمراض الشديدة . والعلل المنهكة ، ينشأ من اكتظاظ المعدة بما لا تطيق هضمه ، وقد جاء في الحديث : « ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه » (رواه الترمذي) وقد أمرنا الله تبارك وتعالى بترك الإسراف في الأكل والشرب ، في رمضان وغيره فقال عزّ مِنْ قائل : « **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** » (٣١ : الأعراف) .
« **ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في امرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين** » .

صلاة التراويح

صلاة التراويح في كل ليلة من رمضان سنة مؤكدة ، وتسن فيها الجماعة ، ووقتها بعد صلاة العشاء .

دليل سنيتها :

فعل الرسول صلى الله عليه وسلم فقد روى الشيخان أنه صلى الله عليه وسلم خرج من جوف الليل ليالي رمضان وهي ثلاث متفرقة : ليلة الثالث والعشرين ، والخامس والعشرين ، والسابع والعشرين وصلى في المسجد وصلى الناس بصلاته فيها وكان يصلي بهم ركعات ، ويكملون باقيها في بيوتهم فكان يسمع لهم أزيز كأزيز النحل .
وقد ظل الصحابة يصلونها متفرقين ، حتى رأى عمر رضي الله عنه في خلافته أن يجمعهم على صلاتها بالمسجد وراء إمام فكانت صلاة التراويح جماعة

مما استحسنه عمر رضي الله عنه ووافقه عليه الصحابة وسار عليه المسلمون من بعده . وروى الإمام مالك في الموطأ عن يزيد بن رومان قال : « كان الناس في زمن عمر رضي الله عنه يقومون في رمضان بثلاث وعشرين ركعة » ـ أي بزيادة الوتر ثلاث ركعات على التراويح ، وقد جمع عمر الناس على هذا العدد في المسجد ، ووافقه الصحابة على ذلك ، ولم يوجد لهم مخالف ممن بعدهم ، وقد ذكر أصحاب هذا الرأي أن النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان قد صلى بالناس في المسجد في الليالي التي خرج اليهم فيها ،ثماني ركعات إلا أنهم كانوا يكملون العشرين في بيوتهم ، وصلاة التراويح سنة بلا خلاف ، والجماعة فيها فضلها ثابت لا ينكر ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد رغب في مطلق قيام الليل في رمضان فقد روى الجماعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله وسلم يرغب في قيام الليل ، من غير أن يأمر فيه بعزيمة فيقول : « من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

ويسن القنوت في الوتر في النصف الثاني من شهر رمضان عند الإمام الشافعي .

ومن الأفضل أن ينتهي من قراءة القرآن في التراويح بانتهاء شهر رمضان متى تيسر له ذلك ، وإلا فليصل بما تيسر له .

وروح الصلاة الخشوع ، فليحرص عليه قبل أن يحرص على زيادة الركعات ، وعلى قراءة القرآن كله أو بعضه فيها أو يحرص على العشرين ركعة أو الثماني . وَرُبَّ ركعات قليلة ، تؤدى في صلاة خاشعة ، وقراءة فيها تدبر ، خير من ركعات كثيرة قصيرة لا خشوع فيها ..!

العمرة في رمضان

للعمرة في رمضان ثواب كبير يساوي ثواب حجة .

روى البخاري (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة من الانصار سماها .. ما منعك أن تحجي معنا ؟ قالت كاننلنا ناضح فركبه أبو فلان وابنه ـ لزوجها وابنها ـ وترك ناضحا ننضح عليه ، قال : فاذا كان رمضان اعتمري . فإن عمرة في رمضان حجة أو نحوا مما قال (وفي رواية مسلم) قال : فعمرة في رمضان تقضي حجة أو حجة معي) .

ولكن يجب أن يعلم أن العمرة في رمضان ، وإن كان لها مثل ثواب الحج ، إلا أنها لا تسقط فريضة الحج عمن عليه هذه الفريضة

روى أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمرات ، كلهن في ذي القعدة إلا التي مع حجته

عمرة من الحديبية أو زمن الحديبية في ذي القعدة ، وعمرة مع العام المقبل في

ذي القعدة ، وعمرة من جعرانة حيث قسم غنائم حنين في ذي القعدة ، وعمرته مع حجته .

وإنما اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة ، لفضيلة هذا الشهر ، ولمخالفة الجاهلية في ذلك ، فإنهم كانوا يرونه من أفجر الفجور ، ففعله صلى الله عليه وسلم مرات في هذا الشهر ، ليكون أبلغ في بيان جوازه فيه ، وأبلغ في إبطال ما كانت الجاهلية عليه .

وقد وقع خلاف حول ما إذا كان الأفضل العمرة في رمضان ، أو في شهر الحج ، فقيل ان العمرة في رمضان لغير النبي أفضل ، وأما في حقه فما صنعه أفضل ، وذلك لأنه فعله للرد على أهل الجاهلية الذين كانوا يمنعون الاعتمار في أشهر الحج ، وهذا هو رأي الجمهور .

الاعتكاف

الاعتكاف رياضة روحية وتزكية نفسية وتطهير للقلب والعقل من غلبة أغراض الدنيا على نفس المؤمن .. وتكون في المسجد تفرغا لله سبحانه وتعالى ولعبادته ..

.. يلجأ إليها الذين يزدادون شوقا إلى رضى الله ، ولهفة إلى عفوه ومغفرته وحبِّه ..

ورياضة الاعتكاف رياضة قديمة ، كان يؤديها أصحاب النفوس الشفافة .

روى البخاري أن عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله (إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام فقال له صلى الله عليه وسلم .. أوْفِ بنذرك) .

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله ثم اعتكف أزواجه من بعده . « رواه البخاري ومسلم » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ كما روى البخاري ـ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام ، فلما كان العام الذي قبض فيه ، اعتكف عشرين يوما .

ومعنى الاعتكاف : الإقامة الكاملة في المسجد ، وعدم الخروج منه مدة معينة ، على نية التقرب لله عز وجل ، وهو سنة حين يتطوع به المسلم من تلقاء نفسه ، وتتأكد سنيته في العشر الأخير من رمضان ، فإذا نذره المسلم ، كان واجبا عليه أن يؤديه .

وليس للاعتكاف وقت محدد ، فمتى مكث الانسان في المسجد مدة بنية الاعتكاف ، كان معتكفا ، فاذا خرج ، فله أن يجدد النية ، ويجوز ذلك . أما الاعتكاف المنذور ، فيجب عليه أن يؤديه على الوجه الذي نذره به .

أركانه :

١ ـ المكث في المسجد .

٢ ـ النية .

شروطه :

الاسلام والتمييز والعقل والطهارة من كل ما يوجب الغسل وكونه في مسجد ، ولا يشترط صوم المعتكف ، وإن كان صومه أفضل ، وللمرأة أن تعتكف بإذن زوجها ، فإن منعها فعليها أن تمتنع .

ومن نوى اعتكاف العشر الأواخر من رمضان ، فعليه أن يدخل معتكفه قبل غروب الشمس ، ويخرج بعد غروب شمس آخر يوم من الشهر ، واستحسن البعض المبيت ليلة الفطر بالمسجد ، والغدو إلى صلاة العيد .

ومن نذر اعتكاف يوم أو أيام دخل معتكفه قبل أن يتبين له طلوع الفجر ويخرج بعد غروب جميع قرص الشمس ، أما إذا نذر اعتكاف ليلة أو ليال ، فإنه يدخل معتكفه قبل مغيب جميع قرص الشمس ، ويخرج بعد أن يتبين له طلوع الفجر .

ويستحب للمعتكف ذكر الله وتسبيحه وتكبيره ، والاستغفار ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وتلاوة القرآن ، ومذاكرة العلم ، ويستحب له أن يتخذ خباء في صحن المسجد ، اقتداء برسول الله عليه الصلاة والسلام .

ويكره له : إشغال نفسه بما لا يعنيه ، من قول أو عمل ، ويكره الصمت عن الكلام ظنا أن الصمت يقرّب من الله .

ويباح له : الخروج لقضاء الحاجة ، وللإتيان بالمأكول والمشروب ، إذا لم يكن له من يأتيه به ، وللمعتكف أن يمشط شعره ، ويحلق رأسه ، ويقلم أظافره ، وينظف بدنه ، ويلبس أحسن الثياب ، ويتطيب بالطيب .

ويبطل الاعتكاف : الخروج عمدا لغير حاجة ، والردة عن الاسلام ، وذهاب العقل بجنون أو سكر ، والحيض أو النفاس أو الجماع أو الانزال . وإذا بطل الاعتكاف استحب للمعتكف قضاؤه وقيل يجب عليه ذلك .

ومن نذر الاعتكاف في مسجد معين لا يلزمه المسجد الذي حدده إلا إذا نذره في المسجد الحرام أو مسجد الرسول أو المسجد الاقصى وإن نذر الاعتكاف في المسجد الحرام لزمه ، وإن نذره في المسجد النبوي جاز أن يعتكف في المسجد الحرام لأنه أفضل منه وإن نذره في المسجد الأقصى فله الاعتكاف في أي المساجد الثلاثة أحب .

ليلة القدر

القَدْرُ هو الشرف العظيم ، ولقد عَظَّمَ الله من شأن هذه الليلة لنزول القرآن فيها قال الله تعالى : (**إنا انزلناه في ليلة القدر . وما ادراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من الف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل امر . سلام هي حتى مطلع الفجر**) .

وقال صلى الله عليه وسلم (التمسوها في العشر الأواخر من رمضان) رواه

أحمد والبخاري وأبو داود .

والمشهور أنها ليلة السابع والعشرين من رمضان ، وهو رأي لفريق كبير من الصحابة ، وإحياؤها سنة لقول عائشة رضي الله عنها كان رسول الله يجاور في العشر الأواخر من رمضان ويقول : « تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان » . رواه البخاري ، والمراد بالمجاورة ، الاعتكاف ، والدعاء فيها من هدى الرسول الكريم ، روى أحمد وابن ماجة عن عائشة رضي الله عنها قالت : يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة القدر ما أقول فيها ؟ قال قولي : « اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني » .

وحكمة إحيائها بالعبادة ، تذكر نعمة الله علينا بإنزال القرآن فيها هدى للناس إلى ما فيه خيرهم في دنياهم وأخرتهم وقد احتفل الله بها وكرّمها ، فمن واجبنا أن نعرف قدرها ، ونحرص على إحيائها ، والتقرب إلى الله فيها .

صدقة الفطر

هي ما يخرجه المسلم من ماله للمحتاجين طهرة لنفسه ، وجبرا لما يكون قد حدث في صيامه من خلل مثل لغو القول وفحشه .

يقول ابن عباس رضي الله عنه : « **فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين** » (رواه أبو داود) .

حكمة مشروعيتها

ومن هذا يتبين أن الحكمة في فرضها سد حاجة المعوزين والتوسعة عليهم ، وإدخال الفرحة في قلوبهم حتى لا يشعروا بمرارة الحاجة والفقر ، في وقت يوسع فيه المسلمون على عيالهم في المطعم والملبس ابتهاجا بالعيد ، وفي هذا من معنى التكافل والتراحم بين المسلمين ما فيه ، كما أن في إخراجها تقرّبا إلى الله ، وتطهيرا للصائم من السيئات التي يكون قد ارتكبها أثناء صومه ، لأن للحسنات آثارها الطيبة في محو السيئات .

ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « **واتبع السيئة الحسنة تَمْحُها** » رواه أحمد والترمذي .

شروط وجوبها

وشروط وجوبها : الحرية والاسلام ووجود ما يفيض عن حاجته وحاجة من

تلزمه نفقته ليلة العيد ويومه ، وإدراك جزء من رمضان وجزء من شوال ، فلا يجب على العبد إخراجها لأنه لا مال له ، ولكن يخرجها عنه سيده ، ولا على الفقير الذي لا يجد ليلة العيد ويومه فائضا عن حاجة أولاده ، كما لا يجب على من مات قبل غروب الشمس آخر يوم من رمضان ، ولا على من ولد بعد غروبه .

دليل الوجوب

ودليل وجوبها ما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « **فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان صاعا من تمر أو صاعا من شعير على كل حر أو عبد ذكر أو أنثى من المسلمين** » ـ متفق عليه .

مقدارها :

يجب على كل فرد صاع من غالب ما يأكله أهل البلد إلا أن يخرج الأحسن ، فيكون أفضل ويقدر الصاع بنحو خمسة أرطال ونصف من القمح أو الشعير أو الأرز أو الدقيق ويجوز إخراج القيمة نقدا ، حسب السعر الحالي والأسعار تختلف من بلد لآخر .

وقت إخراجها

يجوز إخراجها من أول رمضان ، ويكره تأخيرها عن صلاة العيد إلا لضرورة ، كعدم وجود فقير في البلدة حال إخراجها .

ومن المستحسن استعجال خروجها ، حتى يستعين الفقير بها على ما يحتاجه في رمضان ، وإعداد ما يلزمه هو وأولاده في أيام العيد ، ليتحقق معنى الزكاة والغرض منها في أيام العيد ؛ فإن الفقير قد يحتاج إلى ثياب له ولأولاده فلا بد من إعطائه فرصة يتمكن فيها من إعداد الثياب والحاجيات الأخرى اللازمة له ولأولاده .

ولا يجوز نقلها من بلدة إلى أخرى . أو من منطقة إلى أخرى ، إلا إذا كان هناك ما يبرر ذلك ، كما لو اكتفى أهل البلد أو المنطقة أو لم يكن فيها محتاجون ، أو كان له قريب فقير في بلدة أخرى قريبة من المكان الذي يقيم فيه يريد أن يعطيه جزءا منها وعند الأحناف لا يكره نقلها الى أي بلد فيه قرابة محتاجون أو من هم أحوج من أهل البلد أو كان نقلها أصلح للمسلمين أو إلى طالب علم ونحوه .

والأفضل توزيعها على عدد من المحتاجين حتى يعم النفع بها ، وله أن يزيد فقيرا عن آخر في الاعطاء نظرا للحاجة أو لقربه منه .

عمن يخرجها ..؟

يخرجها الشخص عن نفسه وعن كل من تلزمه نفقتهم من الزوجة والأقارب

وهم : الوالدان الفقيران والأولاد الذكور الذين لا مال لهم حتى يشتغلوا بمعاشهم وكذلك الإناث إلى أن يدخل بهن الزوج والمماليك والخدم الذين التزم المخدوم بنفقتهم ومعاشهم .

لمن تصرف ؟

تصرف لمن يوجد من الفقراء المحتاجين الذين لا يكفي دخلهم لسد حاجاتهم ومنهم المسافرون المغتربون الذين لا مال لهم بأيديهم ينفقون منه على شؤونهم وإن كان لهم مال في بلدهم . وكذلك الدور المشرفة على الفقراء والداخلون في الاسلام المحتاجون للمعونة والذين لا يجدون ما ينفقون حتى تتيسر لهم سبل العيش .

صلاة العيد

دليل شرعيتها :

لم يغفل الاسلام ناحية الأعياد لدى أتباعه ، لأنها ظاهرة اجتماعية ضرورية لكل أمة ، حتى يكون لها في أيامها أعياد تفرح فيها ، وتستجم من عناء العمل ، وأعياد كل أمة ترتبط إما بدينها أو بحوادث هامة ، لها أثرها الطيب في تغيير مجرى حياتها ، لذلك كانت الأعياد في كل أمة مظهرا من مظاهر شخصيتها .

ولأجل هذا لم يرض الرسول صلى الله عليه وسلم أن يترك المسلمين يحتفلون بأيام كانوا يحتفلون بها قبل الاسلام ، بل جعل لهم عيدين مرتبطين بعبادتين من أهم العبادات في الاسلام وهما : عيد الفطر ، بعد أن ينتهي المسلمون من عبادة الصوم ، ويفرحوا بفطرهم ، وعبادتهم لله ، وعيد الأضحى ، بعد أن يؤدي الحجاج أهم ركن في عبادة الحج ـ وهو الوقوف بعرفة ـ ويفرحوا ويفرح أهلوهم بما أدوا من عبادة في أطهر بقعة وأقدسها .

قال أنس رضي الله عنه : قدم رسول الله صلى الله وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال : « ماهذان اليومان » قالوا : كنا نلعب فيهما في الجاهلية ، فقال صلى الله عليه وسلم : « أبدلكم الله بهما خيرا منهما يوم الأضحى ويوم الفطر » رواه أبو داود .

التكبير :

يندب إحياء ليلتي العيدين بالذكر ، والتكبير ، والدعاء ، والاستغفار ، والعطاء للبائسين .

ووقت التكبير لم تتفق المذاهب على تحديده ، ولذا نختار لك منها أن يبدأ التكبير في عيد الفطر من رؤية الهلال حتى يغدو الناس إلى المصلى ، وحتى يصعد الإمام

على المنبر لقوله تعالى : (**ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون**) .

أما في عيد الأضحى فمن صبح يوم عرفة إلى عصر آخر أيام منى لقوله تعالى (**واذكروا الله في أيام معدودات**) قال ابن عباس : « هي ايام التشريق وهي اليوم الحادي عشر ، والثاني عشر ، والثالث عشر من ذي الحجة » .

ويستحب التكبير في كل وقت من هذه الأيام سواء قبل الصلاة أو بعدها أو في الطريق أو في المجالس .

وصيغة التكبير كما وردت عن عمر وابن مسعود : (الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله ، والله أكبر الله أكبر ، ولله الحمد) .

وزاد بعض المذاهب (الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا إلى آخر الصيغة المشهورة) . على أن يكون معلوما أن ذلك كله أمر مندوب فلا يجوز أن يحتدم الخلاف حوله بين المسلمين .

حكمها :

عند أكثر المذاهب سنة عين مؤكدة على كل من تجب عليه صلاة الجمعة وأداؤها مع الجماعة سنة عند الشافعي فله أن يصليها منفردا وقال الآخرون : الجماعة شرط بلا آذان ولا إقامة .

وقتها

من ارتفاع الشمس ولو قدر ثلاثة أمتار إلى الزوال والأفضل التعجيل بها والمسارعة إلى أدائها وتحديد وقتها رغبة في اجتماع المسلمين حتى يؤدوها في جماعة ثم ينصرفوا إلى ما يريدون في هذا اليوم العظيم من زيارات تؤكد محبتهم وتقوي روابطهم .

كيفيتها :

وصلاة العيد ركعتان كغيرهما من النوافل غير انه في الركعة الأولى وبعد تكبيرة الإحرام ، ودعاء الاستفتاح ، وقبل التعوذ والقراءة يكبر سبع تكبيرات (الله أكبر) يفصل بين كل تكبيرتين بقدر آية صغيرة وبعد أن ينتهي من التكبير يتعوذ ويقرأ الفاتحة والسورة . أما في الركعة الثانية فإنه بعد تكبيرة القيام ، يكبر خمس تكبيرات ثم يأخذ في القراءة .

ويندب أن يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة (سورة الأعلى) وفي الركعة الثانية بعد الفاتحة (سورة الغاشية) وإن كان له أن يقرأ بما شاء ، وإذا أدرك الامام في بعض التكبيرات تابعه في التكبير ولا يعيد ما فاته منها، ولو نسى المصلي التكبير ، ودخل في القراءة مباشرة بعد تكبيرة الإحرام أو القيام فلا يعود للتكبير وصلاته صحيحة .

أين تؤدى صلاة العيد ..؟

يستحسن اداؤها في الصحراء في غير مكة وخاصة إذا كانت قريبة من العمران ، بخلاف الشافعية فإنهم قالوا إن أداءها بالمسجد أفضل لشرفه ، إلا لعذر ، كضيقه ، فيكره الزحام فيه وتسن حينئذ في الصحراء .

ويندب أن يخرج المصلي إلى مصلى العيد ماشيا إن امكن وأن يجهر بالتكبير ويستمر في التكبير حتى يدخل الإمام في الصلاة .

والأجدر أن يذهب إلى المصلى من طريق ويعود من طريق آخر ، ومن السنة أن يأكل قبل خروجه الى مصلاه في عيد الفطر ، تحقيقا لمعنى الفطر ، أما في عيد الأضحى فيندب تأخير الأكل .

لا صلاة قبلها ولا بعدها :

لم يثبت أن لصلاة العيد سنة قبلها ولا بعدها : قال ابن عباس : « خرج رسول الله صلى الله وسلم يوم عيد فصلى ركعتين ، لم يصل قبلهما ولا بعدهما » (رواه الجماعة) .

الخطبة :

وبعد أن ينتهي الامام من صلاة العيد ، يصعد المنبر ، ويخطب خطبتين خفيفتين ، يرشد الناس فيهما إلى ما ينبغي عليهم فعله يوم العيد ، من البشاشة والصفاء والحب والولاء والتغاضي عن الهفوات السابقة بين المسلم وأخيه وهما كخطبتي الجمعة ، غير أن خطبتي الجمعة شرعتا قبل الصلاة ، وأما خطبتا العيد فإنهما بعد الصلاة .

كما أن خطبتي الجمعة ، تفتتحان بالحمد لله ، وأما خطبتا العيد ، فإنهما تفتتحان بالتكبير ، وتفتتح الأولى منهما بالتكبير تسعا وأما الثانية فتفتتح بالتكبير سبعا ، وتختم بقول الله تبارك وتعالى .

(سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين) (الصافات ١٨٠ ـ ١٨٢) .

اجتماع العيد والجمعة :

إذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد ، وجب عند الأئمة الثلاثة أداء كل صلاة منهما في وقتها المشروع ، فتصلي صلاة العيد في وقتها ، وتصلي الجمعة في وقتها ، ويرى الامام احمد أنه إذا اجتمع الجمعة والعيد في يوم واحد سقطت الجمعة عمن صلى العيد ، ويصلي الظهر بدلها .

ومن السنة اظهار السرور وتبادل الدعاء بالخير في أيام العيد ، ويدعو الاسلام إلى التواصل والتراحم ، والتوسعة على الفقراء في هذه الأيام الطيبة .. فعن جبير بن نفير قال : « كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض : تقبل الله منا ومنك » قال الحافظ : إسناده حسن .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا . وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

★ مصر : القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .

★ السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨) .

★ المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية للتوزيع والصحف تلفون : 245745 .

★ تونس : الشركة التونسية للتوزيع ـ 5 شارع قرطاج ـ ص.ب : 440 .

★ الأردن : عمان ـ وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب (٣٧٥) .

★ المملكة العربية السعودية : الرياض/ مؤسسة الجريسي للتوزيع ـ ص .ب : ١٤٠٥ ت : ٤٠٢٢٥٦٤ ـ ٤٠٢١٠٧٦

جدة/ مؤسسة الجريسي ـ ص . ب : ٨٠٧٠ ـ ت : ٦٨٢٦١٠٥

الدمام/ مؤسسة الجريسي ت : ٨٢٧١٨١١

★ سلطنة عمان : مسقط ـ وكالة مجانّ ـ ص.ب : ٧٩٦ ـ تلفون : ٧٠٠٢٤٦ .

★ دبي : مكتبة دار الحكمة / ص . ب : ٢٠٠٧ تلفون : ٢٢٨٥٥٢ .

★ البحرين : المنامة ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص . ب : ٢٢٤ ـ تلفون : ٢٦٢٠٢٦ .

★ أبو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر .

★ اليمن الشمالي : دار القلم للنشر والتوزيع والاعلان ـ شارع علي عبدالغني ـ صنعاء ـ ص . ب : ١١٠٧ .

★ قطر : دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ـ الدوحة ـ ص . ب : ٥٢ ـ تلفون : ٤٢٥٧٢٣ .

○ الكويت ○ : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ـ ت : ٤٢١٤٦٨ .

ونوجه النظر الى أنه لايوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .



طبع في مطابع دار السياسة - الكويت